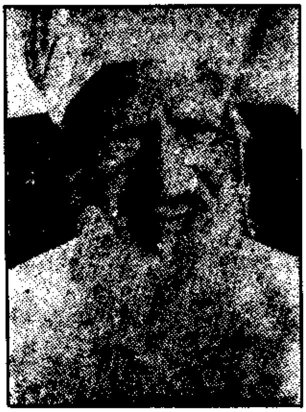
عمان عبر التاريخ

تأليف
الفقيه الفاضل الشيخ
سالم بن حمود بن شامس السيابي

الجزء الأول

الطبعة الخامسة
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



مؤلف الكتــاب

(ترجمة مؤلف الكتاب)

تمهيـــــد

بقلم : سليمان خلف الخروصى

اهتم العرب بعلم التاريخ اهتماما بالغا ، واعتنوا به عناية فائقة ، وعلى أيدى علماء التاريخ ارتقى هـذا العلم الانســانى فى سرعة مرموقة ومكــانة بارزة ، ففتحت أبوابه ، وتنوعت طرائفه ، وتعددت آفاقه وصارت له أهدافه السامية ومنهجه العلمى الذى تميز به عن بقية العلوم ، فلولا التاريخ لجهلت الأنساب ، ونسيت الأحساب .

وعلى مر التاريخ يبرز علماء مؤرخون ومن أشهرهم الواقدى ، ومحمد ابن اســحاق والمدائنى ، وابن الأثير والكلبى ، وابن قتيبة واليعقوبى ، والطبرى ، وابن خلدون ، وابن خلكان .

وكان دور عمان — قديما وحديثا — دورا بارزا . يذكر لعمان مدى الأجيال ، وفى هـذا العلم بالذات ، نجد لعمــان علماء مؤرخين طبقت شهرتهم الآفاق أذكر منهم الشيخ العلامة أبا سفيان محبوب بن الرحيل والشيخ العــلامة المؤرخ سرحان بن ســعيد السرحنى الأزكوى على المشهور ، والامبو على من بنى سعد الطائيين نسبا على الصحيح مؤلف كتاب كشف الغمة ، والعلامة المؤرخ ابن رزيق النخلى مؤلف كتاب الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين ، وكتاب الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أئمة عمان الذين طبعتهما وزارة التراث القومى والثقافة والشيخ

العلامة سليمان بن بلعرب بن عامر النزوى مؤلف كتاب المؤتمن فى ذكر مناقب نزار واليمن • والشيخ العلامة محمد بن خميس السيفى النزوى والشيخ العلامة عامر بن سليمان الريامى الأزكوى والشيخ العلامة الجليل نور الدين السالمى وغيرهم كثير • ويبرز علامتنا المترجم له مؤلف هـذا الكتاب ، الذى هو بين أيدينا ، كفارس من فرسان هـذه الحلبة ، أو رائد من رواد علم التاريخ •

« من هـو مؤلف الكتاب »

فى الواقع هو غنى عن التعريف ، فهو أجل من أن يذكر ، وشهرته العلمية الواسعة غير منكورة وحياته العملية الثمينة غير مجهولة ، ولكن من خلال هـذه الأسطر القليلة نتعرف على بعض الجوانب المهمة لنقدمها للقارىء الكريم ، عن هـذا العلامة الجليل الكبير •

« أسمه ونسـبه »

هو الشيخ العلامة الجليل سالم بن حمود بن شامس بن خميس بن على بن عبيد السيابى ومن المشهور أن قبيلة آل المسيب العمانية ينتمى نسبها الى القـائد البطل شهاب بن النويرة التغلبى المعلم المشـهور « بذى قار » الواقعة المشـهورة فى أيام العرب فى الجاهلية ، فمسيّب وحبس القبيلة الشهيرة المعروفة بالشرقية فى عُمان إخوان ينتميان الى شهاب بن النويرة المذكورة آنفا •

« مولده ونشأته »

ولد العلامة المترجم له بقرية « غلا » من أعمال بوشر فى سنة ١٣٢٦ هجرية الموافق ١٩٠٨م وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، وذلك من فرط ذكائه وكثرة حفظه ودرس تلقين الصبيان وملحة الاعراب للحريرى والفية ابن مالك فى سن مبكر بنفسه بدون أن يتلمذ على شيخ ، بل ثقف نفسه بنفسه ثم توجه الى سمائل الفيحاء التى استوطنها فيما بعد وكانت آنذاك تزخر بالعلماء الأكابر فدرس على الشيخ العلامة خلفان بن جميل السيابى أصول الدين والفقه وأصول الفقه والفرائض ولازمه ليلا ونهارا كما لازم الشيخ العلامة الشهير أبا عبيد حمد بن عبيد السليمى وأخذ منه أيضا علما وافرا . كما أشبع طموحه العلمى بمجالسته للامام الرضى محمد بن عبد الله الخليلى ومذاكرته لكل من المشايخ العلماء سعيد بن ناصر الكندى ومحمد بن سالم الرقيشى وعبد الله بن عامر العزرى ، فقد أذن لكل مواهبه أن تنشط وتتألق ومازال يدأب فى التحصيل وجمع العلم ، حتى صار فحلا من فحول العلماء الذى يشار اليهم بالبنان . وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره .

« صفاته وبعض من أخلاقه »

يعتبر اليوم من أكبر علماء عمان وأجلهم ، فهو من فحول العلماء المرموقين مكانة وصدارة فى هذا العهد المشرق الزاهر وبالتالى هو سمح جواد حسن الاخلاق شريف النفس نقى السريرة ، آية فى الحفظ والذكاء والفهم ، ومن أنشط الناس للقراءة والكتابة — فلا يرى

الا قارئا أو كاتبا . يحب مكارم الأخلاق ويعشق المحامد منــذ صباه ، علامة غيور من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لا يخــاف فى الله لومة لائم .

وهو فيصــل فى الأحكام ، شــهم شجاع ، أبى الضيم ، ماضى العزيمة صعب الشكيمة ، منيع الجانب ألف مألوف محبوب عند الناس ، يحب الوحدة وجمع الشمل ، ومن الدعاة الى التمسك بكتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم .

وصفه الامام محمد بن عبد الله الخليلى ، بأنه ممن تسد به الثغور ويوجه فى مهمات الأمور ، كمــا وصفه الشيخ الفقيــه محمد بن راشد ابن عزيز الخصيبى فى قصيدته المسماة سموط الجمان فى أسماء شعراء عمــان فقــال :

وفقيه مؤرخ وهو علامة هــذا الزمان ذو المكرمات .

الســـيابى ســالم ابن حــمود
فأراجيـــزه مــن الرائعـــات

سيما نظمــه المسمى بارشاد الأنا
م المبـــين الخـــافيـــات

« أعمــاله »

لمــا تألق نجم العلامة المترجم له ، وعلا ذكره ، استدعاه الشيخ الجليل على بن عبد الله الخليلى والى محافظة بوشر ، ليكون مدرســا

لأولاده ، وذلك فى عام ١٣٥٠هـ ، فقـــام بأمر التدريس خير قيام وتأدب عليه حوالى « ٤٠ طالبا » ولمــا أن توفى الشيخ العلامة ســعيد بن ناصر الكندى قاضى محافظة بوشر ومفتيها رضى الله عنــه • عيّن قاضــياً فى بوشر وذلك فى سنة ١٣٥٢هـ وبقى بهــا قاضيا حتى سنة ١٣٥٩هـ فانفصل من العمل لظروف خاصة ورجع الى سمائل التى استوطنها • وفى سنة ١٣٦٠هـ عين واليــا وقاضــيا على نخل ومتعلقاتها ، فتحمل المسئولية وهو أهل لهــا وكان بهــا الحاكم القدير الادارى ، والقاضى المنصف الحكيم • ثم فى ســنة ١٣٦٩هـ عيّن واليا الى جعلان بنى بوحسن فبقى هنــاك ، واليــا وقاضيا ثم انفصل عن العمل لأســباب دعت ذلك ، ثم استدعاه السلطان سعيد بن تيمور فعينــه رئيسا لمحكمة الاستئناف وبقى بها مدة ثم ولاه محافظة السيب فأقام بها واليا حوالى عام واحد ثم نقله السلطان سعيد الى الكامل والوافى من جعلان ليكون واليــا وقاضيا ، ثم استدعاه السلطان فعينه قاضيا فى المحكمة الشرعية بالعاصمة ، وبقى منــذ ذلك اليوم قاضيا ؟ بهــا •

ولمــا أشرق فجر الانتفاضة المباركة أو الحركة التصحيحية المجيدة بقيادة جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم • حفظه الله كان هو فى مقدمة القضاة بالمحكمة الشرعية بالعاصمة مسقط ومن أبرز العلمــاء المرموقين لحكومة صاحب الجلالة المعظم • ثم فى أول هــذا العــام ١٩٨٢م • نقلت خدمــاته من وزارة العــدل الى وزارة التراث القومى والثقــافة ، ليتفرغ فضيلته فى تحقيق الكتب العلمية والتاريخية ، التى تطبعها وزارة التراث القومى والثقافة لما له من باع طويل وســعه وادراك فى كل الفنون •

« مؤلفـــاته »

ان مؤلفاته الكثيرة التى تزيد على (٥٠) مؤلفـا فى كل الفنون تدل على غزارة علمه ، وسعة اطلاعه . وبالتـالى تدل على خلق عظيم ونفس عالية وهمة سامية ، بالاضافة الى أنه شاعر كبير ، وأديب بارع ، فهـو فى الأدب والشعر قد ضرب بســهم بعيد المرمى ، واليك أيهـا القارىء الكريم أسماء أهم مؤلفاته :

١ ـ إرشاد الانام فى الأديان والأحكام نظم فى مائة وعشرين ألف بيت مـا يقارب ١٠ مجلدات .

٢ ـ العقود المفصلة فى المســائل الموصلة ـ مجلدان ـ (٣٠) ألف بيت .

٣ ـ العرى الوثيقــة شرح كشف الحقيقة فى المذهب الأباضى وأصوله .

٤ ـ مطالع الأقمار على مقاصد الأبرار شرح رجز للشيخ العلامة أحمد ابن سعيد الخليلى . فى الوصايا مجلد واحد .

٥ ـ إعانة الحكام بقواعد الأحكام نظم الورد البسام .

٦ ـ جوهر التاريخ المحمدى فى سيرة الرسول الأعظم ﷺ .

٧ ـ معالم الاسلام فى الاديان والأحكام ـ قصائد مطولات حـوالى ٢٠ ألف بيت .

٨ ـ العنوان فى تاريخ عمان ـ مطبوع .

٩ ـ الحقيقة والمجـاز فى تاريخ الأباضية باليمن والحجاز ـ مطبوع .

١٠ــ الاسعاف فى التاريخ العمانى مطبوع .

١١ــ ازالة الوعثاء فى أتباع أبى الشعثاء ــ مطبوع .

١٢ــ طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الأباضى ــ مطبوع

١٣ــ عمان عبر التاريخ ــ الكتاب الذى بين أيدينا .

١٤ــ أغلى التحف فى أصول الشرف .

١٥ــ أصفى الحياض فى مذهب ابن أباض .

١٦ــ هدى الفاروق .

١٧ــ فصل الخطاب فى السؤال والجواب .

١٨ــ كتاب فى السلوك .

١٩ــ العقود المنظمة فى الخيل المسومة ــ مطبوع .

اكتفى بذكر هذه المؤلفات القيمة الجليلة ، والله أسأل أن يمد الشيخ العلامة المؤلف بصحة وعافية ، ويطيل فى عمره ،

وختاما لا يفوتنى أن أسجل آيات الشكر والثناء لصاحب السمو السيد فيصل بن على بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومى والثقافة على ما بذله ويبذله من جهود جبارة ــ على ضوء التوجيهات السامية لاستخراج هذه الكنوز الثمينة وطبعها ونشرها فى أغلب أنحاء المعمورة والله ولى التوفيق ...

حرر : ٣ من رجب سنة ١٤٠٢هـ

٢٧ ابريل سنة ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل للتاريخ مستودع أخبار الأمم على اختلاف أجناسها ، وجعل أهله أمناءه فى أمته لحفظ حوادثها وأحكامها . مع تباين مقاصدها وتباعد أمراسها ، فخلد للآتين أخبار الماضين ، وأعرب للمقبلين عن حوادث الذاهبين ، وندد بأهل الباطل فى مجمع الخالدين ، وصرح بحق أهل الاستقامة فى المسلمين ، وكشف القناع عن مساعى البغاة فى المؤمنين من الأولين على توالى الأزمان الى يوم الدين .

أما بعد . فهذا تاريخ عمان الذى وفق الله له وأعان ، جمعناه من الكتب المتبعثرة ، والرسائل المطولة والمختصرة ، وألفناه بعناء لا يقاس عليه ، وبذلنا الجهد لإدراكه ، وهذا ما حصلنا عليه ، وان كان أكثره كمنقاء مغرب ، لأنه غالبا لم يدون ، وما دون منه لم ينشر ، ولم يتبين ، ولكن بعض ما وجدناه ربما أغنى عما فقدناه ، ومن لم ينفعه قليل الحكمة ضره كثيرها ، ومن أين لنا أن ندرك المفقود من تاريخ عمان ، وقد لعبت به أيدى الحدثان ، ومزقته طيلة الأزمان ، وهذا الجزء الأول منه يشتمل على مقدمة وخمس حلقات .

المقدمة : فى علم التاريخ وفوائده وحكمته وأصوله التى يقوم عنها .

الحلقة الأولى : فى التعريف بعمان قديما وحديثا .

الحلقة الثانية : فى بيان الأمم التى قطنت عمان من الأمم التى مرت بها العصور الخالية ، والأيام الماضية ، من الأمم البائدة والباقية .

الحلقة الثالثة : فى نزول مالك بن فهم بعمان وحروبه للفرس بهـا الى انتهاء أمرهم •

الحلقة الرابعة : فى بدء الإسلام بعمان الى إنقضاء أيام الخلفاء الأربعـــة •

الحلقة الخامسة : فى فضائل أهل عمان ومشاهيرهم فى صـــدر الإسلام وبه يتم الجزء الأول ان شاء الله من تاريخ عمان •

مقدمة

قال الامام السالمى رحمه الله تعالى : « لا يخفى على عاقل أن علم التاريخ مما يعين على الاقتداء بالصالحين ، ويرشد الى طريقه المتقين ، لأن فيه ذكر من مضى من صالح وطالح ، فاذا سمع العاقل اخبار الصالحين اشتاقت نفسه أن يكون من جملتهم ، واذا سمع أخبار الطالحين أشفقت نفسه أن يقتفى آثارهم ، أى فيعد من أنصارهم ، فتراه بذلك يقتفى آثار من صلح ، ويتجنب أحوال من طلح • أ هـ » •

فترى هذا العالم الجليل يجعل علم التاريخ مما يعين على لاقتداء بالصالحين • وذلك من أفضل ما يرشد الانسان الى الأعمال الصالحات ، ولا شك أن ذكر أخبار الصالحين يصقل قلوب المؤمنين طبعا ، وأصدق داعية لهم الى الله قطعا ، وكما أن مجالسة الصالحين تقود الانسان العاقل الى خيرى الدنيا والآخرة ، فكذلك ذكر أخبار من صلح ، وكيف لا والتاريخ سر من أسرار العلوم الكونية ، وضع الله أصوله فى كتابه العزيز وأبرزه فيه بأشبه من سلاسل الابريز ، قال الله عز وجل : (أو لم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود) • وقال عز وعلا : (فاقصص القصص) الآية فى أمثالها •

وقد شرح الله فى كتابه العزيز تاريخ الحوادث فى الأمم الماضية ، والأيام الخالية ، وأيد ذلك الرسول ﷺ بقوله : ولدت زمن الملك العادل • ولا تنس عام الفيل وما وقع فيه من أمر عظيم وخطب جليل ، وقد أجمع العلماء الأجلاء على شرفه وفضله ، وبينوا مقامه بين العلوم الاسلامية • واذا هو حافظ الأمة ، وخازن سرها فى كل جيل ، فإنه حفظ بعث النبيين ورسالات المرسلين ، والى من أرسلوا اليه ، وبماذا أرسلوا • وأخبرنا عن الفراعنة والأكاسرة • والتبابعة والقياصرة ، ودون لنا أعمال

الامم الظافرة والخاسرة ، وعرفنا سالف الأمم قبلنا ، ورأينا فيها الصالح والطالح ، وأدركنا منها المؤمنين ومقاصد المتقين ، وبغى المضلين وفساد الحائرين ، وسوء أعمال المجرمين ، واستفدنا من سياسات المصلحين ، وأفعال المتقين ، ومن اجتهد وجاهد فى الله لارغام الكافرين ، ومن جد لارشاد الأمم الى سبل الخير من المخلصين ، فكان لهم فى عالم الحياة الذكر الحسن والفضل المبين ، وأخبرنا عمن نام على فراشه راضيا بمعاشه ، ومن عمل بما فرض عليه ، ومتى كلف وافترض ، وعلى من أوجب فقام ، ومن صد فربص ، مراغما لمن قام بواجبه ونهض ، وعلمنا الأئمة وما مشوابه ومن قام معهم فأقامهم ومن قام عليهم فكان ضدهم ، ومن دعا الى الحق فاضطهد وشنق ، ومن تجرد لله ناصرا لدينه ، ومن دعا لاحياء الشريعة بواضح الحق وصحيح براهينه . ولا يخفى ما فى ذلك من حكمة ، ولا يجهل ما يثمره التاريخ للعقول القوية من نشاط ، وما تتحرك به القلوب الضعيفة من اغتباط ، وما يستحق به الثناء على الفعل الجميل ، وما يلزم به الذم والتقبيح لأهل التعطيل .

فالتاريخ داعية الأمم الآتية لسلوك طريق الأجيال الماضية ، فهو المعبر عما سلف من عز وشرف لأهل الوفاء ، والمخبر عمن خلا من أهل الجفاء ، فيختار المخلص من مسالك أولئك المنهج الصحيح ، ويصطحب الى قصده لذلك كل عمل مليح ، ويتبع فى سيره وسراه كل أمر صحيح ، فالتاريخ على الاجمال جمال الرجال الكمل ، وكمال الأبطال فى كل الملل ، والحاث على الأعمال الفاضلة لكل شريف ذى نبل ، وهو الترجمان المعبر عن سالف الدول ، طالما حدث التاريخ عن الأئمة الصالحين ، وبين من أعمال الحق فى العالمين ، وكم أنبأ عن أعمال الجورة المتغطرسين ، ليتجنب أفعالهم كل كريم مصلح فى الدين .

وهل نعلم نحن لولا التاريخ ما فعل أئمتنا الأولون ، وما عمله أهل الحق من العلماء الأكرمين ، وهم مجتهدون ، وما مشى عليه

المبتلون بأمور الأمم التى عاركتهم للتغلب عليهم ، ومـا قابلوا به أعداءهم من الصبر والثبات ، ومـا مال اليه فى أثنـاء ذلك عند مساجلة الحروب لنـا وعلينا ، واذا أكبر العلماء التاريخ فقد أدوا واجبا على عواتقهم عظيم المسئولية ، وجاء فى الكتاب العزيز قوله عز وجل ، قصصا عن أمم ضلت فى حياتها الطريق ، وسلكت بعتوهـا المضيق ، قال الله فيهم : (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأمـا عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية • سـخرها عليهم سبع ليـال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيهـا صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية • فهل ترى لهم من باقيـة • وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة • فعصوا رسـول ربهم فأخذهم أخذة رابية • إنّا لمّـا طغى الماء حملناكم فى الجارية • لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) الى آخر الآيات القاصة عن أحوال هؤلاء النـاس الذين تمردوا على الله ، وعتوا على رسله وجاروا فى عباده ، وطغوا فى بلاده فأذاقهم لباس الجوع والخوف •

وكم قص الله قصص النبيين فى الكتاب المبين ، وحسبك قصـة نبينـا سليمان بن داود عليهما السلام • ومـا صار بينـه وبلقيس ملكة سبأ ، فذكر الله فيهـا الهدهد ؛ ومـا جاء به ، وسليمان وجنوده ، وبلقيس وعرشها ، ومـا دار بين نبى الله سليمان والعفاريت فى جلب عرشها • وارهابهـا بتلك الآيات الباهرة ، وذكر الله سياستها وغزارة عقلها ، إذ قال لهـا نبى الله ﷺ : أهكذا عرشك ، مختبرا لعقلهـا • وموهما لهـا فيه ، فأجابته بمثل ذلك • إذ قالت : كأنه هو • فلم تحقق ولم تنف ، إذ تعارضت الأحوال عندها ، يقينـا وعادة ، وانظر قوله عز وجل : (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النـذر من قبـله) الآيـة •

وفى الحديث : « القرآن حبل الله المتين فيـه خبر مـا قبلكم ونبأ مـا بعدكم وحكم مـا بينكم » • فذكر فيه خبر مـا قبلنا ونبأ مـا

بعدنا . وهذا أصل من أصول التاريخ ، واذا أطلق العلماء التاريخ فالمراد به أخبار الأمم الماضية ، وسيرهم وحوادثهم على العموم .

ولا شك أن لكل أمة تاريخا خاصا بحوادثها فى حلها وترحالها وأخبار كل جيل على حدة ، وحوادث الملوك وقتال أعاديهم ومـا أُحدثوا من خطط ، ووضعوا من قوانين ، وأبانوا من أسرار فلهـذا ان مادة تأريخ الأمم على اختلاف أحوالهـا ، ومـا بنت وهدمت ومـا أبدت ومـا أعادت ، وما طوت من أعمال ، ومـا نشرت من خصال ، فالتاريخ له تعلق بكل شيء ، فتعلقه باللغة من حيث حدثت ، وعلى يد من حدثت ، ومن أول من لغابها ، وفى أى عهـد نشأت ولـه تعلق بآدابهـا وأسبابها ، وبالأحكام الشرعية . على من أول مـا أنزلت ، وما أول حكم وقع ، ومن هو أول حاكم ، وأى أول دولة قامت فى هـذا الكون ، ومن أول من قام بها ومـا صفة قيامها ، وماذا صنعت ، وعلى أى حال انقرضت . ومـا هى الأسباب التى قضت عليهـا ، ومن قام بالعلوم الطبية ، ومن برع فيهـا ، ومن اخترع الكيماويات الى مـا وصلت اليه الآن ، ومن أول من اخترع السلاح ، وعمل به فى الكفاح حتى تطور الى مـا يعلم مـا عليـه الآن .

ولولا التاريخ من أين لنـا أن نعلم الناسخ والمنسوخ من أحكام الله عز وجل ، وهو قسم عظيم فى الأحكام والحجة فى معرفته التاريخ الصحح، ولو قيل ان التاريخ يشتمل على نصف العلم لكـان غير بعيد ، لأن عليه تترتب أمور كالعدد والنفقـات ومواقيت الحج وتعيين أوقات الزكاة ، وعدد المطلقات فى أشـياء يطول ذكرها . ولا ريب فان مدار أمور الدنيا عليه — ولولا التاريخ من لنـا أن ندرى اجمـاع المسلمين فيمـا أجمعوا فيه حلا وحرمة ، وهو من قواطع الأدلة فى الاسلام ، ومن أمهـات القواعد فى الأحكام ، كمـا يشهد له الكتاب العزيز والسـنة النبـوية .

ولولا التاريخ من أين لنـا علم الهجرة ، وكم فيهـا من أحكـام تختص بهـا فى الاسلام ، وبمن هاجر وأحكام المهاجرين •

ولولا التاريخ فمن لنـا بمعرفة الامامة الصديقية ووقوعهـا ، والقائمين بأمرهـا واحتجاجهم على اخوانهم الأنصـار فيهـا ، ومن أين لنـا أن نعرف عن الشورى ، ومـا جاء فيها — ولولا التاريخ فمن ذا الذى يعرفنا أحوال من خالف الحق من الأمويين والعباسيين وأمثالهم ، وهل يعلم الانسان سياسات الملوك ورئاسات الممالك ، ومتى نعلم عن قصـة عمر بن الخطاب فى طاعون عمواس ، ومـا رآه المسـلمون فيـه من أمر واتفاق مشيخة المسلمين على الحكم بالواقع فيه ، خلاف السامع به ، ومـا اتفق عليه المسلمون •

ولولا التاريخ من لنـا بتوضيح تأسيس المذاهب ، ومتى ذهب اليهـا الذاهب ، وبماذا يظهر فضل السبق للحق ونحوه •

ولولا التاريخ متى نعلم عـدد المطلقات تحليلا ، وعدد الحيض والنفاس والرضـاع المحلل والمحرم ، كمـا قال الله عز وجل : (حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ، ومتى تخرج المرأة من عدة زوجها طلاقها أو موتا ؟ ومتى تحل النفقات وحضور آجال الحقوق المعلقـة بالذمم ؟ ومن أصول التاريخ قوله تعالى : (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) • الى قوله : (منهـا قائم وحصيد) وقوله : (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) •

وكمـا فهمت عن الامام السالمى رحمـه الله ، قوله : لا يخفى على عاقل أن علم التاريخ ممـا يعين على الاقتداء بالصالحين ، ويرشد الى طريقة المتقين ، فتراه يجعله علمـا مستقلا ، وأنه يرشد الى طريقة المتقين ، وهـذا من أعظم فوائد العلوم فى الاسـلام ، فان الارشـاد الى طريقة المتقين ، والاعانة على سلوك الصالحين من المسلمين ، أمـر مطلوب فى الدين •

ولولا التاريخ من أين لنــا أن نعلم مــا صار على الخليفة الثالث عثمان ، ومــا عده عليه القائمون ضــده حتى قضوا عليه بذلك ؟ ومن لنــا أن نعرف مــا صار بصفين بعد الجمل وبمــا استحل المســلمون القتال وسفك الدماء وأحكام الأموال حلا وحرمة ، وكذلك مــا صــار بالنهروان الى آخر مــا عمل المسلمون ، وأيام الحجاج الطاغية الخبيث ، ومــا صار منه على أهل عمان ومــا وقع على الامام الجلندى بن مسعود رحمــه الله على يد الأمير خزام بن خزيمة ، وقضية شيبان الخارجي . وعلى كل حــال ان علم التاريخ حتى عند الافرنج له المقام الأعلى . والمؤرخ معهم معدود من العلماء الأجلاء لأن علم التاريخ يتضمن انتقاد القضايا ووزن الأعمال بميزان التحقيق تأييدا للصلاح وأهله ، وتفنيدا للطلاح وذويه ، ولا شك أن أعمــال المسئولين فى الأمة مثــال يحتذيه التالى لهم ، ويحتج به من جاء بعدهم ، فمــا كان حقا كان من الواجب الركون اليه ، ومــا كان باطلا كان من اللازم التباعد منــه ، وقد يشــير الى الحقائق التاريخية .

قول إمام أهل الأدب ابن دريد حيث يقول :

وإنمــا المــرء حــديث بعــــده
فكــن حديثــا حســنا لمن وعــا

أى أن التاريخ يحفظ للانسان أعماله القولية والفعلية ، فعليك أيها الانسان أن تتحفظ فى أعمالك كلهــا فتكون حديثا حسنا لمن يأتى بعدك ، فان لســان التاريخ يخبر عنك ومــا صنعت ، ويحفظ لك وعليك مــا سر ومــا ساء .

واسمع ما يقول أبو طالب :

ذكر الفتى عمره الثانى إلخ .

أى أن الانسان يبقى له بعد موته عمره الثـانى الذى هو ذكره ، فان كان الذكر حسنا كان له عمر حسن يتداوله الناس بعده ، ويمشون على ضوئه ، وان كان الذكر سيئا ، كان على خلاف الأول ، قال فى (لقطة العجلان ممـا تمس الى معرفته حاجة الانسان) .

فاعلم أن التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه مـا يأتى بعده ، وقـال أيضا التاريخ عبـارة عن مدة معلومة ، تعد من أول زمن مفروض لتعرف بهـا الأوقات المحدودة ، قال : « ولا غنى عن التاريخ فى جميع الأحوال الدنيوية والدينية ، ولـكل أمة من أمم البشر تاريخ تحتـاج اليه فى معاملاتها وفى معرفة أزمنتهـا المضروبة دون غيرهـا من بقيـة الأمم ، وأول الأوائل القديمة . وأشهر مـا يكون مبدأ البشر » .

وقـال أيضا عن سعيد بن المسيب . قال : « جمع عمر بن رضى الله عنـه الناس فسألهم من أى يوم يكتب التاريخ » . فقال على بن أبى طالب : « من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك » ، ففعله عمر رضى الله عنه ، وعن سهل بن سعد الساعدى قال : « أخطأ الناس فى العد ، فمـا عدوا من مبعثـه عليه الصـلاة والسلام . ولا من وفاته انمـا عدوا من مقدمه المدينة ، قال وعن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : كان التاريخ من السنة التى قدم فيهـا رسول الله ﷺ المدينـة ، وقال قرة بن خالد عن محمد : « كان عند عمر بن الخطاب عامل جاء من اليمن ، فقال لعمر ، أمـا تؤرخون تكتبون فى سـنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا ، فأمر عمر النـاس أن يكتبوا من مبعث رسول الله ﷺ . وقيل رفع الى أمير المؤمنين صك محله شعبان ، فقـال أى شعبان ؟ أهو من هـذا العام أو من عام مضى أو عام يأتى الى آخر مـا أطال فيـه صاحب (لقطة العجلان) ، وهو كتاب أكثره فى التاريخ ولوازمه وفوائده .

قـال فى جواهر الأدب ، لأحمد الهاشمى : « التاريخ هـو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم وسياستهم واعتقادهم وأدبهم

ولغتهم »، أى أن علم التاريخ له تعلق بهـذه الأحوال كلهـا • واذا اعتبرت هـذه الجملة رأيت لها عمومـا شاملا ، لأحوال الدنيا والآخرة ، فان النظر فى المعايش والسياسات ممـا يتعلق بأحوال الدنيـا ، وما يتعلق بالعقائد والآداب واللغة ، يتنـاول أمور الدين التى هى النجاة فى الآخرة أو الهلاك فيهـا والعياذ بالله •

وللتاريخ من هـذه الوجهات مقام عال فى نظر الفكر العربى ، وهل التاريخ من خصايص أمة أو أمم أو هو لمطلق الأمم ، وهو الواضح كما بينـه فى لقطة العجلان ، فكل أمة عاشت أو تعيش فى جيل من الأجيال لابد لهـا من حوادث بحسب طبيعة حالها ، ومـا تدعو اليه آمالها ، وبذلك يكون تاريخها مشتملا على قضاياها • ولأجل ذلك ترى الأمم أن التاريخ عنوان أمته ، ودليل على خيرها وشرها ، إذ يعرب عن نواياها ويبرهن على مالهـا من صعود وهبوط فى أدوار حياتها ، ومن حـق التاريخ الصادق الصحيح أن يكون مع الأمة كمـا هى ، حافظا لهـا الحقائق ، وجامعا لهـا الدقائق ، واضعا كل شىء فى محله الذى يجب أن يوضع له •

وللافرنج مزيد اعتناء بالتاريخ لأنه داعية الأمة أو البيئة ، أو القطر ، وبه تعرف الأمم طيلة الدهر ، فانه أعظم باعث للخلف ، للسـير على نهج السلف ، وأكبر دليل على حقيقة العنـاصر العالية والسافلة ، وأصـدق قيل على الشرف المتأصل فى الأمم الفاضلة ، ولا تتركه أمة فى حال رقيها لمـا له من مقام عند السـادة الأعلام ، والقادة الكرام على الدوام : ألا تسمع صاحب معالم الجزيرة يقول فى صـدر كتابه : « حرام على الأمم أن تفرغ من اشباع تاريخهـا القـيم والحديث دراسـة وتحليلا ، ونحن لا نزال نتشاغل بالتـافه من الأمور ، لنعيش فى جهـل بماضينا وحاضرنا ، ومن ثم فى غفلة عمـا ينبغى أن نرسم من خطط المستقبل على ضوء هداية التاريخ ، ولست أدرى متى يتنبـه حملة الأقلام منـا وولاة

الأمور فينا الى واجب كهذا ، أعتقد أنه من العوامل الأساسية للنهضة التى نرجوها » .

فانظر فى كلام هذا البطل الحر ، وهكذا رجال العمل ، وأنا أعتقد أن ذكرى التاريخ من أعظم العوامل الفعالة فى الانسانية ، فلذلك يحتفل الافرنج بذكرى عظمائهم ، وأحاديث كبرائهم طيلة أزمانهم ذلك لما للتاريخ من نفوذ روحى فعال ، ولأجل ذلك لا تظهر الافرنج تواريخ الأمم التى تسيطر عليها أو تريد السيطرة عليها ، ولذلك لما أراد الامام السالمى رحمه الله إعادة الإمامة فقام أولا بنشر تاريخ الأمة العمانية فبرز فى عالم القضاء ، ودرسه للطلبه وشاع بين رجال الأمة ، وعرفوا أفعال أسلافهم وأعمال آبائهم ومقاصد أبطالهم ، فهبوا متشوقين اليها ومتشوقين لها ، وكذلك طبع دواوين الشعر الحماسى الداعى الى نبذ الخمول واعتناق النشاط ، فكان ذلك أعظم فاعل فى النهوض بالأمة حتى اهتزت من أعاليها وأدانيها ، وديوان الامام الحضرمى كان أكبر مؤثر على قلوب الأمة ، فلقحت أفكارها وتلظى شرارها ، فتحركت حركة شهدها التاريخ وضج العالم العربى العمانى حتى رفع عقيرته فى القبائل العمانية . وأقام الامامة على صرحها الكريم ، حتى أجلسها على عرشها الذى فقدته أعواما . وكل ذلك بفضل دراسة أنباء سالف الآباء ، وبما عرف من أفعال الأجداد الماضين ، ولا يزال التاريخ هكذا طيلة الأدهر ، فان الأمم تتحرك طبعا الى اقتفاء أفعال السلف من ملوك وأئمة ومصلحين ، كما أشار الى ذلك هرقل بقوله لأبى سفيان إذ يسأله عن رسول الله ﷺ : « هل فى أجداده من ملك ؟ » فقال له أبو سفيان : لا . فقال هرقل : فقلت لو كان فى آبائه من ملك لقلت رجل يطالب بملك آبائه ، أى فأشك فى نبوته والمعنى من كان آباؤه ملوكا فهو يحلم بملكهم ويروم أن يكون ملكا مثلهم ، هذا فاذا درس تاريخ آبائه لابد وأن يتحرك بذلك رغم العراقيل .

وسبق لنا فى بعض المقالات فيه قولنا : « التاريخ مدرسة الحوادث

الكونية ، ولســان معبر عن مــا تمشى عليه المواشى الانسانية ، ودعاية عامة الى الأعمال العالية ، ونعى شاهر للأفعال السافلة، يجد الناظر فيه الأعمال الحرة الفاضلة ، كمــا يجد ضدها من المقاصد السافلة ، ويقتبس منــه العاقل فوائد قد لا يجدها فى غيره ، ويتسلح منه الكامل ســلاح السياسة السامية » أ هـ • وهى كلمات حقها أن تكتب بمــاء الذهب على جبهــة الدهر لتخلد طيلة الأيام عنوانا لسر التاريخ ، وممــا يقطع به دراسة التاريخ تلقح الأذهان وتتحب بنى الانســان ، ويورث درسهــا قوة الجنان ، وحصــانة الرأى وصادق الاعتبــار ، لأن فيهــا درس أحوال الزمان ، وقضايا البرية مختلفة الأحوال متباينة الأعمــال ، فيرى فيــه قارؤه احسان الأخيار ، وإساءات الأشرار ، وجور البغــاة ، وكفر الطغاة ، ويرى السياسات العالية للملوك السامية ، ويتجلى فيــه خبث الطوايا وسوء النوايا ، بحيث يخرج الدارس فيــه وهو من أبطــال الرجــال المثقفين •

ولا شك أن أفعال الأوائل سلاح الأواخر وحجة الأكابر ، وبه يأمن المرء من لوم اللائمين ، وتأنيب المختصــون ، والأتبــاع آمن من الابتداع ،والعمل على نهج من مضى من أهل الحق نفس الاتبــاع • واذا أخذ العاقل بعمل من سبقه من المسلمين لم يعنفه أحــد من المؤمنين ، وأفعال السابقين حجة اللاحقين ، ومن لم يفهم عمن سبق ، لم يدرك من الحق إلا القشر ،ولم يعرف من الدهر إلا الاسم •

والحقيقة أن التــاريخ مدرسة عاليــة تجمع مختلف الإدارات ، ومتباين الأغراض ، وتجتمع فيها المواهب والمطالب من جميع الانسانية أفرادا وجماعة ملوكا وشعبا ، ومــا أبدته الدول من تقريب أمــة وابعاد أخرى على حسب مقتضى السياسات الخاصة والعامة ، وانقلاب الأمور من أمة الى أخرى ، وانهيــار صرح وقيام آخر ضده ، والعمل المتباين فى الأمة يقضى على العقول بالعجز عن ادراك الحقائق ، ويعبر عن الدنيا تعبيرا صحيحا لمن يفهم لا لمن يسمع بأذنيه ،ويمر على القضايا لا يلقى

لهـا بالا ولو كانت على عتبـة بابه ، وقد أشـار القرآن الى هـذا فى قوله عز وجل : (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنهـا معروضون) •

ولا شك أن من حكّم هواه ، وتعامى عن حكم الله فانه معرض لزوال نعم الله ، فان ذلك يسبب انفجار البراكين الضخمة ، ولا يبعد عليه وقت انفجارها ، فاذا انفجرت أعجزه ردهـا ، وأعياه تيارها ، فغاية مـا عنده الخضوع لحكمهـا ، والسكون تحت وطأتها ، وكم لهـذا من دليل عقلى ونقلى •

قال الامام السالمى فى تحفته فى الجزء الأول صحيفة مائتين وثمانين إذ يذكر راشد بن الوليد المختلف فيه قيل كندى • قال : « ولولا أن أبا سعيد يعنى الكدمى ذكر هـذا الطرف من سيرته ، لغـاب عنا علمه كما غاب عنا علم غيره من الأئمة ، قال وذلك كله لإهمـال التاريخ وقلة هذه الجملة التى وضعها هنـا وتأسف وتلهف على ضياع التاريخ •

ولا يخفى أن التاريخ مرآة تتجلى فيهـا أحوال الأمم أخلاقـا وأعمالا ، وعواطف ومكارم ، وغلظة وشـدة ، والتاريخ خازن هـذه الأحوال بعد استجلائها وكشف حقائقها • وانه لمعتبر لأهل العقول ، وحجة لأهل المنقول ، ومن لم يعتبر بأحوال الدهر ، ومـا يتحدث عنه التاريخ ، فهـو خال من العقل ، فاقد للشعور ، يرتمى فى الهلاك غير مبال بمـا يلاقى ، وهيهات أن يحيا الا على سيىء الأحوال ، وقال عبد القادر المذكور : « ولكنهـا أى عمان سرعان مـا أعلنت توبتها ، وانضوت تحت لواء دين الله » •

قلت : على فرض صحة المدعى ، فالحمد لله الذى ردهـا الى الحق راغبة غير مقهورة ، كمـا أسلمت كذلك والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ولكن الحق هو مـا قدمت لك ، وانمـا يرجع الى أصله المجبـور

الذى لم يدخل فى الأمر الا مكرها ، وقد علم أمر عمان أنه لما أسلم ملكاها جيفر وعبد طائعين ، قاما على الفرس الباقين بعمان اذ أنه لا يجتمع فى عمان دينان ، فاما أن تدخلوا فيما دخلنا فيه ، والا فالسيف هو الحكم حتى أخرجوهم عن بكرة أبيهم منها ، وقد خليا بين عمرو بن العاص والزكاة وائتمرا بأمره ، ودعوا من خالفه الى الحق . وكانا له عونا على مهمته وخرجا بصحبته الى المدينة ، لما بلغتهم وفاة النبى ﷺ ، وأخرجهما أبو بكر رضى الله عنه لقتال آل جفنة بالشام ، وبعد ذلك ردهما الى بلدهما مزودين بالأوامر والنصائح . وسوف ترى ما يؤيد هذا حتى تعلم بطل ما قال هؤلاء الذين يتبعون كل ناعق ويكتبون الغث والسمين غير مبالين بما يكتبون عن الأمم التى يتكلمون عنها فى سيرهم وتواريخهم ، والله سائلهم عن كل نقطة يحررونها وكل كلمة يكتبونها فى أساطيرهم .

واعلم أنا إذ نذكر التاريخ أو تاريخ عمان على الأخص ، لا نريد أن نجعله أقصوصة من الأقاصيص اللاهية ، أو أحدوثة من الأحاديث الواهية ، أو ملهى للسمار ، أو سلوة للمجتمعين فى المجالس والنوادى ، أو الدارسين فى المساجد أو الفارغين فى بيوتهم أو العاطلين من الأعمال . انما نريد أن نحدث الناس عن أعمال الرجال الكمل ، أو عن الأعمال الفاضلة ، التى يعتمد عليها الرجال المعنيون بحب أوطانهم أو باستقامة دينهم ، أو بسعادة شعوبهم أو بأمن رعاياهم ، أو بحسن العمل لدينهم ودنياهم ، ولندل الناس أن الحق يشترك فيه القوى والضعيف ، والغنى والفقير ، والسابق والمسبوق ، وأن الله لم يجعل الحق لناس مخصوصين أو أسرة معلومة ، وانما الحق للكل يستحقه الناس بقدر أعمالهم ، ولا نريد أن نمشى على منهج من مشى محبا للمنفق عليهم ، وان كان ظالما جبارا جائرا على الأمة ، ولو أنفق عليها أموالا طائلة ، ولا يسألون عنها من أين نهبها أو من أين اكتسبها ، مع العلم بأنه ظالم جائر نهاب

يأكل أموال الناس بغير حق ، بل نريد أن تمشى الأمة أميرها ومأمورها ، على الصراط المستقيم ، والطريق السوى الصحيح ، الذى لا شائبة فيه من الباطل غير ناظرين الى المحرم الذى يقرب الأمة مختدعا لهـا بالعطاء وضاءاً لها بدينهـا ودنياها ، فنأخذ منـه العطاء ونرضى عنـه بذلك ، ونحارب من أجله ونقاتل معـه ، والحق يقول لنـا : (فاستقم كمـا أمرت ولا تتبع سبيل المفسدين) • فلو ضربنا مثلا بسلطان له وزيران : أحدهما يراعى منازل النـاس الدنيوية ، فيعطيهم عطاء يغمرهم به ، فيخرجون عنـه يمدحون ، ولا يسألون من أين أعطاهم أمن مال زيد ، أم من مال عمرو ، وآخر لا يعطيهم مـا ليس لهم ويمنعهم من ذلك ، ويعطيهم مـالهم ولا يمنعهم اياه ويقوم بمصالح دينهم ودنياهم كمـا يجب لهم ، فمن الأولى بالاتبـاع والطاعة ؟ فهنا وجهان : وجه يميل بهم الى الذى يغمرهم بالعطاء فهو واياهم ينبغى اقصاؤهم معـا من واجبات الاسلام ، والثانى هو الذى يجب أن يطاع ، ويؤيد ويناصر ، ولكن أين هو ؟ قد لا يوجد ؛ قـال عمر ابن عبد العزيز : مـا طاوعنى الناس على أمـر أردته من الدين الا اذا أعطيتهم جانبا من الدنيـا ، واذا كان النـاس كذلك فالداء فيهم عيـاء ؛ ولا يخفى على أن الأسـد مطبوع على حب الافتراس خصوصا اذا جاع من غير أن يراقب أن ذلك الفعل ظلم وعدوان ، لا ينبغى أن يأكل حيوان حيوانا مثله عاش فى أرض الله ، وأن الذئب يأكل القاصية من الغنم ، وأن له شنشنة على ذلك خصوصا اذا خلا بغنم ، وأن السنور لا يؤمن منـه أن يسرق ، ولو كان آأدب السنانير كلهـا ، وأن بقية الحيوانات كلهـا كذلك ، وأن الحق أمر صعب الوقوف على حدوده كالوقوف على الجمر ، وأن العمل به كذلك بل أصعب ، لكن على الانسـان أن يجاهد معهم نفسه أولا ، ثم يصهرها فى بوتقة التصفيات مرات لعلها أن تنصلح •

فانظر فرار الناس عن على الى معاوية حتى أصبحوا يقاتلون معه ، وانظر الى فرارهم عن الأئمـة الى الجبابرة العتـاة ، كفرار جبلة بن

الأيهم عن عمر بن الخطـاب الى قيصر ، ولو قال جبلة لمـا كان عمر بن الخطاب لا يرى الا الانصـاف منى أنا ، فمن باب أولى لا يرى الا الانصاف ممن هودونى ، وهكذا ينبغى وعلى مثل هـذا تعيش الأمة فى أمن ورخـاء وسعادة وهنـاء ، أى حيث ينصف من قويهـا لضعيفها ومن رئيسـها لمرؤسها • وذلك هو الذى يحييها من مماتهـا ، ويرفع شأوها بالأمن والاطمئنان ، وبـه يستقيم الأمر لدولة المسلمين ، وبدون ذلك لا يكون صلاح ، وأنا أرى أن أعطيه عينى الصحيحة وأقعد تحت ظله أعمى ولا يضرنى ذلك بل الانقيـاد للحق يزيدنى شرفـا وعزا ، ولأن أعيش عزيزا بعدل عمر بن الخطاب السيد العربى خير لى من أن أعيش عزيزا عنـد قيصر بالكفر فى دار غربة لاجئا محتميا • وأولى بى أن أحدث من جاءنى حدثته عن عدل عمر بن الخطاب ، ويكون دستور الحيـاة الأمة الجديدة بالاسلام ، ولكنـه لم ير هـذا ، بل رأى أن يعيش كافرا ، ويموت كافرا ، فى بلاد غربة ، ومـا ذلك الا للجهل والغطرسة الجاثمة على قلبه ، وغرته لذة عاجلة لا تطول أيامها ، ولا يبعد مرامها ، فبهـذا وأمثاله نريد أن نبرهن فى التاريخ العربى أن ذكرى الصالحين الذين هم على نهج جبلة أو على نهج معاوية بن أبى سفيان ، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا • فالأول ارتد ، والثانى أجرم ، وأن يعلموا أن أئمـة الاباضية على خلاف ذلك هو نهجهم حيث يقتل أحدهم أبنـاء عمه وأهل جلدته على كتاب بيعة ، وعلى الذين يعطى أحدهم كل شهر سبعة دراهم يقتتلون بها فى غلاء من العيش ، تاركين كل شىء لله وفى الله •

دخل أحد علمـاء الاسلام المدينة المنورة ، فلمـا بلغ مجتمع الأمة قـال : أين قصر رسـول الله ﷺ ؟ قـالوا لا قصر لـه : قال : ولم أكان فقيرا معسرا ؟ قالوا : لا • قال : أين قصر أبى بكر ؟ فقـالوا : لا قصر له • فقال : ولم أكان فقيرا معسرا ؟ كالرسول ﷺ قالوا : نعم • قال : بلغنى أنه كان له مال • قالوا : أنفقـه فى سبيل الله • قال : ولم لم يبن قصرا فخما يشـار اليه بالبنان من ماله لا من مال الدولة ؟ قالوا : ان

ماله أنفقــه فى عز الدولة • قال : ولم لم يتعوض منهــا له ؟ قالوا : مــا أعزه الله بالمــال بل بالصلاح فى الاسلام والتقوى • وطال الجدل فيــه بينهم وإياه • ثم جاء الى عمر فاتح الأمصار وجامع الأموال ، وواضع العطايا فى الدواوين ، والقاهر على النواحى ، فكان الأمر فيــه كالأمر فى أبى بكر رحمهمــا الله ، ثم الى عثمان الذى جهز بأمواله جيش العسرة ونحوه ، وكانت الأموال تأتيــه كالأودية ولم يدخر منهــا وسعا له ، وهكذا على بن أبى طالب • فقــال : اذا لمن هــذه القصــور ؟ فقالوا : لفلان بن فلان وفلان بن فــلان ، وهكــذا • فقــال : هــل كانوا أغنى من أولئك الذين تنصب اليهم أموال الدنيــا ؟ فقالوا : لا • قال : فهل هؤلاء أشرف أولئك المذكورين ؟ فقالوا : تبدلت الأحوال • فقــال : من أعز الآن أولئك أم هؤلاء ؟ فقالوا : أولئك • فعرف انقطاع الحجــة بتوضيح المحجة • فحينئذ يتبين للقــارىء الكريم الذى همته أتباع الحــق والاعتماد عليــه ، أنا نريد أن ندل على الحقائق كمــا هى ، ونعرب عن الظواهر الواجبــة التى مشت عليهــا الأئمــة ونبرهن على زهد الجلندى بن مسعود وأعماله ، والوارث بن كعب وخصاله ، والمهنــا ابن جيفر وجلاله ، وناصر بن مرشــد وأفعاله ، ونعرب للنــاس عن أئمــة آل يعرب الذين ملكوا جانبا من الدنيــا ولم يخلفوا وراءهــم القصور الفخمة ولا المصانع الضخمة ، إلا مــا أعزوا به الاســلام ، ولا كانت لهم الحدائق الغناء ولا النقود التى تفوت العد ، ولا الاختصاصات الذاتية ، بل هلكوا ولا يوجد لأحدهم بيت خاص لهم دون المسلمين ، مع مــا ملكوه من الأموال ولم تعرف البنوك عنهم لكوكا ولا ملايين • ولا • ولا ، وانمــا عرف الدهر عنهم العدل الناصع • والانصاف الجامع والحال الكامل والفضل الشامل ، ولا يزيد المثقــال عندهم عن كونه مثقالا ، فالى هؤلاء نريد أن نهيب بالنــاس لا الى هارون الرشيد •

وقيناته ومعنياته ، أولا الى ملاهيه ومتنزهاته فى الدر والجوهر المضاع على غير أهله ، وقد قاتل عليه ناس وجعله هو وأضرابه تحت نعاله يدوسه بحميره وبغـاله .

وليعلم التاريخ العـالمى ورواده أن لكل وقت سياسـة لا ينبغى اخلال بهـا ، والا كان الفسـاد أكثر من الصلاح ، بل ربمـا انعدم الصلاح . إذا أقبل فريقان يختصمان ، أحدهما يحمل المدفع المدمر ، وعلى رأسـه الصاروخ الحاشر ، وفى يديه القنابل اليدوية ، وفى جيبـه المفرقعات الساحقة ، وخلفه النسافات العظيمة ، والآخر يحمل السيف الأحمر المصطبغ بالدم من عهـد العمالقة . والعصـا الضخمة المقتطعة من عهد عاد الأولى ، لا بل قل والرمح الأزرق والسـهم ذى الأوتار ، فبيد من ترى النصر . أم الى من يجنح فان أسـبابه بيد الأول رغم المعقول والمنقول ، لا بيد الذى يحمل السيف البتار ،الذى لا يصـل الى خصمه الا والنـار تشتعل فى أردانه ، وقد أحترق بين يدى خصمه ، فهلك قبل الميعاد بمسافات ، وقد ألقـاه الرصاص على وجهـه . قبل أن يتخطى الى خصمه شبرا واحدا من الأرض وهكذا .

وليعلم الناس أن التاريخ حدث عمـا سبق ، ولم يحدث عمـا لحق بل عمـا يأتى ، فمجاراة الوقت بما لا ينافى فى العقل . ولا يعترض على الشرع ، أمر مطلوب قطعا ، بل واجب شرعا ، لأن الله يقول لنـا : (وأعدوا لهم مـا استطعتم من قوة) .

وسترى أيهـا القارىء فى تاريخ عمان أنواعا من ذلك ، وسترى فى تغلب النصارى على المسلمين نوعا يدل على مـا قلنا ، وخصوصا فى جعلان بنى بو على وهم مسلمون ، وأولئك نصـارى كفار أعداء لأهل لا اله الا الله مطلقـا . ولأهل الاسلام عوما . ولتعلم أيهـا القارىء أنا إذ نكتب التاريخ نريد أن نجعله وسيلة لتثقيف الناس بالحقـائق الروحية العارضة الزمنية ، وسبيلا لمساعدة الأمة على مـا يعانون من

مشكلات تصيبهم ونوب تحل عليهم ، ونخبرهم بقضية اجتماع المسلمين فى مهماتهم الماضية مهما كان الاجتماع فهو فعال ، وإليك صورة ستمر عليك فى الاجتماع على حرب راشد بن النضر الجلندانى وأحزابه وتدميرهم وهكذا لتكون على ثقة كاملة ، أن الاجتماع أول مرحلة تعيش بها الأمة فى رخاء العيش وسعادة الحياة • وأن الافتراق والتلاشى ، داعيان الى الانهيار ، ولو شاء الناس أن يزيلوا الجبل الأخضر من عمان بالاجتماع لأزالوه ، واذا كنا على غير ذلك فقد أضعنا أعمارنا فى لا شىء •

فان تدوين قضايا التاريخ قد وقع ، وان الكل على ذلك قد اطلع ، وان العمل الصحيح ما عليه المجتمع ، ان المسلمين اليوم كما رأيناهم يدرسون التاريخ لكى يعرفوا أن فلانا كان أشجع أو أعظم بأسا بأساليب الحرب ، أو أنه أفضل من فلان ، لا يزيدون على ذلك ، بدل من أن الافرنج يدرسون التاريخ تحليلا للمقاصد والتفاتا الى المراصد واهتماما بالقاصد ، لا يدرسونه أقاصيص ، أو خرافات أو حكايات كتسليات ، بل هم الباحثون فيه المتعمقون فى معانيه ، والآخذون بأركان مبانيه ، لا كمن اذا سمع أقاصيص الماضى يهز رأسه ، ويهمهم أو يدمدم ، وربما يعجب من شجاع يخوض المعامع فنجا وهكذا ، بل يحاولون بالتاريخ تثقيف العقول بما فى التاريخ من عظات بالغات ، وعبر صالحات ، لأن تكون دستورا ، فتراهم يدرسون تاريخ سير أفراد من الرجال فتحوا الممالك ، ووضحوا المسالك وبينوا الناجى من الهالك . إلا أنهم لا يفهمون عنهم إلا أن فلانا مات شهيدا ، ليتنا كنا معه ، وأن فلانا مات فاسقا والعياذ بالله منه ، وهم فى كلا الوجهين كاذبون أو مخادعون أو مارقون ، أو على الأقل لا تفكير لهم فى شىء إلا مجرد أحدوثة ، كان رجل كثير البكاء على أحد الشهداء ، وكلما ذكر ذلك الشهيد يكاد أن يتمزق أو يحترق عليه إذ قتل تلك القتلة الشنعاء ، ومثل به العدو •

وهكذا حتى شـاء القدر ، ورأى ذلك الشهيد فى النوم . والجنود محيطة به والسيوف تنتاشه ، ويرشح دمه ،وهو يجالد العدو صابرا ، وهـذا الرجل البكـاء ينظر على الحـال التى عليهـا ذلك الشهيد ، وإذا به يتقاعس ويختفى عنه شيئا فشيئا . ويود أن يتوارى بسرعة حتى لا يراه الشهيد فيستنصره على عدوه ، حتى هم بالهرب فقدر الله أن رآه الشهيد ، فى أخريات الناس فدعاه فخجل ألا يجيبه فأجابه من غير قلبـه ، فقال له ترى الحـال الذى أنا فيـه ، وهؤلاء الأعداء من حولى ، فخذ هـذا السيف والترس ، وقاتل معى عسى الله أن يفرج عنـا بك ، فأخذ السيف والترس واختفى عن نظر الشـهيد ثم هرب بهمـا معه وباعهما . وأكل ثمنهمـا وراح ، فأين بكاؤه الذى يبكيه . وأسـفه الذى يتأسفه ، وأين غيظه على العدو الذى يزعمـه فقـد هرب حتى بالسلاح ، ولم يرده لصاحبه ، وان قيل هـذه رؤيا منامية . فالواقع هى برهان على مـا فى اليقظة ، وأن أحوال هؤلاء الناس أغلبها هـكذا .

فالتاريخ يبدى لنـا تمحيص الحقائق ناصعة غير مستورة ، ويعبر عن طوايا الناس كمـا هى واضحة ومن يعتبر يجد الحق فيـه واضحا ، أن الغرض الوحيد من التاريخ هو الاقتداء ، ومعنى الاقتداء كبير الى حد بعيد لا يكـاد يستطاع لقياس عليه ، فان معنى الاقتداء يفتح أبوابا تفوت الحصر وتعجز الدهر ، فمعنى الاقتداء فى الأخلاق والديانات والأحكام ، ووضع القوانين السياسية الملائمة لكل زمان ، المناسبة لكل أوان ، عملا بمعنى الاقتداء ، فانهم ساروا على النهج الصحيح الوارد عن الشارع فى اخراج الأحكام الشرعية فى محلها ، والقوانين العرفيـة بدلهـا عند عدمهـا ، وفى تطبيق الأنظار بحسب الأصول المشروعة ، والى هـذا يشير قول القائل : أحدثوا أحداثا فأحدثنا لهـا أحكاما ، والمعنى أخرجنا لهـا أحكاما تطابق وضعها ، فان الشرع وضع أصولا لا يرجع اليهـا المنقول . ولا ينافيها المعقول ، فان لكل امام سياسة كما

لكل زمان كذلك وإن تطور الدهر لا يخفى على كل ذى عقل سليم ، فكم جاء فى وقت خاص ما لا يتفق الا فى وقتــه الخاص به ، وكم جــاء مناسبا لكل وقت ، واذا أردنا أن نذكر من هــذا النوع أمثلة : أتتنــا مندفعة من كل وجه تزدحم على الأفكار بحيث تتركنــا نقول لا حاجة الى ذكرها لشهرتها ، وهــذه هى ميزة خاصة بالموضوع ، ولكل مقام مقام .

وهنــا كلمة لعمدة المؤرخين العلامة ابن خلدون نرى أن نضعها هنا ختاما لهــذا المقام فى علم التاريخ . قال فى مقدمة تاريخــه العبر . فى خطبة الكتاب .

أمــا بعد . فإن فن التاريخ من الفنون التى تتداولهــا الأمم والأجيال ، وتشــد اليه الركائب والرجال ، وتسمو الى معرفته السوقة والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، ويتساوى فى فهمه العلمــاء والجبال ، إذ هو فى ظاهره لا يزيد على أخبــار عن الأيام والدوام ، والسوابق من القرون الأول تنمى فيهــا الأقوال ، وتضرب فيهــا الأمثال ، وتطرف بها الأندية اذا غصها الاحتفــال ، وتؤدى الينــا شأن الخليفة كيف تقلبت بهــا الأحوال ، واتسع للدول فيهــا النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحــال ، وحان منهم الزوال ، وفى باطنــه نظر وتحقيق وتعليل الكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهــو لذلك أصيل فى الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد فى علومها وخليق ، وان فحول المؤرخين فى الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها ، فى صفحات الدفاتر وأودعوهــا ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل هموا فيهــا أو ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوهــا ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم وأدوها الينــا كمــا سمعوها .

وسار فى خطبته سيرا واسعا بين فيــه أحوال التاريخ والمؤرخين الى مدى بعيد بعيد يطول بنــا ذكره • وقال : مقدمة فى فضــل علم التــاريخ :

أعلم أن علم التاريخ عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم والأنبياء فى سيرهم والملوك فى دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرويه فى أحوال الدنيا والدين ، فهو محتاج الى مآخذ متعددة ومعــارف متنوعة ؛ وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحــق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الأخبار اذا اعتمد فيهــا على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العــادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الانسانى ، ولا قيس الغائب منهــا بالشاهد والحاضر بالذاهب ، فربمــا لم يؤمن فيهــا من العثور ، ومزلة القدم والحيد عن جــادة الطريق الصــادق ، وكثيرا مــا وقع للمؤرخين والمفسرين ، وأئمــة النقل من المغالط فى الحكايات والوقائع ؛ لاعتمادهم فيهــا على مجــرد النقل غثا أو سمينا ، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار ، فضــلوا عن الحق • وتاهوا فى بيداء الوهــم والغلط ، ولا سيما فى احصاء الأعداد من الأموال والعساكر ، اذا عرضت فى الحكايات إذ هى مظنة الكذب ومطية الهــذر ، ولابد من ردهــا الى الأصول وعرضها على القواعد ، وهــذا كمــا نقل المســعودى • وكثير من المؤرخين فى جيوش بنى اسرائيل ، وأن موسى أحصاهم فى التيــه • بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها ، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون ، ويذهل فى ذلك عن تقدير مصر والشام • واتساعهما لمثل هــذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لهــا وتقوم بوظائفها ، وتضيق عمــا فوقهــا تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة •

وذهب هـذا المذهب منتقدا ومحققا وباحثا وقائسا ، وموبخـا للذين يأخذون القضايا جزافا ولا يهتمون بنظر يتحقق معـه المقام ، وأشار الى دول الفرس ، وأنهـا أعظم من ملك بنى اسرائيل بكثير ، وأشـار الى بخت نصر ، ومـا كان له من السلطان على بنى اسرائيل ، وأشار الى جيش رستم فى القادسية وما كان من أمره وأطنب فى ذكر تلك الأحوال بين بنى اسرائيل ، والفرس • وليس ذلك من غرضنا ، وانمـا نشير الى أن مثل هـذه الأحوال حفظها لنـا التاريخ كمـا قال ابن خلدون • وعلى كل حال ، فقد أطال المذكور فى فوائد التاريخ بحسب الفن المعروف ، ولقد أشـار الى فوائده أيضـا من قـال وقد أجـاده :

نبنى كمـا كانت أوائلنـا
تبنى ونفعـل مثـل مـا فعلوا

فلولا التاريخ من أين لنـا أن نعلم مـا فعلت أوائلنـا ، وبالجملة فقد صح الاجماع على أن علم التاريخ من أشرف العلوم فى الاسـلام ، وممـا ينبغى أن يشتغل به ويدون وأن يعـار اهتماما بالغـا ، ويحرر تحريرا كاملا ، فان فيـه أسرارا جوهرية ، تتجلى فيهـا العبقرية كمـا هى ، ولا تضيعه الا الأمم المكتوب لهـا الانحطاط ، فان من يدرى عمل سلفه من الأعمـال الفاضلة لا يرضى أن يتركهـا الى الأعمال السافلة ، إلا إذا كان مختل الشعور أو خائر العزيمة ، أو منهـار العقل ، فان الغالب كمـا أشار الى ذلك القرآن الكريم : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) • وكم قامت الغـيرة برجال للسـير الى منهج آبائهم ، ويرون مخالفة ذلك نزولا عن الشرف كمـا صح عن كثير من الناس أمثـال ذلك فى كل جيل ؛ فلذلك ترى الافرنج تدرس سـير رجالها درسا دقيقا وتتبع حركاتهم وسكناتهم بكل مالها من قوى •

والحقيقة أن ميدان التاريخ أوسع الميـــادين ، وأن مادته متسعة كاتســـاعه ، فإن موضوعه القضـــايا البشرية ، وهى كمـــا شاءها الله عديدة • لا تكاد تدخل تحت حصر ، ومن ذلك صـــار التاريخ معتبرا وقانونا ومصباح سياسة • وعنوان رئاسة ، وكان أحق به ذوو المناصب فى الأمة من ملك وسلطان وأمير ، وغير ممنوع منـــه غير هؤلاء ، فكم فى الزوايا من خبايا ، وكم فى الرجال من البقايا ، والله أودع خلقه أسرار حمته وهـــو عليم خبير •

ولدائرة المعـــارف ، لفريد وجدى ، كلمة فى التاريخ عظيمة تؤيد مـــا قلنا ، نعرض عنهـــا حتى لا يطول على القارىء هـــذا المقام • فإن مـــا قلناه وحررناه هنا كاف لبيـــان حقيقة منافع علم التاريخ وفوائده •

الحلقة الأولى من تاريخ عمان

فى التعـريف بعمـان

قـال ياقوت الحموى : عمـان بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره نون اسم كورة عربيـة على ساحل بحر اليمن والهند ، وعمان فى الاقليم الأول طولها أربع وثلاثون دقيقة وثلاثون درجة ، وعرضها تسـع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقـة فى شرقى هجر ، أى هى واقعـة شرقى هجر ، قـال : تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزرع ، إلا أن حرهـا شديد ، يضرب به المثل ، وأكثر أهلهـا فى أيامنا خوارج • إباضية ليس بهـا من غير هـذا المذهب ، إلا طارىء غريب وهم يراد منـه التأنيب والقدح (١) • ماذا يراد به ، وإلا فكيف يخفون الحق ، وهل يخفى فى الظلام ابن جلا ، وكيف يخفونه وهـو مذهبهم الصحيح الذى عاش عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعاش عليه الخلفاء الراشدون والمسلمون المخلصون الذين باعوا نفوسهم لله ، وتجردوا لنصرة الحق فى هـذه الحياة ، ومذهب الاباضية يستدعى الكلام كشـفا عن الحقيقة ، لأن أكثر الناس يجهلونه والخيبـة لمن يجهل الحق ويعتمد غير الصدق ، ومن حارب مذهب الاباضية أو نال منه فليتأهب لنقمة الله عز وجل ، وسوف نبسط ان شـاء الله الكلام عن هـذا المذهب فى أول الجزء الثانى من هـذا الكتاب فمن أراده فليلتمسه من هناك •

قـال الحموى المذكور : « وأهل البحرين بالقرب منهم أى البحرين الأولى التى هى الحسا وتوابعها » ، قال : هم بضدهم أى ضد الإباضية ، كلهم روافض سبأيون لا يكتمونه ولا يتحاشون عنه أ هـ •

---

(١) أى الثناء والمدح •

وهــذا دليل على أنه أراد الغمز منهم • والله على لســان كل ناطق ، قال : وليس عندهم من يخالف هــذا المذهب ، أى مذهب الروافض إلا أن يكون غريبــا ، قال الأزهرى : يقــال : أعمن ، وعمن إذا أتى عمان ، وقال رؤية :

نوم شــأم بان أو مُعَمَّن

قال : ويقال : أعمن يعمن اذا أتى عمان •

قال المزق واسمه شاس بن نهار :

أحقــا أبيت اللعن أن أين فرتنــا
على غــير أجــرام يريــق ممزق

فان كنت مأكــولا فكن أنت آكــلى
وإلا فأدركــنى ولمــــا أمـــزق

وفى رواية خير آكل الى أن قال :

فإن يتهموا أنجــد خلافــا عليهــم
وان يعمنوا مستحقبى الحرب أغرق

والمعنى أخالفهم فإن يتهموا أى يأتوا تهــامة • فانا آتى نجدا • وإن يأتوا عمــان أنا آتى العراق • وكذلك جاء فى كلام الامام أبى أسحاق الحضرمى رحمــه الله قوله :

لعمــرك مــا أعرضت عنك ليــاليــا
وأعمنت عــن بغض ولا عن معــائب

أى مـــا أعرضت عنك لعيب ولا أتيت عثمان من أجل عيب أعـــده عليـــك •

وفى القاموس : أعمن أتى عثمان • قال الحموى : وقال ابن الأعرابى العمن : المقيمون فى مكان ، يقـــال رجل عامن وعمثون ، ومنـــه اشتق عثمان ، وقيل أعمن دام على المقـــام بعثمان ، وقصبة عثمـــان صحار ، وعثمان تصرف ولا تصرف ، فمن جعله بلدا صرفه فى حالتى المعرفة والنكرة ، ومن جعله بلدة ألحقه بطلحة •

وقال الزجاجى : سميت عثمان بعثمان بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام • قلت : لعله كان بها فسميت به •

وقـــال أبى كلبى : سميت بعثمان سبأ بن يفثان بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لأنه بنى مدينة عمان (١) وإذا كان بابنهـــا عثمـــان ابن سبأ بن يفثان بن ابراهيم خليل الرحمن فيكون قد سكنها هو ومن معـــه من قومه ، لأنه لا يعقل أن يكون بناها وحده ، بل لابد أن يكون مع قومه وخاصته •

قـــال : وفى كتاب ابن أبى شـــيبة مـــا يدل على أنهـــا المرادة فى حديث الحوض لقوله عليه الصلاة والســـلام : مـــا بين بصرى وصنعاء • ومـــا بين مكة وأيلة • ومن مقامى هـــذا الى عثمان قال : وفى مســـلم : وعرضـــه من مقامى هـــذا الى عثمان ، قال وروى الحسن بن عادية : قال لقيت ابن عمر ، فقال : من أى بلد أنت ؟ فقلت من عمـــان ، قال : أفلا أحدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ، قال : سمعت

---

(١) قلت : ومما يؤيد هذا أن عاصمة عمان اذ ذاك صحار وقد صح أن بانيها صحار بن مدين ابنى ابراهيم الخليل .

رسول الله ﷺ ، يقول : انى لأعلم أرضـا من أرض العرب يقـال لها عـمـان ، على شاطىء البحر الحجة منهـا أفضـل • أو قال خير من حجتين من غيرها • قال : وعن الحسن يأتين من كل فج عميق • قال : عمان • وعنـه عليه الصلاة والسلام : من تعذر عليـه الرزق فعليه بعـمـان • وقال القتال الكلابى :

حلفت بحـج من عمـان تحللوا
ببئرين بالبطحـاء ملقى رحالهـا

فى أبيات ذكرها الحموى المذكور تركناها •

قـال : « وينسب الى عمان داود بن عفان العمانى » • روى عن أنس ابن مالك ونفر سواه ، وأبزون بن مهنبرذ العمـانى الشاعر ، وأبو هارون غطريف العمانى ، روى عن أبى الشعثاء عن ابن عباس ، روى عنـه الحكم بن أبان العدنى وأبو بكر قريش بن حيان العجلى • أصله من عمان وسكن البصرة ، ويروى عن ثابت البنانى ، روى عنه شعبة والبصريون ، ومعنى قول الحموى وأكثر أهلهـا خوارج اباضـية كعادة أعداء الاباضية الذين يلمزون الاباضية باسم الخوارج ، والا فلا جامع بين الاباضية والخوارج أبدا ، فان الخوارج كانوا يدينون بحل مال من خالف مذهبهم وبحل دمه ، وهم فى نظر الإباضية أهل كفر فى الدين حيث استحلوا مـا حرم الله ودانوا بحله حتى استحلوا قتـل الأطفـال وسبى الذرية ، ولم يقل بذلك أحد فى الاسلام غيرهم •

وقال وصفى عنتباوى ، المفتش بادارة المعـارف فى فلسطين ، وسعيد الصباغ مؤلف كتابى الجغرافية العـامة الحديثة وجغرافيـة سورية العمومية المفصلة ، الطبعة الخامسة المطبوعة ١٣٦٨هـ قـال : « يطلق اسم عمـان على قطر كبير يمتـد من الشـحر على بحـر

العرب الى شبه جزيرة قطر فى خليج البصرة ، ويزيد عدد سكانه على مليونى نسمة » ، قال وبلاد عمان جبلية كبلاد اليمن • وترتفع جبالها فى الداخل والساحل أيضا ، وتتجه هذه الجبال الى الشمال فتكون رأسا يدعى رؤوس الجبال • أو رأس ما سندوم ، ويكاد يلامس هذا الرأس بامتداده ساحل بلاد ايران عند مضيق هرمز ، وهو يفصل خليج البصرة عن خليج عمان •

قال : وأعلى جبال عمان الجبل الأخضر الذى يرتفع ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر ، قلت أكثر من ثمانية آلاف متر ، ومنطقة هذا الجبل اعمر جهات عمان ، يكثر فيها السكان وتغزر المياه وتخصب الأرض ومناظرها الطبيعية بهجة للنظارين ، قال : « وتشبه بلاد عمان اليمن بجوها وأوديتها الخصبة ، وسكانها متحضرون كسكان بلاد اليمن ، وهم يقطنون المدن والقرى على سفوح الروابى وفى الأودية ، غير أن كثرة المراعى الجيدة فى السهول الواقعة وراء جبال عمان الضيقة جعلت قسما كبيرا من السكان يفضلون حياة البداوة وينتشرون فى تلك السهول » •

قال : « وبلاد عمان تشتهر بأنها موطن أجمل الهجن وأسرعها ركضا ، وتدعى هذه الهجن بالعمانيات ، وهى تصدر منا لسائر أقطار جزيرة العرب » ، قال : « وفى بلاد عمان أقنية كثيرة تحت الأرض لجرى مياه الينابيع العذبة الى المدن ، وأهم مدنها الداخلية الرستاق ونزوة » ، قال : « والساحل يقع على خليج عمان أمام سلسلة الجبل الأخضر سهل ساحلى يدعى الباطنة وهو خصب التربة يمتد نحو ٢٤٠ كيلو مترا » ، قلت بل أكثر من ألف كيلو متر شمالى مسقط ، ومتوسط عرضه ٤٧ كيلو مترا ، وهو مملوء ببيارات النخيل وبساتين الفاكهة التى تعتمد عليها عدة مدن فى معيشتها ، أهمها صحار وصحم والسويق ، قال : « وينخفض ساحل عمان فى خليج البصرة فيطغى البحر على

البر ليلا بواسطة المد ، وتتكون هناك سبخات ملحية تعيش من استخراج ملحهـا قرى كثيرة ، قـال : « وقد دعى هـذا الساحل بساحل القرصنة أى الملصة ، قال لأن سكانه كانوا قديمـا يحترفون صناعة القرصنة فى البحر ، أى هم يتلصصون » ، قـال : « أمـا اليوم فيشتغل معظمهم بالغوص على اللؤلؤ الذى يستفيد منـه العمانيون كمـا يستفيد منـه أهل البحرين والقطيف والكويت » •

قال : « وأهم مدن هـذا الساحل الشارقة التى سماها هـو شرجه ودبى وأبو ظبى ، قال وتقع جزر كثيرة معظمها تقع على خليج عمـان وترتفع وراءهـا تلال عالية فيهـا لأبراج عالية ، وقلاع حصينة ، ويحيط بالمدينة سور عال وخارجه عدة بيوت وبعض حدائق لا تكفى محاصيلها حاجة المدينة من الخضر والفواكه ، وهى من أشد مدن العالم حرارة وتمتد تجارتها الى الهند وشرقى أفريقية ، وتصـدر التمـر والملح والأسماك ، وهى عاصمة بلاد عمـان ، ثم قال : « صور تقع بين رأس الحد ومسقط ويشتغل معظم سكانها بالملاحة بين الهنـد والبصرة ، وتصل سفنهم البحر والقطر المصرى ، وهى مدينة قديمة يرجح أنهـا موطن الفينيقيين الأولين » ، فتراه يذكر مساحة عمان من الشحر الى قطر ، وأنهـا كبلاد اليمن ، وهى فى الحقيقة من بلاد اليمن كمـا سوف تسمعه فى كلام ابن خلدون الى مضيق هرمز وأم سندم ، ويقابل حدود ايران فى البحر العمانى الفاصل بين القطرين ،ووصف الجبل الأخضر وأنه أعمر جهـات عمان ، ولا لوم عليـه لأنه وصف غريب لا اطلاع له على الحقائق لكنـا ننقل عن الغير فى تعريف عمان لغرض له بالمقام الملم ، ووصف عمـان بأنها موطن الهجن الجميلة كما وصفها أيضـا بذلك غيره ، والحقيقة أن الذين جاءوا عمـان وعلموا عنهـا فوق مـا كانوا يسـمعون أجمعوا فى أوصافهم وقرروا فى جغرافياتهم كل شىء صالح فى عمان ، ولو قلنـاه نحن لقال قائل انهم يمدحون بلادهـم ، والواقع يشهد على مـا نقول ، وسوف نقول ان شاء الله بعد مـا نفرغ

من نقل مـا قيل ونحقق الحقائق ، فان أهل مكة أدرى بشعابها ووصف سـهل البـاطنة وعد منـه صحار ، كمـا سماهـا صهار بالهاء بدل الحـاء المهملة • وصحم وسماها سـهام بالسين المهملة بدل الصاد والهاء بدل الحـاء المهملة والسويق وقلب قافها كافا ولا لوم على غريب ، فانه أخذ ذلك بالنقل عن مثله •

ووصف مسقط بشدة الحر ، وعمان كلهـا غالبا تغلب عليهـا الحرارة فى الصيف ، كمـا قال واصفوها جاهلية واسلاما ، من أن صيدها عتيـد وحرهـا شديد ، وكانت عمـان بأسرها كذلك ، وان كان بعضه أحر من بعض كمسقط ، وذلك لأنها تحيط بهـا الجبال مكتظة بهـا من جميـع الجهات ، فلا يخلص اليهـا الهواء لعسر طريقه اليهـا ، كأنمـا يشير اليهـا قول أبى الطيب حيث يقول :

إذا أتتهـا الرياح النكب من بلد
فمـا تهب بهـا إلا بترتيب

وذكر صور وهى كما ذكر من العمران القديم وأهلهـا الأقدمون هم الذين عمروا صور الشام لمـا ارتحلوا من عمان وسموها باسمها . وأهل صور أقوى من يصارع البحر منـذ الجاهلية ، وقد عرفوا بذلك وهم حتى الآن على ذلك ، ومن أشـد أهل عمـان على مصراع البحر باتفـاق أهل الملاحة فانهم يتغلغلون فى أقاصى الهنـد ، ويجر الهنـد معروف بأنه أخبث البحار ، كثير الأمواج كثير الأخطار ، ويسبحون فى البحار الأخرى حتى النيل ، والبحر الأحمر كاد أن يكون موطنهم الخاص ، وكم هلكوا فى هـذه الأبحر لكنهم مطبوعون على حب المغامرة البحرية ويشوقهم اليهـا ما يجدون من خيرات ومـا ينالون من أرباح ، فلذلك يستلذون الأسفار البحرية التى تدر عليهم بالغنى ، فيتنافسون فى ذلك أشـد منافسة ، ولا يكترثون بمـا يلاقون ، ومن اعتاد أمرا سهل عليه •

وأهم مدن عمــان قلهات وصحار الجاهلية خصوصا فى الساحل . وأمــا مسقط فكانت أهميتها الملحوظة بمهد البرتغال ، وأمــا نزوى فكانت أهميتهــا بعد تعيينهــا مقرا للامامة ، وسوف ترى الكلام على ذلك فى محلة . أمــا صور فهى قديمة العمران لهــا موقعها الطبيعى ومقامها الاستراتيجى كمــا يفهم ذلك أهل هــذا الصدد ، وأمــا صحار الآن فقد لحقت قلهات فسقطت الأهمية منهــا تصديقا لحديثه عليه الصلاة والسلام : مــا رفع الله شيئا إلا وضعه ، وقد شهرت الآن دبى وأبو ظبى ورأس الخيمة والشارقة ، وجاءت الآن موجة عارمة لمسقط ترفعهــا على متن الأثير تدعمها فيــه الثروة البترولية ، ونالت الشــهرة معهــا مطرح ، فهمــا العينان الباصرتان فى الساحل ، وأمــا الجبل الأخضر فهو عرش عمــان وحصنها الرفيع ، وعلى الرغم من وجود الطائرات فهــو غاب منيع لا تفتح قفله الا البيضاء والصفراء .

قــال عبد القادد زلوم فى كتــابه الذى ألفــه فى عمان والامارات السبع قال : ان عمان جزء من الجزيرة العربية يقع الى الجنوب الشرقى منها ، ويمتد قسم منــه يشكل شبه جزيرة تشــبه المثلث ، رأســه الى الشمال وينطح به بلاد فارس أى يقرب منها مسافة لامتداده فى البحر حيث رأس أم سندم ، كمــا أن شبه الجزيرة دعيت بساحل عمــان ، وهى التى تشمل الامارات السبع وجزءا من سلطنة عمان ، أمــا قاعدة هــذا المثلث فهى ترتكز على خط وهمى ممتد بين قطر وسلطنة عمان ، وأمــا باقى القطر العمانى فيشمل ساحل الباطنة عمان ، والجبل الأخضر والمنطقة الجنوبية وتتاخم الأولى (١) بلاد مهرة ، وأمــا الجبل الأخضر فيأخذ فى الانحدار تدريجيا حتى يتلاشى مع كثبــان الربع الخالى فى الغرب ، وعلى ذلك يمكن تقسيم القطر العمانى فى الوقت الحاضر على هــذا الشــكل .

---

(١) قلت : هذا خطا فبين مسقط وبلاد مهرة بعد بعيد والجبل لا يتلاشى مع كثبان الربع الخالى ا . هـ .

أولا ــ سهل الباطنة ويقع على خليج عمان ، وهو سهل ساحلى •

ثانيا ــ داخلية عمان •

ثالثا ــ المنطقة الجنوبية •

والحالة الاجتماعية فى القطر العمانى ان أول من سكن قطر عمان فى القديم فرع من العرب البائدة وهم العماليق ، ثم نزله بعد ذلك قبيلة عمان القحطانية التى أعطت اسمها للبلاد فدعيت ببلاد عمـان وبالقطر العمانى ، ثم حدث بعد انفجار سد مأرب أن رحلت الأزد الى عمـان ، وهى من كبرى بطون كهلان ، وضربت فى الأرض فسكن قسم منهـا تلك البلاد فسموا أزد عمان ، ويظهر أن أول بقعـة جذبتهم لسكنى تلك البلاد هى الجبل الأخضر حيث الأرض الخصبة والمـاء الغزير ، ثم توزعوا من هناك فى سائر القطر أنجادا وسواحل ، وأمـا باقى البطن من الأزد فقد تابعوا سيرهم الى بلاد أخرى ومنهم أزد شنوءة وغيرهم ، وقد تبع أزد عمان قبائل أخرى عدنانية وقحطانية بعد ذلك ، فسكنت تلك البلاد • وقد ظهر الاسلام والأزدهم أهل عمان وملوكها ، وقد دخلوا فى الاسلام عندما دخل الناس فى دين الله أفواجا على يد الصحابى عمرو بن العاص ، وفى عهد ملكيهم جيفر وعبد ابنى الجلندى ، وبعد مداورات ومناورات من القائد العربى الداهية ، وبين الملكين المذكورين ، وكان هو أول وال مسلم لتلك البلاد •

وكانت تعرف عمان فى عهده عليه الصلاة والسلام باسم الغبيراء ، والغبراء ، فلمـا بلغه اسلامهم قال : « رحم الله أهل الغبيراء آمنـوا بى ولم يرونى » وروى ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قـال : « إنى لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لهـا عمان على شاطىء البحر الحجة منها أفضـل » • أو قال خير من حجتين من غيرهما ، كمـا ذكرت أحاديث أخرى فى فضل عمان والحث على انتجاعها للرزق ، ومعلوم أن رسول الله ﷺ قد توفى والجزيرة العربية تدين بكاملها بالاسلام ، وعلى ذلك

فعمان هى قطعـة من الدولة الإسلامية التى نشأت على يد رسـول الله ﷺ •

ويقال ان عمان قد أخذت حظها من الردة فى عهـد أبى بكر رضى الله عنه ، ولكنهـا سرعان مـا أعلنت توبتها • قلت : لم تأخذ شيئا من الردة أبدا ، وانمـا وقع سوء تفاهم بين أهل دبا من شمال عمان والمصـدق ، فظن أن القوم قد ارتدوا ، لأن بركان الارتداد من العرب الذين لم يدخل الايمـان فى قلوبهم قد انفجر ، فقاس المصـدق أمرهم على مـا يسمع أو يسمع من غيرهم ، فعاجلهم وهم رهن الاشـارة الإسلامية ، فقبض عليهم قبضـة قادهم بهـا الى المدينة ، وأبلغ الخليفة عنهم فسرعان مـا تبين للخليفة الغلط من المصـدق ، فرد القوم الى مأمنهم مكرمين محترمين ، فلقى بذلك الطاعنون فى أهل عمان سـبيلا لتعليق الردة عليهم ، وهل يصح أن يقـال لو فرضنا ارتداد أهل دبا أنه صحيح ودبا بلاد من أدانى بلاد عمـان لا أهمية لهـا من الوجهـة الزعامية ، ولا رئاسة لهـا ، وإنمـا النظر يصـح أن لو كان ذلك من زعماء عمان وأوليـاء الأمر فيها ، وهـذا أمر قاله أحد المؤرخين بنـاء على الشـبهة التى ذكرناها ، فسرى فى أقوال المؤرخين وتداولوه فى تواريخهم ونادوا به فى عمان ليكون أحدوثة سيئة لعمـان ولأهـل عمان ، والحق هو هـذا وسوف ترى بسط ذلك فى محله عند الكلام على اسلام أهل عمان ان شاء الله •

ومن مدنهـا المشهورة ، مسقط ونزوى وصلالة وصحار وسمائل ، وتاريخها ذكر ابن خلدون أنهـا سميت باسم عمان بن قحطان أول من نزلهـا من العرب فى عهد أخيه يعرب بن قحطان ، ونقل صاحب تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان : « أن قبيلة الأزد اليمنية التى هاجرت الى هـذا القطر بعد حادثة سيل العرم وتهدم سد مأرب هى التى أطلقت عليهـا هـذا الاسم باسم واد كانوا ينزلون حوله بالقرب من مأرب يدعى عمان » كمـا تحدث عن وقوع حوادث حربية بين العرب من رجال الأزد

المهـاجرين من اليمن وبين الفرس الذين كانوا يحتلون هـذا القطر العربى تغلب العرب فى نهايتها على الفرس وأجلوهم عن البلاد ، ثم لحقت بعمان قبائل عربية من بنى سعد وعبد القيس وتميم وغيرهم ، فقد خضع هـذا الجزء من بلاد العرب قبل ذلك لحكومة التابعـة فى اليمن الذين امتد سلطانهم على كثير من أقطار الجزيرة العربية كمـا سبق فى موضعه ، فلما جاء الاسلام كان ملك عمان الى عبد وجيفر ابنى الجلندى الأزدى ، فبعث اليهما رسول الله ﷺ عمرو بن العاص السهمى بكتـاب يدعوهما فيه الى الاسلام ، وقال فى تحفة الأعيـان فى تعريف عمـان قال ابن خلدون : « هى من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن والحجاز والشحر وحضرموت وعمان » قـال الامام : « يعنى عمان بعض جزيرة العرب المشتملة على هـذه البلدان » .

قـال : « وهى خامسها اقليم سلطانى منفرد على بحر فارس من غربيها مسافة شهر ، شرقيها بحر فارس ، وجنوبيها بحر الهند ، وغربيهـا بلاد حضرموت ، وشماليهما البحرين كثيرة النخل والفواكه ، وبهـا مغاص اللؤلؤ سميت بعمان بن قحطان أول من نزل بهـا بولاية أخيه يعرب بن قحطان ، يعنى أن يعرب ولى عليهـا أخاه عمان فسميت باسمه وصـارت بعد سيل العرم للأزد ، وجاء الاسلام وملكوها بنـو الجلندى » الى أن قال « وهى فى الاقليم الثـانى ، وبهـا مياه وبساتين وأسواق ، وشجرها النخل » الى أن قال : « وقلهات هى فرضة عمان على بحر فارس وممـا يليها الشحر وحجار فى شماليها ، » وأراد بهـا صحار تحريفا للصاد المهملة بالحاء المهملة الى البحرين أى الأحساء بينهما سـبع مراحل ، وهى فى جبـال منيعة أى عمان فى جبال منيعة ، فلم تحتـاج الى سور ، وسيأتى أن عمـان كانت قبل العرب فى يد الفرس ، وأنها صارت اليهم بعد سيل العرم بعد حروب الخ الى أن قال : وانهم أسموها باسم واد كانوا ينزلون حوله ، اذا كانوا فى مأرب ، وأن الفرس كانت تسميها مزون وفى ذلك يقول قائلهم :

إن كسرى سـمى عثمـان مزونـا
ومزون يا صـاح خـير بـلاد

بلـدة ذات مـزرع ونخيـل
ومـراع ومشرب غـير صـادى

وقال المسعودى فى المروج : وسنجار قصبة بلاد عثمان وأراد بهـا صحار ، قلت هى صحار بعينهـا ، وانمـا حرف اسمها غلطا ، وقـال الأندلسى الشريسى : صحار سوق عمـان ، سيأتى ذلك عند الكلام على صحار ، قال : « ومرساها فرسخ فى فرسخ » ، أى كانت مرسى عظيما تكثر فيـه السفن بحيث يصـير امتدادها الى هـذه المسافة ، الى أن قال : « وبلاد عمـان ثلاثون فرسخا » ، قلت : إن كان أراد طول ساحل عمان ربما قارب ذلك كمـا سوف تقف عليه فى محله .

قال : مـا ولى البحر سهول ورمال ، ومـا تباعد حزون وجبال ، وهى مدن أى عديدة ، قـال : منهـا مدينة عمان أى صحار ، لأن لهـا الشهرة إذ ذاك » ، قال : وهى حصينة على الساحل ، قلت : كان تحصينها بأسوار تحيط بهـا قوية متينـة ، قال : « ومن الجانب الآخر ميـاه تجرى الى المدينة أى ان صحار كانت تسقيها المياه بالقنى المنجرة اليها من الأودية التى هى فى أعلاها ، وهى التى تعرف عند أهل عمـان بالأفلاج عرفا شائعا عاما الى آخر مـا وصفها به » ، وسيأتى ذلك فى محله ان شاء الله الى أن قال : « أحوازها مغاص اللؤلؤ ، لأن أحواز عمان كمـا عرفت الى الأحساء ، وكل هذا الساحل تابع لعمان ، وان قيل تابع لصحار غير بعيد ، لأن الشهرة فى ذلك العهد لصحار فى الساحل الشمالى .

قـال فى معالم الجزيرة صفحة ٢١ : « ان البراكين فى القديم هى التى كونت الجزيرة على هـذا الوضع الحاضر ، انمـا هو من عمـل

البراكين التى نرى من آثارهـا الآن الشىء العظيم ، فجميـع الحرارة الموجودة فى جزيرة العرب ما هى إلا اندفاعات بركانية خلفت لنـا الحجارة السوداء النخرة فوق الرمال القديمة فأمسكتها عن التفتت والزوال » الى أن قال : لقد حدثت حركات أرضية فوق الادوار القديمة سببت تكون أخدود البحر الأحمر ، وانقسام القـارة العظيمة الى قسمين قسم غربى البحر الأحمر نعرفه الآن بأفريقيا ، وقسم آخر شرقية نعرفـه ببلاد العرب ، وقد تكونت عمـان والجبل الأخضر بحركات أرضية مماءلة ، قال فان المستر برترام توماس يؤكد فى كتـابه (العربية السعيدة) أن بلاد عمان كانت فى الأعصر الجيولوجية قسما من بلاد ايران ، قلت : ان كان يعنى أنهـا قسم من بلاد ايران أى تابعة لهـا فمسلم ، لأن الفرس تولوا عمـان وألحقوها ببلادهم حتى جعلها أحد ملوكهم منفى لمن أراد نفيه من بلاده ، ومكثوا فيهـا عهدا طويلا الى أيام نبى الله موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام ، حتى أجلاهم العرب فى عهود قريبة من البعثة ، وتم جلاؤهم بعهـد الاسلام فى عمـان ، وان كان يعنى أن عمـان من بلاد ايران وتكون هـذا البحر الفاصل بين عمان وايران ففصلهما عن بعضهما بعضـا ، فمن الممكن ذلك إلا أنا لم نقف له على صحة ، وعلمـاء البحار يذكرون أمكنـة كانت أبحرا فصـارت برا ، وبرا صـارا بحرا ، وذلك بعد الطوفان ، ولعل هـذه الحرارة التى فى بلاد العرب نتيجة تلك البراكين أو الغـازات ، وأخص بالحرارة بلاد العرب وعمان من أحرها فلعلها أكثر بلاد العرب غازا ، وبراكين الغازات فيهـا غزيرة المـادة •

وعمـان مملكة خالدة من عهـد عريق تتولى ممالك فتضمها اليها أحينا وتتأخر فى بعض الأحايين فتبقى على كرسيها بعمـان ، وربمـا غزاها غزاة فى بعض الأزمنة فيتغلغلون فى قلبهـا ويتولون أمرهـا بشأن

الممالك الهامة التى تطمح اليهـا الأنظار ، وعمـان كمـا قيل عنها كرسى الجزيرة فى الشرق كثيرة المعادن المتنوعة .

واعلم أن عمان قديما اسم يشتمل هـذه الرقعة التى هى منتهى شبه الجزيرة الى البحرين الحسا ، فهـذه كلها عمـان فيدخل فيهـا العقير وقطر ، ثم تبدل هـذا الحال بعد ذلك فانفصل عن اسم عمـان ذلك الطرف الغربى المشار اليه ، ثم انفصلت قطر وأعلنت أنهـا قطر مختص بواحاته وصحاريه ، وبقى الاسم العمـانى شاملا لأبو ظبى ومـا يليها تشريفا الى مسقط ، ثم كاد أن ينفصل هـذا الى أقطار خصيصه حتى صار الخارج من دبى يقول انه رائح الى عمان وكذلك أهل الساحل على طوله ، فيبقى اسم عمان مختصا بالبلاد الداخلية وهكذا ، وهـذا من باب التغير الطـارىء لأحوال اقتضاها الحال فى عمان ، وبلغنى أن على بن عبد الله آل ثانى لمـا أطلع على الاسعاف ورأى فيـه اسم عمان يشمل قطر استنكر ذلك ، ولو رجع الى أصول التاريخ لم يستنكر ذلك ولأيقن أن لعمـان الشرف الطويل العريض ، ولم يتبرم من كون قطر قطعة من عمان ، ولو ألقى نظرته الى كلام أبن المغرب العيوبى حيث يقول فىقصيدته اللامية الهائية وهو البيت الثالث والخمسون منها وهو قوله :

وجازت قرى البحرين عيسى وأصبحت
عمانيـــة واستسهلتها سـواحله

قال الشـارح : « ويعنى بالسواحل سواحل البحرين من عمان » ؛ أن سواحل البحرين من عمـان لو نظر ذلك الأمير الى هـذا وأمثاله لمـا استنكر كون قطر من عمـان ولا عبرة بالتقسيم الطـارىء على الممالك ، فان ذلك شىء آخر غير مـا نحن بصدده ، فقـد صارت عمان فى القرن العشرين وهو القرن الرابع عشر الهجرى ممالك متعددة ، وأقطار منفصلة تتنافس فى الشئون ، ولا سيما لمـا صار الساحل المعروف بالمتصالح أو

المحمى كله امارات ، وفى قلب عمـان امامة مختصة بجانب منـه ، وفى ساحله سلطنة جائمة عليـه ، وهكذا صـار اسم عمـان يتعلق بالقلب الداخلى ، وبهـذا البيـان نعلم أن عمـان اسم شامل لهذه الامارات كلهـا ، وتقع البريمى فى القلب من عمان لا علاقة لهـا بأى قطر من أقطار الجزيرة العربية ، اللهم إلا إذا كان الحكم للسـيف لا للقلم ، فللسيف حكم التغلب والقهر وللقلم حكم التحقيق والعدل الى الحق ، ويرجع العدل الى الحـق لا الى التغلب ، ولو كان الحكم للسيف فلعمان أكثر بلاد العرب فى الجزيرة الى رأس الرجاء الصالح بشهادة الأجانب من اليهود والنصارى ، وباعتراف العرب فى معظم البلاد ٠

فانظر فى حيـاة الشرق وغيره من كتب التاريخ جاهلية واسلاما تجد التحقيق ، أمـا عمان الطبيعية فهى مـا يشمل مـا ذكرناه لا مـا يقوله الغير ٠ قال الخضرمى فى محاضراته إذ يذكر جزيرة العرب قال : « وأسياف البحرين وقطر وعمـان » قـال فى التعليق : « بلاد على ساحل الخليج بين البصرة وعمان » ، قـال : « وكانت هى وعمان أيام بنى العباس عملا واحدا » ، أى أن البحرين وقطر وعمان كانت تعتبر بلدا واحدا فى ذلك العهد ، وذكر قطر وهى بفتح القـاف وفتح الطـاء المهملة قرية على سيف الخط بين عمـان والعقير وهى أى العقير بحذاء هجر ، وقال فى صحار : « كورة عربية على ساحل بحر الهنـد بين حضرموت وعمـان ، » قـال : « وتنتهى الى البحرين » ٠ أى عمان نهايتها البحرين ، قال : « وقصبتها مدينة صحار » ، قال صاحب جغرافية الشرق الأدنى إذ يذكر الشحر : « تمتد هـذه المقاطعة أى مقاطعـة الشحر شرق شمالى مهرة وتعد جزءا من بلاد عمـان » ، قـال : « وينتشر سكانها فى الساحل بين جزائر كوريا موريا وجزيرة مصيرة الخ » ، وعلى كل حال ان الشحر قطعة من عمـان ، وان كوريا موريا همـا من عمان باتفـاق المؤرخين القدماء الذين هم الحجة فى تحقيق التاريخ ، أمـا

الذين يتبعون أهواءهم فلم يكونوا حجة فى شيء مـا ، والتاريخ العربى والإفرنجى شاهد بمـا قلناه .

قـال بعض الكاتبين : أن عمان هى جزء من جزيرة العرب تمتـد من حدود قطر الى حدود حضرموت وغير مضبوط عدد سكانها ولا يوجد بهـا احصاء رسمى ولا اهتمام لأهلهـا بذلك . قلت : بل لهم اهتمـام عظيم ، فقد روى أن سمال وهى محله بنزوى بلغ سكانها أربعة عشر ألفـا ، ولو لم يكن لهم اهتمام لمـا علموا ذلك فى القرن الثالث عشر الهجـرى .

ولا يعرفه أول من سكنها على الصحيح ، ذكر بعض المؤرخين أن قبائل العرب البائدة طسم وجديس كانوا بهـا والعمالقة هم الأخص بها ، قـال : « ولا يفهم أنهم انقرضوا أو أخرجهم الفرس منها » . قال : « وكتب أهل التاريخ القديم والحديث كثيرا عنها وعن سكانها » قال : « ولابن خلدون وابن الأثير قدم السبق » أى فى التحدث عن عمـان ، قـال : « وذكرها غيرهم كالطبرى واليعقوبى والمسالك والممالك » ، قـال فيلبى : « ان الأقسـام الجنوبية من شبه جزيرة العرب هى الوطن الأصلى للساميين » ، وأراد بهم ذرارى سام بن نوح عليـه السلام وقد سبق لنـا ذلك .

ذكر العوتبى فى الأنسـاب وهو أحد رجال العلم فى أوائل أهـل عـمـان .

وفى كلام بعض التميمين يقول :

ألا يـا من لصـب مستهـام
قريح القلب قـد مـل المزونـا

بفتح الميم وضم الزاى المعجمة قال المبرد فى معنـــاه المزون عمان وهو اسم من أسمائها ، قال الكميت :

فأمـــا الأزد أزد بنى ســـعيد
فأكــره أن أسميهــا المزونـــا

والمعنى أن اسم المزون اسم لعمان فأكره أن أطلقه على الأزد أى لا أطلق عليهم اسم بلدهم : وقال جرير :

وأطفأت نيران المزون وأهلها

أ ﻫ من شرح أبى الحديد على نهج البلاغة فى الجزء الرابع صحيفة ١٥٨ أ ﻫ ٠

قلت : ولنـــا فى رعاية الأحساب عن العمالقة هم بنو عملاق بنو لاوذ بن سام ابن نوح ، قال السويدى : وهم عظيمة طوال القـــامات يضرب بهم المثل فى الطول ٠ يقـــال رجل عملاق ، أى بالغ الطول قامات العماليق ، وكذلك عظم الجثمان ، تفرقوا فى البلاد فكان منهم أهل المشرق وأهل عمان والبحرين والحجاز » ، قلت : وهـــذا يدل أن من أول من سكن عمـــان العماليق ، قال : وكان منهم ملوك العراق وجبابرة الشـــام والجزيرة وفراعنة مصر ، ومنهم قبيلة جاشم بجيم بعدها ألف فشين فميم ، قـــال السويدى : هم بنو جاشم بن عملاق كانت مساكنهم يثرب والبحرين وعمـــان الخ ٠

منــاخ عُمـــان

أمــا مناخ عمــان فهو طيب جدا شتاء أو صــيفا ، وان وصفت بالحر فى الصيف فقد صح أن غيرها من بلاد العرب أحر منهــا ، (فنجد) أحر من عمــان بمسافات وكذلك سائر الجزيرة ، وان كان العراق والشام وباقى بلاد العرب من غير الجزيرة لا حر بهــا فعمان طيبة الهواء جدا ، أمــا السموم الحار الذى يهب فى الصيف فليس لعمــان منه أكثر من غيرها ، بل هواء عمــان دائمــا سجسج بارد أو معتدل ، وكذلك البرد لم يكن بهــا برد شديد بالنسبة الى باقى بلاد العرب ، فالرياح فى الطرف الشرقى من جعلان الى أطراف نزوى والظاهرة طلق نظيف لطيف ، وهواء البريمى كذلك ، أمــا هواء الباطنة ففيه بعض اللزوجة فى وقات غير طويلة المدى ، ثم تذهب لزوجته ويبقى باردا رطبــا تعشقه النفوس ، واذا تبرم منــه أهل عمان فمعنــاه لم يتعودوا على هواء البلاد الأخرى ، فالرياح لم تكن زعزعا الا نادرا ولا تقف أيضا بتاتا بحيث يسبب توقفها ثقــلا على النفوس كبيرا ، وأمــا هواء الجبل الأخضر فى الحر يكون رخيما طيبا يسلى النفس وينعش القلب وينشط الدم ، ولمــا فى الشتاء بارد جدا بحيث تؤذى برودته لغير المتعود بهــا لارتفاعه ، فانه يقدر ارتفاعه بأكثر عن عشرة آلاف متر عن سطح الأرض بحيث لا يحس الماشى بحر الشمس اذا مشى فيه وقت الحر ولو حافيا ، وفى الشــتاء اذا وقعت الأمطــار وهبت الريح يجمد المــاء .

جبــال عُمــان

اهم جبال عمــان الجبل الأخضر وهو الجبل الخاص ببنى ريــام عند الاطلاق ، ثم جبل الكور الخــاص ببنى هناة ، ثم قنــة وادى السحتن وهو الخاص بآل عبرة بن زهران ، ثم تبقى قطع من الجبــال

بعمان لهـا حكم الجبل الأخضر فى بعض الأحوال كجبل صيا فى حطاط ، وهو جناح مستطيل بوادى الطائيين وقطعة منـه بجعلان تدعى بجبـل قهوان ، ثم جناح يمتد من جبل بنى ريام مغربا حتى يعانق جبال الحدان ابن شمس فيستمر سائرا فى الغرب حتى يشرف على سفح البريمى . ثم تمتد جبال ليس لهـا من صفات الجبل الأخضر لا اسما ولا معنى . وبعض هـذه الجبال التى ذكرناها ليس لهـا حكم الجبل الأخضر إلا فى اللون أو فى العلو أو فى البرودة فقط ، أمـا جبل بنى ريام فهـو جنة عمان وجنتها ، وأمـا جبل الكور ففيه بعض من نوع مـا فى جبل بنى ريام ، وأمـا قنة وادى السحتن فهى قطعة من الجبل الأخضر فيهـا بعض الصفات الملحقة لهـا بحكم جبل بنى ريام ، ثم بقيت جبـال فى عمـان فخمة ضخمة فى ذاتهـا لكنهـا تخالف مـا ذكرنا فى صفاتها ، والجبل الأخضر على الاجمال حصن عمان من العدو الغـازى ، وحوض عمـان لحفظ مياهها وكرس الأمن فى غالب الأحوال ومستشفى المرضى من أمراض عديدة لا علاج لهـا إلا استنشاق هواه وأكل ثمره ، إذ هو روض من الرياض فى فواكهه وزهره ولطيف نسيمه وحسن رباه .

رمـال عُمـان

أعلم أن عمان أخذت حظها من الرمال المتناثرة والمتكدسة القـارة والمتنقلة ، ففى الباطنة رمـال مفروشة عليهـا معروشة وغير معروشة ، هادئة قارة لهـا عمقها فى الأرض صالحة للغراس على اختلاف أنواعه باجماع أهـل الفلاحة ، ولذلك صار اقليم الباطنـة عامرا أغلبه مأهولا مملوكا على طول السـاحل المتصـالح الى حيث ينتهى ، وفى عمـان الداخلية رمـال متنوعة منها الهادى والمتنقل والمتراكم وغيره من حملان والدقم ومحوت الى ظفـار فى الجنوب والى الأحقاف فى الغرب الى قطر ، وبادية الظفرة الى أبو ظبى ودبى فى الجانب الشمالى .

مراعى عُمـان

اعلم أن مراعى عمان كثيرة متنوعة لا يحصيها قلم كانت مهمـا كان ومهمـا صح له من فراغ وخصوصا أيام توالى الأمطار فانهـا تصير كلها سهلا وجبلا روضة خضراء ودوحة زهراء وجنـة بهجة ، الا أن أمطارهـا قليلة غالبا .

حيوانات عُمـان

اعلم أن عمـان بهـا كل الحيوانات الأهلية من الابل التى يضرب بهـا المثل فى حسنها وجمالهـا وفى ركضها وأحمالهـا باتفـاق خبراء العرب الذين لهم الخبرة والتجارب ، وقد شاع هذا عند المؤرخين قديما وحديثا ، وقضت به التجربة والعـادة أيضا ، وقد صح أيضـا أن لبن الحيوانات العمانية أصح الألبـان ولحمـا أطيب اللحوم بحيث لا يمترى فى هـذا أحد ، وأمـا البقر فى عمان فكالابل بغير مدافع ألبانهـا ولحومها على حد سواء فالسمن العمانى لا مثيل فى العالم باجماع أهـل الأقاليم ، وان قال بعضهم ان سمنهم قليل فيتمكنون من تصفيته ، فالحق أنه أطيب الأسمان ان لم يغش ، لأن المراعى العمانية أطيب المراعى ، فلذلك يكون اللبن والسمن أطيب الألبـان والأسماك واللحوم كذلك ، فان طيب المرعى مؤثر فى الراعى وهـذا لا يدفعه أحد إلا مكابرة .

وأمـا الغنم بعمان فهى كالابل والبقر فى طيب الألبـان والأسمان واللحوم ، وأنواع الغنم فى عمان كلهـا موجودة ولهـا نهاية الجودة ، بل ربمـا قال بعض الخبراء الذين لهم الدارية الكاملة ، ان حيوانات الداخل تفوق حيوانات الساحل ، وحيوانات الجبـال تفوق حيوانات الأودية ، والسيوح بعظم الأجسام وطيب الألبـان والأسمان واللحوم

حتى بالغ بعضهم فقال بالفرق فى الأرواث لدى الأسمدة ، وذلك غير بعيد أيضا •

وأما الخيل فخيل عمان تفوق على خيل باقى بلاد العرب ، لأنها تطعم القت والتمر العمانى ، وذلك هو الذى يكسبها التفوق فى ركضها والحسن فى هيئتها وجمالها ، ثم تليها خيل البحرين فخيل نجد كذلك •

وأما حمير عمان فهى أنواع منها حمير الجبل الأخضر كالبغال لا تختلف عنها فى شىء أبدا ولا تصلح فى الجبل غيرها وباقى الحمير عديدة الأنواع •

واما الحيوانات الوحشية

ففى عمان الوعل والظباء بكثرة الا أن السيارات الآن فرقت بها شعر بغر ، ويوجد بها الثعالب والأرانب ، ومن الحيوانات الضارية بعمان الذئاب والضباع ، أما الأسود والنمور والفهود فلا توجد بها أصلا إذ لم نجد لها ذكرا فى التاريخ القديم والحديث ، وتوجد بها الحيات المتوسطة الحجم والصغيرة الحجم أيضا أما الحيات الكبار التى تذكر فى البلاد الأخرى فلا توجد بعمان أصلا •

واما بحر عمان

فهو بحر الخير ومخزن الأرزاق لأنه كثير الأسماك الطيبة اللذيذة صغارا وكبارا ونوعا يسميه أهل عمان العومة ، وآخر يطلقون عليه ما دام طريا اسم البزية بتشديد الزاء المهملة والياء المثناة من تحت ، واذا جف سموه قاشعا بقاف مفتوحة فشين مثلثة فعين مهملة ،

ومن هـذه الأنواع يصـدر الى الخارج كميات كبيرة تعود على الأهالى بأثمـان وافرة ومبالغ مهمـة ، كمـا تكلم على هـذه الأنواع كثيرون من المؤرخين ، وفى بحر عمان من أنواع السمك ما لا يوجد فى غيره كثرة وطعمـا .

وفيه مغاص اللؤلؤ الذى هو أكبر الذخائر فى العالم ، ولا يوجد فى غير بحر عمان من ذلك ، وان وجد فشىء غير كبير الأهمية ، ومازال بحر عمـان هادئا مطمئنا قليل الأخطار كثير الخيرات عظيم البركات ، وعند أهل عمان يرجع ذلك لدعائه عليـه الصلاة والسلام حين استدعاه الصحابى الكريم مازن بن غضوبة السعدى السمائلى وقد شـهد ذلك وعسى أن نذكره فى محله ان شـاء الله .

أودية عُمـان

لقد ذكرنا فى مقدمتنا لتاريخ عمـان بعضا من أودية عمـان ونذكر هنا بعض منهـا وأهمها فى الداخلية وادى القريات ، وقد ذكرنا مبتـداه ومنتهـاه ، وهو واد كثير المزارع طويل المدى فيـه قرى متعددة وأفلاج مبعثرة ومزارع متناثرة على طول خطه .

وقريب منـه وادى عندام المنحدر من رؤوس العق والجرداء ، ويمر الى أن ينتهى فى الرمل الجنوبى من عمـان ، مأهول مسكون قراه وفلواته إذ هو كثير الفلوات واسـع الغابات ذو ريف جميل لا يخفى على من مشى فيـه .

ووادى حلفين بحاء مهملة مفتوحة بعدها لام ساكنة ففاء فمثنـاة تحفية فنون ينحدر من الجبل الأخضر من سفحه الشرقى ليمتد الى الرمل الجنوبى ويسقط فى الرمل كثير البلدان والسكان .

ووادى سمائل النازل من الجبل الأخضر بعض شعابه الغربية ، ثم يلتقى بشعاب أخرى عديدة كثير البلدان المحتوية على عشرات الآلاف من الرجال دون النساء والولدان ، لا يزال خصبة مستمرا الى أن ينزل فى رمـال الباطنة بالسيب ، يحتوى على أمهات القرى فى عمان .

ووادى بنى خالد فى الجـانب الشرقى واد متسـع مأهـول كثير السكان متسع البلدان ، واقع فى شرق عمـان ، من أكبر الأودية العمانية التى لهـا أهميتها .

ووادى الطائيين واد عظيم له شعاب واسعة وبه قرى وبلدان متعددة القبائل كثيرة العدد .

ووادى ومـا يشـتمل على قرى لبنى شهيم وغيرهم من سـائر القبائل وبه بلدان واسعة بالنسـبة الى تلك القرى الجبلية .

ووادى المعاول المشتمل على تلك الديار الفيحـاء ذات الحدائق الجميلة ، وفى رأسـه نخل وهى من أمهات القرى فى هـذا الوادى المنحدر من سفوح الجبل الأخضر المعروف أعلاه بوادى مستل بميم مضمومة وسين مهملة ساكنة وتاء مثناة فوقية وآخره لام ، وهذا الوادى من أكبر الأودية وأكثرهـا عمرانا .

ووادى الأبيض المعروف من أعلاه بوادى بنى خروص لاشتماله على بلدان بنى خروص وفى آخـره قرية الأبيض المأهولة ببنى صبح .

ووادى الرستاق أعمر الاودية العمانية وأكثرها أرزاقا على الاطلاق . لأن فى أعلاه قرى لبنى عوف وفى وسطه الى آخره قرى الرستاق المتعددة .

ذات الحدائق الغنـــاء ، والبساتين الزهراء ، والغياض الخضراء أو على الاطلاق هو وادى الخيرات ، وادى الأرزاق كثير القبائل واسع الفضائل .

ووادى بنى غافر من الأودية المتسمة التى لهـــا أهميتها فى عمان مأهول بقبائل عديدة تحت اسم بنى غافر فيه بلدان رائقة حسنة يبتهج بهـــا القلب .

ووادى الجهاور كذلك من الأودية المأهولة العامرة بقبائله العريقه .

ووادى بنى عمر من الأودية الهامة المعروفة المتعددة البلدان والقرى والمزارع الذى لا يزال عامرا كسائر أودية عمان ذو أهمية قبائلية وأمته التى تعيش فيـــه عيشة الأحرار .

ووادى الجزى المنحدر من جبال واحة البريمى المنصب فى النواحى الصحارية عامر بسكانه المتعددين من كتود ومقابيل وغيرهم من القبائل ، ويشتمل على بلدان معروفة لا تخفى على أحد لأنه طريق البريمى الى صحار الى الشميلية فى الغرب والى مسقط فى الشرق .

ووادى القور آخر الأودية فى الجهـــة الشمالية معروف عند الكل من مواطنين وأجانب ، وسكانه كذلك لا يخفى مقامهم وبلدانهم معروفة لا تحتاج الى ذكر ، وعلى كل حال ان هـــذه الأودية التى ذكرناها هى أمهـــات الأودية فى عمان ، والا فقد بقيت أودية كثيرة مأهولة عامرة لم نذكرها لصغر بلدانها وقلة قطانها ، لكن مجموعها يسد فراغا هاما فى عمان الداخليـــة ، ولا يخفى انا لم نذكر البلدان الواقعة فى هـــذه الأودية بأسمائها فضـــلا عن أممها وقبائلها ، ذلك شىء يطول وربما كان عسيرا ، فان مســـاحة عُمـــان تقدر بمساحة بريطانيا وكلهـــا مأهولة مســـكونة بقبائل متعددة .

ولا يخفى أن الوضع العمانى ينقسم الى قسمين ،، والقاسم لــه الجبل الأخضر ، فانه صــار سنام البعير وغاربه ، فأما الجانب الشمالى منــه من جوزة رأس الحد فى الشرق الى رأس أم سندم فى الغرب ، فهــو منخفض جدا نهايته البحر ، فانه يســير فى انحدار بحيث يغلب على القياس حتى يتصل بالبحر انحدأراً ملموسا ، فترى أمطاره تنقض الى البحر انقضاضا باهرا بحيث يحسبها الرائى انفجــار براكين هائلة لا صاد لهــا ولا راد •

أمــا القسم الجنوبى بخلاف هذا فانه يتنازل تدريجيا الى أن ينتهى فى الرمل كمــا قلنا ، ثم ان الله جلت قدرته جعل قيعــان الأودية المنصبة الى الشمال كلهــا صخرا يمنع بقــاء المــاء فى قيعانها ، بــل سرعان ما يسيل الى البحر ، وبعكس الأودية الأخرى ، ثم ان الجبــال الحالة فى الوسط العمانى هى الكفيلة بتقسيم ميــاه الأمطــار على هــذا الوضع الذى ذكرناه •

الولايات بعمان

اعلم أن عمان تشتمل على أكثر من أربعين ولاية فى الوقت الحالى ، والمراد بالولاية منطقة يحكمهــا والٍ وقاضٍ أو أحدهما ينفذان فيهــا حكمهمــا بشرع الله ، ويحكمان على القوى والضعيف ، ويستمدان قوتهما من الحاكم الأعلى ، ولهما جنود مدنيون يقومون بتنفيذ الأوامر ، وأرزاقهم جميعــا إمــا من السلطنة العليا أو من خراج نفس الولاية على حســب الاتفــاق بينهم ، على هدى القوانين الاسلامية عن السلف الصالح كما هو معروف عندهم أشبه بأيام الخلفاء الراشدين •

العواصم بعُمان

عواصم عُمان الساحلية :

أولها : مسقط — قال الحموى : « مدينة من نواحى عمان فى آخر حدودها ممــا يلى اليمن على ساحل البحر » . قلت هذه صفة لم تنطبق على مسقط ، ولكنها وصف غريب يصف الشيء على غير صفته ، فهى على ساحل البحر ممــا يقابل فارس أو على الأقل ممــا يلى مكران ، فأين مسقط من اليمن بل هى عاصــمة عمــان من البحر فى الجانب الشرقى الشمالى ، فهى مدينة من مهام المــدن على البحر العربى الفارسى عــلا شأنها وعظم مكانها منذ القرن الحــادى عشر للهجرة ، حين حل بهــا البرتغاليون وبنوهــا حصنا لهم بل حصونا وسوروها من الجبال بأسوار مكينة حين صــار ملك عمــان بأيدى الطغاة من آل نبهان ، واســتمر بهــا الحال أيام اليعاربة الأجــلاء الذين يفتخر بهم الدين وتبتهج بهــم الدنيا ، ثم اتخذها آل بوسعيد عاصمتهم الوحيدة وهكذا تطور وقتهــا حتى الآن ، ولله فى أرضه وبلاده نظرات والحمد لله .

والثانية : المطرح — وهى العاصمة الراقية لا تبعد عن مســقط فوق نصف ساعة على الماشى وعلى الســيارة الآن عشر دقائق أو دونها ، وهى مدينة تجارية أقام صرحها الحالى البترول وأنعش روحها السلطان الحالى قابوس بن سعيد المفدى ، فقــام بعنايته شرفهــا الجديد ، فهى مصب التجارة العمانية على اختلاف أنواعها وهى فى الثغر الباسم فى وجه القــادم الى مسقط ، وهى محاطة بجبــال منيعة كمسقط المــار ذكرها وبهــا الرصيف الذى أقامه بهــا السلطان قابوس .

ثم الثالثة : صور — وهى العاصمة الثالثة ، لهـا المقام المرموق فى العواصم الساحلية العمانية من نواح عديدة ، فهى بالجنبـة عزيزة منيعة ، وبعمان قلعة رفيعة وبالسلطان العُمانى كورة وقيعة ، تموِن عمان الشرقية وترمى بأبطاها فى المغامرات فى وجه الطليعة ، فى أفق مكشوف وفضاء معروف ، لهـا منظر بديع فى البلاد العمانية ، لا تباريها فيـه بلدة من البلاد العمانية الساحلية مهمـا كانت ، إلا أن أهلهـا فاقدون الحضارة ولهم فى سبر البحر زائد المهـارة ، وبهـا فى الأعلى منهـا حدائق غنـاء ناشئة على مياه عذبة لا يتصل بهـا البحر ، بهـا مزارع للخضراوات لا تزال وافية بحاجياتها ، الا أنهـا قائمة على الزجر لا على الأنهـار ، والآن يسر الله الآلات العصرية التى تقرب من الأنهار لتيسير مؤنتها وبذلك تصبح البلاد متقدمة جدا ٠

ثم صحار فى الجانب الغربى : صحار — العاصمة الرابعة ، قـال ياقوت الحموى ، فى الجزء الثالث ، فى حرف الصـاد بالضم أى بضـم الصـاد المهملة ، وآخره رآء مهملة ، قـال : وصحار قصبة عمان ممـا يلى الجبـل ، وتوام قصبتهـا ممـا يلى الساحل ، قلت : هـذا غلط فاحش ، ان لم يكن قلبـاً مطبعيا ، فان الأمر بالعكس ، فصـحار على البحر ، وقد أكل البحر منهـا أذرعا بل أبوعا ٠ وتوام اسم للبريمى ، والبريمى فى عنق عمان ، وهى احدى عواصم عمـان وأكبر مقاطعاتها فى الداخل ، قـال الحموى : « وصحار مدينة طيبـة الهواء والخيرات والفواكه ٠ مبنية بالآجر والساج » ، أى لكون الحجر بعيدا منهـا فى الجبال العالية ٠ والمرتفعات النائية ، قال الحموى : « كبيرة أى صحار ٠ مدينة كبيرة » ٠ قـال : «ليس فى تلك النواحى مثلها ، سميت بصحار بن أرام بن سـام بن نوح عليـه السـلام ، وهو أخو رباب وطسـم وجديس ٠ قـال اللغويون : انهـا تلى الجبل ، قلت ليس هـذا ممـا يختص به اللغويون بل هذا ممـا لكل ذى علم بالاطلاع عليه أن يقوله فلا مزية للغويين فيه يختصون بهـا ، ثم قال البشارى : صحار قصبة

عمان ليس على بحر الصين بلد أجل منـــه عامر آهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار وفواكه ، أجل من زبيد وصنعاء وأسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة ، قـال : والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة فى آخر الأسواق ، قـال ولهم آبار عذبة وقنـاة حلوة أى فلج بحسب العرف العمانى ، قـال : وهم فى سعة من كل شىء قال : « وهـو دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن » ، قال : « والمصلى وسط النخيل ومسجد صحار على نصف فرسخ أى فى وسط البلاد والمسافة لمنتهى صحار نصف فرسخ من الشرق الى الغرب أو من الجبل الى البحر أو من الكل » ، وجميع ذلك غير بعيد من الحق ، فان صحار كمـا وصفها انهـا دهليز الشرق ، وان أهلها فى سعة من كل شىء وهـذا مـا ليس عليه من مزيد ، وأنهـا خزانة الشرق كناية عن كثرة الأموال والأرزاق بهـا ، إذ كانت تصب اليهـا أموال عظيمة ، قال الحموى وهو يذكر محل مسجدها : « وثمت بركت ناقة رسول الله ﷺ » ، قلت : لم نعرف هـذه النـاقة متى بركت هناك ، ولعلها فى عهـد عمرو بن العاص أيام جاء الاسلام أهـل عمان ، وكان الركوب على النوق وان مركوبته هى ناقة رسول الله ﷺ ، أى احدى نوقه ﷺ ، قـال : « ومحراب الجامع مكوكب يدور ، فتـارة تراه أصفر وتارة تراه أحمر وأخرى أخضر وهكذا » ، قلت : ان المحاريب فى المساجد أول من أحدثها عمر بن عبد العزيز الأموى أيام تولى المدينة قبل خلافته تعيينا لموضع الامام من الجماعة فى الصلاة ، قال الحموى : « ولا أدرى كيف كان بروك الناقة وكأنه أخذ ذلك نقلا عن غيره » ، ولعل حقيقته مـا ذكرت لك قال : « وفتحها المسلمون فى أيام أبى بكر الصـديق رضى الله عنـه فى سنة اثنتى عشرة صلحا » . قلت : وهـذا من الخطـأ الفاحش الذى يقع فيـه المؤرخون ، ومنـه يتضح خطأ مـا قالوه فى

ردة أهل دبا ، بل ردة أهل عمان ، لقد صح واشتهر عند أهل العلم بالسير والتاريخ أن رسول الله صلى الله عليـــه وآله وسلم أرســـل عمرو بن العاص السهمى القرشى الى جيفر وعبد ابنى الجلندى ملكى عمـــان فى اسلام أهل عمان ، وذلك فى سنة ثمان للهجرة ، والقضية عند أهل التاريخ أشهر من نار على علم فسبحان من له الكمال وحده •

قـــال الحموى وإليهـــا ينسب أبو على محمد بن زوزان الصحارى العمانى الشاعر ، وكان قد نكب فخرج الى بغداد فقال يتشوق بلدته من قصيدته :

لحـــا الله دهـــرا شردتنى صروفه
عن الأهل حتى صرت مغتربا فردا

ألا أيهـــا الركب اليمـــانيون بلغـــوا
تحية نائى لدار لقيتموا رشـــــدا

إذا مـــا حللتم فى صُحار فألمـــوا
بمسجد بشـــار وجوزا بـــه قصدا

الى سوق أصحاب الطعـــام فانه
يقابلـــكم بابان لم يوثقـــا شـــدا

ولم يرددا من دون صاحب حاجة
ولا مرتج فضـــلا ولا آمـــل رفدا

فعوجوا الى دارى هنـــاك فسـلموا
على والدى زوزان وقيتم جهـــدا

وقولوا لـــه إن الليـــالى أو هنت
تصاريفها رفـــدى وقد كان مشـــتدا

وغيبن عنى كل مـا قد عهدته
سوى الخلق المرضى والمذهب الأهدا
وليس يضر السيف إخلاق غمده
إذا لم يفل الدهل من نصله حدا

وهـذا ليس من محل ذكر العواصم بل من محل ذكر أعيان عمان من علماء ونبغاء وخطباء وشعراء ، ولكن ذكرناه استطراداً كالتعريف بصحار .

واعلم أن العواصم الساحليةهى المنظور اليها من الوجهة الاستراتيجية، فإنها هى ثغور القطر وهى أبوابه فمهما تكون قوة الأبواب وحصـانة الثغور تكون قوة القطر ، فاذا كانت الأبواب خشـبية أكلتها الأرضة أو النـار ، واذا كانت حديدية فيحسب قوة حديدها وضـخامته وضعفه ودقته ، والقوة فى الكون هى العمدة فيه واليهـا المنتهى .

والثغور هى أسـوار البلاد وهى حصون الأقطار وهـذا مـا لا يمترى فيه أهل النهى .

أمـا العواصم الداخلية فهى عبـارة عن مواطن الحكـام الذين يحكمون البلاد وأهم العواصم الداخلية : نزوى إذ هى مقـر الامامة وعرش العدالة وكرسى الشريعة منـذ عهد غير يسير ، وأهل عمـان بطبيعة مقتضى مذهبهم غير وادعين الى الزخرفة العصرية ، ولا راكبين اليهـا لأسباب أبلتهم على هـذه الحال لا تخفى على عباقرة الرجال ، فنزوى عرش عمان الداخلية على كل حال .

الحلقة الثانية

فى الأمم التى قطنت عمان

أعلم أن عمان كغيرهـا من بلاد الله التى هى موطن الانسـان ، وبالأخص فـان جزيرة العرب هى قلب المعمورة بالنسبة الى الوضـع الطبيعى ، ولذلك فان الله جعلها مقر أجل النبوات العـامة منـذ أوجد الله الأمم البشرية فى الأرض ، وبالأخص أيضـا الأمم السامية ، وقد فرضنا على تاريخنـا هـذا ذكر الأمم التى قطنت عمان من سائر الأمم التى مرت بهـا الأزمان ، حتى يقف القـارىء على تحقيق الأمم التى قطنت الوطن ، ومرحت فيه قبله عهدا من الزمن غير يسـير ، ومـا كان لهـا فيه العيش ومـا أبدعت فيه من المصانع ، ومـا كان لهـا ، وعلى الأقل يكون محلا للاعتبار وعظة بمن سبق ولذلك أمر الله عز وجل بالاعتبار فى الكون وما احتوى عليه من بدائع وغرائب ، وعلى ذلك يعلم القارىء علمـا يحسن السكوت ليه •

فاعلم أن من أمم عمـان فى القديم السومريين وهم أول من أخرج النحاس ، أول مـا أخرج للعالم أخرجوه من عمان ، وكانوا يسـمون عمـان أرض ماجان ، وذلك لأربعـة آلاف سـنة قبل الميلاد أو يزيد عليهـا ، وأن الكلدانيين أيضـا من الأمم التى قطنت عمان كمـا يقول المؤرخ البريطانى برترام توماس والمؤرخ بلينى الكلاسيكى الذى كان فى القرن الأول للميلاد ، وكانوا يسمون عمان إبليتا ، وجاء الفرس ثم جاء قوم عاد فسكنوا عمان حتى أجلاهم منهـا عمان بن قحطان لمـا تولى عمان من قبل أخيه يعرب بن قحطان ، وكانت منازلهم بالرمل المعروف برمل الأحقاف وهو من عمان بغير خلاف •

وان الفينقيين سكنوا عمان وكانت صور بلادهم فارتحلوا عنهـا جلاء الى الشام ، وبنوا فيهـا مدينتهم المعروفة بصور الشام ، بدلا من

صورهم فى عمان ، لكن لم أعرف الذى أجلاهم ، ولعله عمان بن قحطان ، قال فى المنتخب وكان مالك بن حمير قد ملك عمان ، ثم ابنه قضاعة ، ثم ابنه الحاف ثم ابنه مالك ، ثم حاربهم السكسك الحميرى فأخرجهم من عمان .

قال بعض المؤرخين القدماء : «أما الآشوريون فقد استولوا على عمان وذلك زمن ملكهم تفلت فلاس الآشورى ، ثم حل محلهم البابليون الأخيرون فازدادت عمان بهم قوة وازدهارا ، ونشطت تجارتها إذ كانت الامبراطورية البابلية الثانية ذات اعتناء بعمان ، وأخذت فيها ردحا من الزمن ، وذلك فى القرن السابع قبل الميلاد ، ثم جاء كورش أحد ملوك الفرس ، فاجتاح البابلية اجتياحا من عمان ، واستطاع أن يحقق أحلامه فى السيطرة على الخليج العربى وموانئه المزدهرة على ساحل عمان ، وأزال البابليين من عمان كليا ، وحل محلهم الفرس» .

فيتبين من هذه الأقوال أن أول من حل بعمان السومريون وهم أول من أخرج النحاس قبل أن يكون له وجود ، فصنعوا منه المزهريات وهم الذين سموا عمان بلاد ماجان ، أى بلاد النحاس ، وذلك قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة ، وهذا يدل أنهم توطئوا عمان وتمكنوا من نواصى الأعمال فيها حتى أذن الله بزوالهم منها .

ثم جاء الكلدانيون فنزلوا عمان وقطنوا بها أعواما غير يسيرة وهم الذين سموا عمان ابليتا .

ثم جاءت الفرس الأولى فنزلت عمان وتولوا زمام الأمر فيها أعواما لا تقل عن سبعة قرون ، ثم أراد الله زوالهم منها بعد ما مرحوا فيها تلك القرون المشار اليها ، وزاحمت فيها قوم عاد إذ أفاضوا عليها من الجزيرة العربية موجات متوالية مزدحمة ، فكانت الأحقاف مركز

زعامتهم ومحل العتاة منهم ، كما أشار القرآن الى ذلك ، وكان لقوم عاد فى عمان النقض والابرام ، ولهم الصولة والطولة ، حتى لما تعاظم بغيهم وبالغوا فى تحكيم عواطفهم وعتوا عتــوا كبيرا فى أرض الله ، فأراد الله الذى بيــده كل شيء الانتقام منهم أرسل عليهم نقمته ودوخهم سخطه كما قص الله عنهم فى كتابه الكريم •

ثم جاء عثمان بن سباق الفنجديهى أحد الملوك ، فتولى عثمــان وطرد منهــا بقايا قوم عاد وعاش فيها هو وأرهاطه ردحا من الزمن ، ثم جاء عثمان بن قحطان واليا على عثمان من قبل أخيه يعرب بن قحطان ، وقد علمت أن أول من سكن عثمان ، عمان يفثان بن ابراهيم ، وقيل عثمان بن ابراهيم ، وقيل عثمان بن سبأ بن يفثان بن ابراهيم أول من بناهــا ، وهــذا هو الأقرب الى الصواب ، قال فى المنتخب صحيفه ٩١ : « وصار أولاد نصر بن الأزد فى أرض فارس وجوا بن شجر ، وهى عشيرة الجلندى ابن كركر » ، قلت : عشيرة الجلندى بن كركر معولة ابن شمس أ هـ • وقيل هو من أولاد مالك بن فهم ثم عاش العرب القحطانيون فى عثمان ردحا من الزمن ، وعثمان إمارة مستقلة لهــا أهميتها فى كل عهد حتى الآن •

قال الخضرمى فى محاضرته :

« عطف عمران بن عمرو مفارقا لقومه نحو عثمان ، وقد انقرض من بها من طسم وجديس فنزلها واستوطنها هو وبنوه وهم أزد عثمان ، فهــذا يدل أن طسم وجديس كانوا هم أهل عثمان أى قبل الأزد ، ولم يذكر من أجلاهم منهــا ، أمــا الفرس وهم آخر الأمم بعثمان فقــد أجلاهم مالك ابن فهم ، وذلك يدل أن الفرس أجلوا الأزد من عثمــان حتى جاء مالك ابن فهم ، وهم العريقون بهــا حتى أجلاهم مالك المذكور من عثمــان •

وتلك الأيام نداولهــا بين النــاس ، فتبين أن الأمم التى قطنت

عـُمان قبل القحطانيين أكثر من عشر أمم على الأقل ، فمنهم السومريون ، ثم الكلدانيون ، ثم العاديون ، ثم الفينيقيون ، ثم الآشوريون ، ثم البابليون ثم الفارسيون الأولون ، ثم الفنجديهيون ، ثم القحطانيون ، ثم السبأيون ، ثم الطسميون ثم الجديسون ، ثم الأرديون الأولون ، ثم الفرس الأخيرون ، ثم الأزد الأخيرون ، وكان ملك الفنجديهيين عثمان ابن سباق •

والسبأيون آل سبأ بن يفثان بن ابراهيم الخليل عليـه الصـلاة والسـلام ، وأمـا الأزد الأولون فهـم آل عمران بن عمـرو ، ثم الفارسيون الأخيرون المرازبة وأعوانهم ، ثم الأزد الأخيرون وهم مالك بن فهم وأتباعه ، ويدل على أن الأزد تولوا عثمان مرتين قول مالك بن فهم لجنوده ، عند ملاقاتهم للمرازبة فى حال حربهم ، إذ قال لهم مالك بن فهم من جملة مـا يحرّضهم به :

« حاموا عن أحسابكم ، وذبوا عن مآثر آبائكم » • فقوله : عن مآثر آبائكم يدل أن لآبائهم بعـُمان مآثر ، فهـو يحرضهم على الذب عنهـا ، ومـا هى تلك المآثر هى كون آبائهم كانوا ملوك عـُمان قبـل هؤلاء المرازبة ، والمعنى إذا كنتم معشر المرازبة تعدون عـُمان ملككم فنحن كذلك ، فاما أن تقاسمونا فيها بناء على أنكم كنتم بهـا كما كنا نحن بها ، وإمـا أن نتقاتل بدعوى أنا كلنا ندعيها ، ولعل هـذا كان أول مـا اقتضاه نظر مالك بن فهم فى زحفة عليها ، وهـذا الذى ذكرناه منصوص فى كلام مالك بن فهم •

وكان مالك بن فهم بعـُمان فى أيام نبى الله موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ، وهو الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا ، وذلك دأبه إذا أراد التنقل من بلد الى بلد آخر ، أمر بأخذ السفن المـارة ببحـر عـُمان ، وكانت قلهات عاصمة عـُمان فى أيامه ، وكان أكثر نزوله بهـا لحصانتها من الغزاة ، فانهـا بلاد جبلية ضيقة على الغازى يشق عليه

دخول عمان منهـا ، وكانت ترى الأمم على الساحل كالغنم وهـم مسلوبوا سفنهم لا يدرون أين يتوجهون ، وهـذا شأن الملوك إلا مـا شاء الله خصوصا فى الجاهلية .

وكان مالك من هـذا الطراز ، وكانت قلهات حصنة الساحلى ، قال فيهـا ياقوت الحموى : « مدينة على ساحل البحر إليهـا ترفأ أكثر سفن الهند » قلت : ومنهـا يصطاد مالك السفن المـارة على البحر العمانى إذ ترسو بهـا ، قـال : « وهى الآن فرضة تلك البلاد ، وأمثل أعمال عمان عامرة آهلة ، وهى من أقدم العواصم إذا اشـتهر نزول مالك بن فهم بهـا وتحصنه فيهـا » . وأما ياقوت فيظنها جديدة العمران ، وليس الأمر كمـا ظن .

وفى مروج الذهب للمسعودى : أن مالكـا سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا فسـار بنوجفنة نحو الشـام وانفصل مالك نحو العراق، فملك على مضر بن نزار اثنتى عشرة سنة ، فدلّ ذلك أن العراق إذ ذاك مضرية ، فلمـا نزل بهـا مالك كان ذلك وفق شقاق القوم فيمـا بينهم ، فملكوا مالك بن فهم عليهم ، دفعا للشقاق بينهم ، قال : ثم ملك بعده ابنه جزيمة فامتد ملك جذيمة الى مشارف الشـام الى الروم نحو الفرات ، وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيرة بين بلاد الخـانوقة وقرقيسيا ، قال وأقـام جذيمة ملكـا فى زمن ملوك الطوائف خمسا وتسعين سنة ، وفى ملك أزدشير بابك وسابور الجنود ابن أزدشير ثلاثا وعشرين سنة ، فكـان ملكه ثمانية عشر سنة ومائة سـنة .

وذكر العوتبى فى الأنسـاب عن الكلبى : « أن أول من لحق بعمان من الأزد مـالك بن فهـم بن غانم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن نصر بن الأزد » ، قلت : نعم

إن أول من لحق بعمان من الأزد الأخير هو مالك المذكور ، لأن بلاد العرب قد عرفت نزول من نزل بها من الأزد الراحلين من اليمن ، وعرفت أن مالكا انفصل الى العراق وأقام بهـا فى جوار مضر ، فملكوه عليهم حين أبوا أن يملكهم واحد منهم لعتوهم على بعضهم بعضا ، ثم لم ير مالك المقـام مع قوم ملكوه على أنفسـهم ، فكانت المنـة لهم عليه بذلك ، وليس بملك من ملك لأن الملك إذا لم يكن ملكه عن قوة له على من ملك ، فان ملكه عارية مستردة ، فلذلك حول مالك بن فهم عزيمته الى عمان ليناطح الفرس فيهـا ويتملك مـا يتمثك منهـا بقوته ، وعمـان سبق الأزد فيهـا ثم أنجلوا عنها فعاد إليهـا مالك ليعيد ملكها له إن استطاع ، ويعيش فيها عيشة الأحرار •

وقال بعضهم : إن الدولة المعينية وهم من عمالقة العراق ، وقيل هم من الآراميين امتـد سلطانهم الى عمان ، ثم جاء الحمـورابيون بعدهم ثم السبأيون الذين هم آل سبأ بن حمير القحطانى ، فكونوا دولة الحميريين ، ثم تلاهم الفينيقيون ، ثم الأكاديون ، ثم الكلدانيون أيضا وهـم من أهالى الجزيرة العربية •

قال فى معالم الجزيرة إن سلطانهم امتد على الجزيرة العربية بأجمعها الى خليج فارس والبحر الأبيض المتوسط ، قال : وأمـا دولته فقبل الميلاد بثمانية قرون ، قال وأمـا التبابعة فقبل الميلاد بتسعمائة سـنة ، قال ويشترط فى التبابعة أن يكون الملك ضاما اليـه مع اليمن حضرموت والشحر وإلا فلا ، يقـال له تبع ، قال : وتبتدىء مدتهم بسنة خمس وسبعين ومائتين بعد الميلاد ، قلت : وهـذا يخالف مـا قاله أولا إن التبابعة قبل الميلاد بتسعمائة سـنة ، قال ومدة ملوك حمير تبلغ أكثر من ألفى سنة ، قال والآشوريون منسوبون الى أشور كمـا أن الفينيقيين منسوبون الى فينيق ، والحقيقة أن التحقيق للمدة التى عاشتها هذه الأمم

وتحقيق ملكهم يعسر على أهل هـذه العهود ، فان التدوين لم يكن موجودا خصوصا مع العرب ، وأن الذى يقال إمـا من أحاديث النبوات وأخبارها ، وإما من أقوال أهل الكتاب والتخطيط فيه غير مستنكر .

وخراب سد مأرب قيل فى القرن الثالث للميلاد ، وقيل فى الخامس وقيل فى السادس ، ومنـه يعلم خروج مالك بن فهم الى عمان ، وكم كانت مدته ، وعلماء التاريخ ليس هم الذين يدونون الوقائع أو يكتبون الحوادث ونحوها ، وإنما هم الذين يستنتجون الأمور من مقدماتهـا ، ويفهمون الأحوال من سـير الأعمـال ، ويستخرجون أحكام القضـايا من وقائعها وهكذا .

وفى التاريخ العثمـانى أمور هامة وقعت فى العهود التى مرت على الوطن فى حقهـا وباطلها سوف ترى ذلك فى هـذا التاريخ إن شاء الله .

وهـذه دبى فى زهوها وجمالهـا أصبحت طافحة بالأجانب يمتلكون نواصى الأموال ويقبضون على خيرات البلاد ويتغلغلون فى الأحـوال الخاصة فضـلا عن العـامة . اللهم انك تعلم مـا نقول قبل أن نقول ، فأحفظ لنـا ديننا من الأديان الباطلة ، واحفظ وطننا من اعدائنـا إنك كريم رحيم .

الحلقة الثالثة

فى نزول مالك بن فهم بعمان وحروبه للفرس الى إنتهاء أمرهم

قال الامام السالمى رحمه الله ، وسمعت من يدعى المعرفة بذلك يقول : إن ذلك كان قبل الاسلام بألفى عام ، وذلك يقتضى سبقه على عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بقرون ، واذا كان هذا قبل الاسلام بألفى عام ، وقد علمت أن عمران بن عامر نزل عمان قبل مالك بن فهم بمدة طويلة ، وكان قد سبقه بها أيضا عمان بن قحطان . فكان بين عمان بن قحطان وعمران بن عامر قرون متطاولة ، وبين عمران بن عامر ومالك بن فهم أيضا كذلك ، فغير مستنكر إذا قيل بين ذلك وبين الاسلام ألفى عام ، فيكون القحطانيون تولوا عمان ثلاث مرات ، وهذا قريب من الصحة بحسب استقراء التاريخ ، ولما قضى الله على مأرب بالخراب وقضى على أهلها بالانتقال والذهاب ، وأن يتفرقوا فى نواحى الأرض لحكمة أرادها الله عز وجل ، وقضى بها فى محكم الكتاب ، أرسل الله على مأرب سيل العرم ، فأجتاح السد الذى بناه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فهلكت البلاد وتفرقت العباد ، وخرجت الرواد ترتاد لهم البلاد ، فكان بعضهم خرج الى مكة وبعضهم الى المدينة ، وبعضهم الى الشام ، وبعضهم الى السراة ثم الى عمان .

كان مالك بن فهم على ما يظهر آخر من خرج منهم الى عمان ، لأن قرناءه الأجلاء الذين سبق لهم العلم الأكيد بخراب السد ، ورأوا الآيات الدالة على ذلك كما شهر من أمر كاهنتهم طريفة خرجوا الى البلاد ، وتوطنوا فيها آهلين ، وعاشوا عهدا طويلا ، ولعل مالكا كان يفضل المقام ببلاده مهما كان إمكان ذلك حتى إذا تحقق الأمر

ورأى ضرورة الخروج ، خرج ولابد أن يكون له سابق علم بعمان من حيث إن أعيــاص الأزد وعباهلها الذين قطنوا عمــان فى تلك العهود المشار إليهــا هم من قومه وبنى جلدته ، فلذلك على مــا يظهر اختــار عمان ، لا سيما أن عمران وآله حلوا بالشــام ، قال فى المنتخب إذ يذكر تفرق الأزد منهم : ســار الى السراة ومنهم من سار الى مصر ، ومنهم من ســار الى العراق . ومنهم من سار الى عمــان ، قــال : فأمــا من سكن عمان من الأزد فيحمد ، والحدان ، ومالك يعنى بن فهم ، قال : ومن الأزد الحجر ولهب ونارة وعائذ وبارق وسوام وحارثة وسنجار ، على عمان الى آخره ، فدل ذلك أن قبيلة من الأزد تدعى عمان سكنت فى جملة من سكنها من الأزد ، فلعل اسمها أطلق على عمان ، فشاع ذلك على القطر كله ساحليا وداخليا ، امــا يحمد فهو بن حمى الأزد ، وأما الحدان فهو بن شمس فرع أزدى ، وأمــا مالك فهــو معروف ، ولمــا الحجر فليس من الأزد ، وأمــا لهب ونارة وعائذ وبارق يبق منهم بعمان فيما علمنا ، ولعلهم دخلوا فى القبائل الأخرى ، وكذلك سوام وحارثة لم نعرف عنهم شيئا ، وكذلك سنجار ، وجاء فى تحفة الأعيــان أن سنجار قصبة عمان والمراد بهــا صحار والله أعلم بمــا قاله صاحب المنتخب . وكذلك على وعمان أمــا إن كان أراد بهم بنــو على فموجودون بعمان ، أمــا بنو عمان فــلا .

قــال الإمام السالمى نقلا عن المروج للمسعودى : « إن مالكــا سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمر بن عامر مزيقيا ، فســار بنو جفنة نحو الشام وانفصل مالك نحو العراق كــا سبق ، وبقى عند المضربين بالعراق ملكا مكرما محترما معظما ، إلا أنه كان مملكــا ولم يكن ملكــا ، كمــا هى العادة عند الملوك ، واستمر به الحال عهدا غير يسير » .

وقال أبو حاتم السجستانى عن أبى عبيدة عن أبى اليقظان : « أن سبب خروج مالك بن فهم عن قومه بعد تفرقهم فى البلاد حين أخرجهم

سيل العرم من جنتى مأرب ونزلوا بالسراة ، أن راعيـا لمالك بن فهم خرج بغنم وكان فى طريقهم كلبة ، وفى رواية ثانية ففيهـا كلب عقور لغلام من دوس ، فشـد الكلب على راعى مالك ، فرمـاه الراعى بسهم فقتله فتعرض صاحب الكلب لراعى مالك ، فخرج من السراة هو ومن أطاعه من قومه ، وذلك لأن دوسـا من أعياص مالك الأقربين اليـه ، فخشى الفتنة بينهم ، فسمى ذاك النجد الكلبـة من ذلك اليوم ، فخرج مالك يريد عمّـان فيمن أطاعه من ولده وقومه وعشيرته من الأزد ، ومن أطاعه واتبعه من أحياء قضاعة وسار متوجها الى عمّان ، وقد اعتزل عنهم من قبل ذلك ولده جذيمة الأبرش بمن صـحبه الى العراق من سائر أبطال الأزد » .

قال أبو المنذر بن هشام بن محمد بن السائب الكلبى : أخبرنى وشرقى ابن القطامى ، قالا : « لمـا خرج مالك بن فهم من السراة يريد عمّـان وتوسط للطريق ، حنت إبله الى مراعيها ، وأقبلت تلتفت نحـو السراة وتردد الحنين ، والابل دأبهـا ذلك لأنهـا تألف المواطن وتسـتوطن الأماكن فوق سائر الحيوان ، وعند ذا أهاجت حفيظة مالك فأنشد شعرا له فى ذلك لم نذكره » ، قال : « سار من فوره يريد عمّان ، فجعل لا يمر بقبيلة من قبائل العرب من معد وغيرهم من قبائل اليمن إلا سالموه ووادعوه لمنعته وكثرة عشيرته » ، ودل ذلك أن المسـير كان على الإبل عن طريق البر ، وانظر من أين يدخل مالك عمّان ، قـال : ثم سار فى مسيرة ذلك حتى أخذ على برهوت وهو واد بحضرموت ، فلبث فيـه ريثما يستريح فوجه قصـده الى عمّان فبلغه أن بعمّان الفرس وهم أهلها وساكنوها ولابد أن تقع بينـه وإياهم منافرات ، فأستعرض رجاله فاذا هـم زهاء ستة آلاف فارس وراجل ، فرأى أنهم كتائب تغنى عند الحاجة عن كثير من الجيوش لأسباب لا تخفى على الفطن ، فأقبل بهم يريد عمّان على الرضا والسخط ، وقد جعل على مقدمتـه هنـاة ابن مالك ويقـال فراهيد بن مالك ، وكان هذان النجيبان عنده من أنجب أولاده فجعلهمـا

فى آلفى فارس من صناديد الأزد وفرسانها ثم ســار يؤم عمـــان حتى انصب الى الشحر فتخلفت عنــه هناك مهرة بن حيدان بن عمرو ابن الحــاف بن قضاعة بن مالك بن حمير ، قال الكلبى : كان أول من خرج من العرب من تهامة مالك بن فهم الأزدى ، وعمرو وأبنــا فهيم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن الحاف ابن قضاعة بن مالك بن حمــير ، فنزلت الشــحر ، وتقدم مالك بن فهم فى قبــائل الأزد ومن معــه من أحياء قضاعة الى أرض عمان ، فوجد بعمان الفرس من جهة الملك دار ابن دارا بن بهمن اسفنديار ، وهم يومئذ أهلهــا وسكانهــا ، والمتقدم عليهم المرزبان عامل ملك فارس ، فعند ذلك أنزل مالك بن فهم من كان معه من الحشم والعيال والنساء والأثقال الى جانب قلهــات ، قلت : يتبين من هــذا أنه جاء عمان من طريق البحر إذ لا سبيل الى عمــان من هــذه الجهة على الخيل والإبل ، وكنت أحسب أنه جاء من طريق الشحر فدخل عمان من تلك الناحية الصــالحة للدخول بالرواحل العادية إذ ذاك ،أمــا من طريق قلهات فيلزم أنه تحمل بخيله وإبله فى السفن الى قلهات ، قــال : « ليكون أمنع لهم وترك عندهم من الخيل والرجل من يمنعوهم » ، أى ترك لهم حامية تمنعهم من العــدو إذا هاجمهم ، قلت لعله وجه الثقل والعائلة فى الســفن على طريق قلهــات وهــو الواضــح .

مالك بن فهم يروم التغلغل فى داخلية عُمان

لمـا نزل مالك بقلهات ترك الثقل هنـاك للمنعة التى تصون الحرم ، لأن قلهات كورة منيعة بالجبال ، وعند الحرم حامية كافية ، فان الفرس فى صُحار ومـا إليهـا من أعمـال ، والى أن يبلغ خبر نزوله صُحار ويتحقق مقصده فقد تمكن من تركيز دعائم إمارته ، وضرب معسـكره بعُمـان .

قال : « ثم سار هو ببقية عساكره وصناديد رجاله ، وقد جعل على مقدمته ابنـه هناءة فى ألفى فارس حتى دخل ناحية الجوف ، وهى قلب عُمان فتغلغل فيهـا على عزيمة ثابتة وجأش لا يتزعزع ، رضى الفرس بقراره أم لم يرضوا » ، قـال : فعسكر بالصحراء ، وأرسل الى الفرس يطلب منهم النزول فى قطر من عُمان ، أى يريد منهم أن يخصصوه بجانب يستقر فيـه فلا يضايقهم فيمـا عداه ،ولا يضايقوهم وكان المرزبان هو منهم بمنزلة الرئيس الملكفيهم فطلب منهم أن يسمحوا له بذلك ويمكنوه من المـاء والكلأ ، فيبقى بصـفة لاجىء بعُمان حتى يرى لنفسه مـا يصلح فيقيم معهم أو يرحل عنهم .

الفرس يعقدون مؤتمرهم فى ذلك

لما وصل اليهم علم نزول مالك بعمان ، وأنه يطلب منهم النزول والاستقرار بعمان على حال المسالمة والموادعة والاطمئنان ، لذلك أطالوا المقال فيما بينهم وائتمروا وتشاوروا ، وبعد التمحيص للخطب أجمع رأيهم على عدم قبول ما طلب مالك ، وألا يمكنوه وهو عربى صميم ، كما أنه ملك عظيم فهم يخشون من وجوده بعمان الاستيلاء عليها وصارحوه قائلين لا نحب أن ينزل هذا العربى معنا فيضيق علينا أرضنا وبلادنا لا سيما وأن الملك دارا بن دارا ربما لا يرضى منهم وجود مالك بن فهم بعمان ، وسورة الملك وغيرة الملوك على الممالك لا تسمح بمثل هذا الحال لمثل هؤلاء الأقيال ، وقالوا لا حاجة لنا فى قربه وجواره ، فلما وصل جوابهم الى مالك بعدم الرضا بمقامه فى عمان كشف عن حقيقة ما انطوى عليه ، وأنه لابد له من المقام فى قطر من عمان ، وأن يواسوه فى الماء والمرعى قائلا : (إن تركتمونى طوعا نزلت من عمان وحمدتكم ، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ، وإن قاتلتمونى قاتلتكم ، ثم إن ظهرت عليكم قتلت المقاتلة وسبيت الذرية ولم أترك أحدا ينزل عمان أبدا) . قال : « فأبت الفرس أن تتركه طوعا وجعلت تستعد لحربه وقتاله » .

مالك بن فهم يتأهب لمصـادمة الفرس بعمان

قال ثم ان مالك لما تحقق قيام الفرس عليه وأنهم غير تاركيه ، وتحقق ذلك بعد ما كان يظنه أثبت دعائم استقراره وقرر فى نفسه عدم الخروج مهما كانت الحال ، ولابد من الصراع بينه وبين القوم ، رتب أعماله ونظم رجاله ونفض غبار الأمن وتحمس الأسد فى غاباتها ، ولم ينظر الى الفرس إلا نظرة النهم للأكل وقرر أن يحتسيهم احتساء السم ، فاما شفاء وإما قضاء ، وعلى العز يحيا العربى أو يموت ، وكان معسكر مالك بن فهم وقومه بواحة منح فى قلب عمان ، وهو الذى حفر بها الفلج المعروف بفلج مالك ، والفرس إذا ذاك بالساحل من عمان ومعسكرهم بصحار عاصمة عمان وخزانة الشرق ، ولما رأت الفرس لابد لها من حرب مالك بن فهم أو يزول من عمان ، قامت فى عدها وعديدها وضربت أبواقها ونادت لحشدها ، وضربت طبولها وجاءت فى جيشها الضخم الكامل فى تعبئته الشديدة الشكيمة فى صرامته حنقا على العربى المحتل قلب عمان ، وصال المرزبان وجال وأمر أن ينفخ فى البوق الذى يؤذن فيه للحرب ، وركب هو فى جنوده وعساكره وخرج من صحار فى عسكر جم ، فيقال : إن عسكره كان أربعين ألفا ، وقيل ثلاثين ألفاً وخرج معه الفيلة ، وكان الفيل الواحد فى الحرب يعد عن ألف رجل ، وتوجه لإخراج مالك من عمان ، وكان مالك بن فهم فى جوف عمان اسما ومعنى ، فخرج المرزبان اليه فعسكر بصحراء سلوت بالقرب من الجبل الأخضر ، فبلغ مالك بن فهم سيد الأزد بعمان فركب ومن معه جميعا وكانوا فى زهاء ستة آلاف فارس وراجل ، وعلى مقدمته البطل المقدام هناءة بن مالك فى ألفى فارس من صناديد الأزد وفرسانها ، فأقبل فى تلك الهيئة حتى أتى صحراء سلوت فعسكر بازاء عسكر المرزبان فمكثوا

يومهم ذلك والروع ملء القلوب ، والشنشنة التعصبية تشتد بين الفريقين والنصر من الله ، ولم يقع بينهم تلك اليوم حرب ، ثم بات الفريقان بأوامره ، وكان هناءة بن مالك على الميمنة وفراهيد بن مالك على الميسرة ، الى جيش عدوه قليل العدد ، إلا أنه قوى العزائم ، فكتبوا كتائبهم وجهزوا جهاز الحرب ، فأوقف مالك بن فهم رجاله مواقفهم وعهد اليهم بأوامره ، وكان هناءة بن مالك على الميمنة وفراهيد بن مالك على الميسرة ، وأكرم بمليك يكون أحد أولاده على ميمنته فى الحرب ، وثانى أولاده على ميسرته ، ويكون هو قلب الجيش فى أهل النجدة والشدة من أصحابه ، وبات المرزبان أيضا يعبىء جيشه ويرتبه على نظامه فى ذلك الوقت ، ولما أصبحوا فى اليوم الثانى وتواقفوا للقتال وتأهب كل واحد من الفريقين لقتال عدوه ، قام مالك بن فهم فظاهر بين درعين ولبس عليهما غلالة حمراء ، ولبس على رأسه قطعة حديد تكون وقاية من ضرب السيوف وطعن السهام والرماح ، وغطى عليها بعمامة صفراء وركب جوادا له أبلق ، ثم ركب معه أولاده على تلك التعبئة ، وقد تقنعوا بالدروع والجواشن ، وكذلك فعل أبطال الأزد الذين معه والبيض على رءوسهم ، فلا يرى الناظر إلا حدق العيون تلمع كالنجوم •

فلما تواقفوا للحرب خطب مالك بن فهم رجاله خطبة الحرب ودعاهم دعوة القتال ،وحرضهم تحريض المستميت وجعل يطوف عليهم راية راية وكتيبة كتيبة، ويقول فى خطبته : يا معشر الأزد أهل النجدة والحفاظ حاموا عن أحسابكم وذبوا عن مآثر آبائكم ، وقاتلوا عدوكم وناصحوا ملككم وسلطانكم ، فانكم إن انكسرتم وهزمتم اتبعتكم العجم فى كافة جنودها فاختطفوكم بين كل حجر ومدر ، وباد عنكم ملككم وزال عنكم عزكم وسلطانكم ، فوطنوا أنفسكم على الحرب وعليكم بالصبر والحفاظ ، فان هذا اليوم له ما بعده أ هـ خطبة مالك بن فهم لرجاله الصناديد ، وجعل يحرضهم ويناصحهم ويأمرهم بالصبر والجلد ويدور عليهم راية راية وكتيبة كتيبة حتى استفرغ جميع كتائبه وعساكره •

المرزبان يبتدىء بفتح الحرب

رأى المرزبان الهيئة العربية حوله مستعدة لقتاله وكان هوجاء من صحار لذلك فزحف بعسكره وجميع قواده وجعل الفيلة أمامه وأقبل نحـو مالك ابن فهم وأصحابه ونادى لأصحابه بالحملة عليهم قائلا لهم : يا معشر فرسان الأزد احملوا معى فداكم أبى وأمى على هـذه الفيلة فاكتنفوها بأسنتكم وسيوفكم ، أى فانهـا قوتهم التى يعولون عليهـا ، وجنتهم التى يتسترون بهـا ، ثم حمل مالك بن فهم وحملت أبطاله معـه حملة عربية مملوءة حماسا وشـدة ، وراموا الفيلة بالرماح والسـهام ثم أردفوهـا بالسيوف ، فولت الفيلة راجعة بجملتها على عسكر المرزبان ، فوطئت منهم خلقا كثيرا ، ثم حمل مالك فى كافة رجاله الصناديد وأصحابه الأبطال على المرزبان وأصحابه ، فانتقضت تعبئة المرزبان وجالوا جولة ، ثم بانت العجم ورجعت الى بعضها بعض ، وأقبلت فى حدها وحديدها ، وصـاح المرزبان فى أصحابه وكافة جنوده ، وأمرهم بالحملة فحملوا والتقى الجميع واختلط الضرب واشتد القتال ، فـلا يسمع إلا صليل الحديد ووقع السيوف ، واقتتلوا يومهم أشد مـا يكون من القتال ، وثبت بعضهم لبعض الى أن حال بينهم ظلام الليل فانصرفوا ، وقد انتصف بعضهم من بعضـهم وعرفوا موقفهم الراهن ، وعظمت بينهم المحنـة ، فان كل فريق يقول إن غـلبنا غبنا ، وإن غلبنا لنفعلن فى العدو مـا يشفى غيظنا ، وقد أكل السيف شرارة الرجال من الفريقين ، إلا من الفرس أكثر عددا والعرب أقوى جلدا ، ثم أعادوا الحرب فى اليوم الثانى على ذلك النظام ، فكثر فى الفرس القتل وقويت جرأة العرب على القتال ، ومـا زالوا كذلك حتى حجـز الليل بينهم فكان الليل لدفن الأموات وعلاج الجرحى، وفى اليوم الثالث كذلك أو أشد ، فكان القتل آخذا مأخذه من الرجال ، والسيف يضحك فى أكف الأبطال، والأسنة لها الطعنة النجلاء فى ثغور الأفيال ، والحرب نار تلتهم كل مـا تلحق بلا جدال ،

فلما رأوا الحالة على هذا المثال خرج أربعة رجال من المرازبة والأساورة ممن كان يعد الرجل منهم عن رجل حتى دنوا من مالك بن فهم سيد الأزد ، وزعيم هـذه الحرب ، فقالوا له هلم إلينـا أيهـا العربى لننصفك من أنفسنا ويبادرك منـا رجل رجل ، فلم ير مالك إلا إجابتهم ولم يظن بنفسـه رهبة منهم ، إذ كان جأشـه ثابتا ونفسه أبيـه ، وقد تجرد لهـذا الأمر ووقع فيـه فلا مناص ولا خلاص منـه إلا بأحد الوجهين ، فتقدم سيد الأزد وقلبه جنته ، وخرج له واحد من أولئك الأربعة الأبطـال وتطاردا ساعة ، فمـا كان إلا دقائق حتى اختطفه مالك بالسيف على غرة ، فأرداه قتيلا . قال : ثم خرج له الثانى فعطف عليه مالك ومعـه نجـدة الملوك وحمية العرب ، فلم يتمالك أن قضى عليه بطعنـة طعنه إياها خر بهـا صريعا على الأرض ، ثم خرج له الثالث فكان مالك بن فهم أسدا فاغرا فاه ليلتهم مـا يلاقى ، وكان الفارس الثـانى ضرب مالكـا على رأسه فلم تصنع ضربته شيئا ، ثم لمـا ضرب مالك الفارس الثالث وكان عليه الدرع والبيضة ، ضربه مالك ضربة فلقت البيضة وانتهت الى رأس الفارسى ، وضربه أيضـا ضربة على عاتقة ، وكانت عليـه الدرع فأبان العاتق والدرع نصفين حتى انتهى سيف مالك بن فهم الى زج دابة الفارسى ، فرمى به فى الأرض قطعتين فلمـا نظر الفارسى الرابع مـا فعل مالك بأصحابه اندهش ، فهاله الأمر فأحجم عن ملاقاة مالك بن فهم ، وعلم أنه ان خرج فهو لا محالة مقتول : فكاعت نفسـه القتال وولى راجعـا ، الى أصحابه ، فدخل فيهم ثم انصرف مالك الى موقفه ونفسه فى نشـاط بالظفر ، وفى قوة بالنصر ، وفرحت الأزد بذلك ورأت أنهـا منتصرة على العجم ، فان النصر يسبب النصر ، وان المنتصر لا يزل يأمل النصر فيزيد فى نشاطه ويعظم من اغتباطه ، فلمـا رأى المرزبان مـا صنع مالك فى قواده الثلاثة دخلته الحمية والغضب ، وخرج من بين أصحابه وقال لا خير فى الحيـاة بعدهم ، ثم نادى مالكـا قائلا له : أيهـا العربى اخرج الى ان كنت تحاول ملكا ، فأينا ظفر بصاحبه كان له مـا يحاول ، ولا نعرض أصحابنا للهلاك ، وكان أنصف مالكـا فيما

دعاه له ، وقد أثار ذلك الغيظ ، وفضل الفارسى العاتى الموت على الحياة فى سبيل العز والشرف ، ولعله يرى من نفســه سطوة على مالك لم يهتد لهــا أولئك ، وإذا بمالك ذلك البطل المقدام يزحف الى قرينه المرزبان البطل الغضبان على قتل من قتل فى ذلك الميدان ، فخرج اليه مالك برباطة جأش وشدة قلب ، فتجاولا مليــا والناس تنظر اليهمــا حيث همــا زعيما تلك الحرب وقائدا وغاها ، وقد قبض الجمعان أعنــة خيلهمــا ينتظرون ماذا يفعل الزعيمان ، وبقية القوم من الطرفين واقفون ينتظرون ماذا يكون ومــا وراهما ، فصـــال المرزبان على مالك صولة الأســد الباسل ، فراغ عنه الماهر المحنك بلبان الحرب روغان الثعلب ، ثم عطف عليه عطفة فلق بهــا رأس المرزبان من مفرقه بضربة قطعت البيضة وأبانت الرأس فخر ميتا على الأرض ، وحملت الأزد على الفرس حمــلة أدارت رحى الحرب ولهــا زفير ، فحملت أبطال الفرس على مالك وأصحابه فاقتتلوا قتــالا شديدا من ظهر النهار الى العصر ، وأكل السيف فرســان الرجال وصدقتهم الأزد ضربا وطعنا فولوا منهزمين حتى انتهوا الى معسكرهم ، وقد قتل منهم خلق كثير وكثر الجراح فى عامتم .

الفرس تطلب من مالك بن فهم الهدنة

بعد هـذه الحرب استشعرت الفرس العجز عن حرب مالك بن فهم ، ورأوا طالع نحسهم يرتفع فى السماء كل آن ، وإقبـال الأزد فى استقبال ، وأيقنوا بالغلبة وماذا يكون عليهم غدا ، فلعل رجال مالك تقضى عليهم نهائيـا ، فعند ذلك أرسلوا الى مالك يطلبون منـه أن يمن عليهم بأرواحهم ويجيبهم الى الهدنة والصلح ، وأن كف عنهم الحرب ويؤجلهم سنة كاملة ليستظهروا على حمل أهلهم من عمان ، وأن يخرجوا منهـا بغير حرب ولا قتال ، وأعطوا على ذلك العهد والجزية على الموادعة ، فأجابهم مالك على مـا طلبوه منـه ووافقهم على مـا سألوه ، فتحملوا من سلوت الى صحار مقر زعامتهم ومـا حولها من البلدان المنتشرين فيهـا ، فبقوا فى تلك الأطراف الساحلية على المهادنة بينهم ، وأعطاهم عهدا على ذلك وميثاقا أنه لا يعارضهم بشىء إلا أن يبدءوه بحرب وقتال ، فكف مالك عنهم الحرب وأقرهم فى عمان مـا سألوه ، فبقوا فى حال أمن مسالمين للعرب ملازمين الساحل ، وكانت الأزد ملوكا فى الداخليـة سهولهـا وجبالها ، وإليهم أمر زعامتهـا ، وقد اندقت عصـا الفرس وأنهـار صرحهم .

مالك بن فهم يلقى نظرة الى قلهات

قد قدمنا أن مالكا خلف بقلهات النســاء والأطفال ، وترك معهم حامية مانعة ، فبعد انتهــاء حرب الفرس زحف الى قلهات ليؤيد زعامته فيهــا ، وهى الكورة المنيعة والفرضة الرفيعة ، التى لهــا الشأن إذ ذاك فى ساحل عمان ، لا لتقائها الوارد من الهند الى عمان ، والوافد من بحر العرب الى الخليج العمانى قبل صحار ، وأغلب محطات التجارة العمانية من هــذه الوجهة هنا ، وربمــا كانت أقرب لاستطلاع الأحوال الفارسية ، لأن طرق المواصلات البحرية لا تزال تؤدى اليهـا ، فانتقل اليهــا ريثمــا يتمهد أمره وتستقر دعائمه ويتوطد ملكه ، ولم يدخــل بذراعيه داخلية عمان لعلمه أن العدو لابد لن يرى منــه مــا يكره ، ويقصــد العدو بيضــة القــوم فتكون الذرارى فى مأمن من الحوادث المتوقعة ، وهــذا من بديع سياسته ، ولمــا رأى أن الدائرة تدور على الفرس ، وخرجوا من قلب عمان مدحورين ، هب الى قلهات وللملوك سياسات بقدر مــا هم فيــه .

قال الامام السالمى : « وانحاز مالك بن فهم الى جانب قلهات ، ثم لم يزل على باله أمرهم ، فكان يستعد لمــا أقبل من أيامه ، فانــه لا يدرى ماذا يكون عليه من القوم أو من غيرهم . وصرف الدهر غير مأمونة ، وقد تمرس مالك بقتــال العجم ، وشاع الواقع فى أحيــاء العرب ، فزاد ذلك من إكبــار مالك وإجلاله فى القلوب ، وعلت هيبتــه الهامات ، وصــار لا يأمل إلا حربا ولا يهوى إلا طعنا وضربا ، وفى أثنــاء مهادنة مالك بن فهم للعجم قاموا يطمسون الأنهــار الكبيرة ، لأنهم يعلمون أنهم لا قرار لهم بعمان إلا ريثمــا يرتحلون منهــا فى تلك المدة ، لأن المراسلات والابلاغات فى تلك العهود بالراجل أو الراكب النــاقة أو الفرس ، وفى كل شىء حكمة إلهية ، ولكل زمان أحوال ومناسبات

وقتية ، وهكذا ولم تكن الهدنة بين مالك ابن فهم والعجم تتنــاول إلا إعلان الحرب بينهم ، ووفاء العرب معروف عند الكل ، وغدر العجم لا شك فيه لا سيما وهم يفارقون البلاد مرغمين على الخروج منهــا ، فلا يتركون شيئا يستطيعونه إلا فعلوه •

وقد أشعروا الملك بمــا وقع عليهم من مالك بن فهم ، وذكروا له من قتل منهم من أبطالهم ومرازبتهم وأساورتهم ، وذكروا له مــا حل بهم من الهوان ، وأن مالك بن فهم حكم عليهم بالجلاء من عمــان ، فهم فى هدنة منــه ليرتحلوا من البلاد لا ليقروا فيهــا ، وكان ملكهم دارا بن دارا ملكــا عنيدا ، فاستشاط غضبا لقدوم مالك بن فهم على عمان ، ومن معه من صناديد العرب وقتله المرزبان فى جل قواده وعسكره ، وجميع مــا كان بينهم ومــا قابلوه به من الحرب ومــا صــار عليهم من الغلب ، ومــا حل بهم من الوهن والضعف ، ويطلبون منه الاذن بالجلاء من عمان بأهلهم وذراريهم الى فارس لاستشعارهم العجــز عن الحرب •

الملك يجهز قواته لحرب العرب فى عمان

لما وصل الخبر الى الملك دارا ، وصح معه ما وقع على قومه من القتل وما فعله بن فهم فيهم ، وما أصابهم من الهوان ، غضب غضبا شديدا ، وداخله القلق وحميت حفيظته ، وثارت به سورة الملك على العرب ، ولكن كان من يمن الطالع لمالك أن العجم لم يبلغوا الملك من أول مرة عن قدوم مالك بن فهم وعن ما طلب منهم من النزول بعمان على الرضا والسخط ، وإنما ظنوا أنهم قادرون على اخراجه وطرده من البلاد ، فخانهم الظن وكان ذلك خيرا لمالك ، ولو أبلغوه لقاد القوات ووالى الغزوات ، فلا يزال مالك بن فهم منه فى أزمات ، ولكن كما قيل إذا أراد الله أمرا هيأ له أسبابا •

وهنا أخذت الملك الحمية لمن قتل من أصحابه وقواده ، فعند ذلك دعا بقائد من قواده المرازبة العظماء عنده ، وأمره بالمسير الى عمان وعقد له على ثلاثة آلاف من رجاله الشجعان المجربين ، وقدمه على المرازبة والأسارة ، سيره ومددا لأصحابه المذكورين بعمان الذين نكبهم مالك بن فهم وحرض عليهم المناصرة والمؤازرة ، وعهد إليهم حرب العرب وإخراجهم من عمان ، وكل هذا ولا علم لمالك بن فهم بشىء منه ، فلما وصلوا سيرهم الى عمان ، وكل هذا ولا علم لمالك بن فهم بشىء منه ، فلما وصلوا صحار واجتمعوا بأصحابهم ، وأخذوا يتشاورون فيما بينهم ويتأهبون للحرب ، حتى انقضى أجل الهدنة ، فبلغ مالك بن فهم خبرهم واهتم لهم اهتماما كبيرا ، وجعل يستطلع الأخبار عنهم ، فتحقق وصول المدد إليهم فاهجت نفسه الأبية لما سمع وثارت به سورة العرب •

مالك بن فهم يتأهب لمصادمة العجم مرة أخرى

لما تحقق مالك نزول المدد المذكور ، ووصوله صحار ، وأنهم قاصدون حربه ، كان من مقتضى سياسته أن يظهر التجلد ويهتز للقاء ، وألا يروا منه وهنا أو ضعفا أو استكانة ، فلذلك كتب إليهم يهددهم قائلا : إني وفيت لكم بما كان بيني وبينكم من العهد وتأكيد الأجل ، وأنتم بعد حلول بعمان ، وبلغني أنه أتاكم مدد من قبل الملك ، وأنكم تستعدون لحربي وقتالي ، فالآن إما أن تخرجوا من عمان طوعا وإلا زحفت عليكم بخيلي ورجلي ووطأت ساحتكم وقتلت مقاتلتكم وسبيت الذراري وغنمت الأموال ، بهذا صارحهم غير وانٍ ولا وكلٍ ، وهو من إذا قال فعل •

فلما وصلهم رسوله هالهم أمره وعظم في أعينهم خطره ، وضاق عليهم ماهم فيه وأكبروا الأمر إذ جربوه بالأمس ، وأنه لا يقول إلا ويفعل ، مع قلة عسكره وكثرتهم بالنسبة اليه ، وقوتهم المتغلغلة بعمان ، وبذلك وبما صار عليهم منه سابقا من القتل تحمسوا وتجردوا لقتاله لا سيما وقد أرسلوا لذلك ، ولم يسعهم إلا مصادمته ، فردوا عليه أقبح رد وأغلظوا له في المقال ، فلما رأى منهم ذلك الحال زحفه عليهم كما قال ، ومعه عزمه القوى وصبره العظيم ، إذ يباشر الحرب بنفسه ويلاقى الأبطال قبل رجاله ، فخرج إليهم بخيله ورجاله ، حتى أتى أماكنهم التى تجمعوا فيها ، ووضعوا قواتهم عليها ، فقامت الفرس للقاء البطل العربى والملك الأزدى الذى عرفته بالأمس وعرفها ، فجاءوا بالفيلة أمامهم لأنها أعظم قواتهم وهى من أعظم القوات إذ ذاك ، فان الفيل الواحد يقوم مقام جيش ، وكان الفرس أعدوها لذلك ، وليس للعرب منها إلا قلوبهم وسواعدهم والنصر من الله ينصر من يشاء •

فلما تقارب الزحفان ، وتلاقى العسكران ، قام مالك بن فهم

يتفقد أصحابه راية راية ، وكتيبة كتيبة ، ويحرضهم ويلقى اليهم تعاليمه كمـا هى عادته السابقة ، وتركهم يهتزون للقـاء العدو الذى جاءوا له ، وكان هناءة على الميمنة ، وفراهيد على الميسرة ، وهما الجناحان وبهما يطير الجيش وهمـا قوته الموقفية وأركانه الحربية ، ونزل الشيخ فى القلب مع الأبطال المجربين ، والتقوا هم والفرس لقـاء رائعا ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، ودارت رحى الحرب كأشد مـا يكون مليـا من النهار ، ثم انكشفت العجم زالت عن مواقفها ، وخلفت فى موضع الحرب فيلهـا العظيم ، فقـام اليه هناءة بن مالك ، وضربه ضربة كادت تقضى عليه ، ثم لحقه فراهيد الصنديد ، فعرقب رجليه فخرج يدوس الرجال ويطـأ الأبطال وله صياح ، وكان ذلك ممـا يهزم العجم ويزعزعهم عن أمانيهم ويردهم على ورائهم ، ويفت فى عضدهم لا سيما وأن الانهزامات لا زالت تتوالى عليهم مرة بعد أخرى ، ويزيد نشـاط العرب لقتالهم ، ثم إن العجم ثابوا وتراجعوا وهم أبطال لا تتكر وليوث حرب .

الحرب تشتد بين مالك بن فهم والفرس لتنتهى

لمــا رأت الفرس فى هــذه المعركة لوائح التقهقر ؛ وأن مالكــا لابد أن ينفذ فيهم مــا صرح به لهم من أنه يقتل المقاتلة ويسبى الذرية ، أعلنوا لرجالهم الهجوم على مالك بغير مبالات ، وأن يصبروا لحرب مالك صبر المستميت ورأوا أن يحملوا على الأزد حملة رجــل واحد بحيث لا يبقى منهــم أحد فى موقفه ، فامــا النصر على مالك وإمــا الانهزام النهــائى ، فزحفوا اليهم بغير مبالات فجالت الأزد جولتها ونادت فى رجالها البواسل ، وناداها مالك الهمام قائلا : يا معشر الأزد اقصدوا الى لوائهم فاكشفوه ، فان لهــذا اليوم مــا بعده ، وتهاووا عليهم من كل وجه ،وحمل الشيخ حملته الملوكية فهوى على العجم كالنجم المنقض للرجم ، فسرعان مــا انكشف لواء القوم واختلط الطعن والتحم القتال ، وعظم النزال ، وارتفع الغبار ، وثار العجاج حتى حجب عين الشمس ، فلا تسمع إلا وقع السيوف وصليل الحديد وغمغمة الأبطــال ، وتراموا بالسهام فتقصدت، وتجالدوا بالسيوف فتكسرت، وتطاعنوا بالرماح فتحطمت، وصبروا صبرا جميلا ، وكثر الجراح والقتل فى الفريقين ، فبدرت بوادر الهزيمة للفرس الأشداء ، ولم يروا لهم قوة تقابل العرب غدا إذا زحفوا عليهم ، ففكروا فى المصير ، ورأوا الهزيمة أو الموت النهــائى ، وهمــا أمران أحلاهما مر ، ثم فضلوا الهزيمة فولوا منهزمين على وجوههم ، فأتبعهم فرسان الأزد الأبطال المنتصرون بنشوة النصر يقتلون ويأسرون من لحقوا ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وأسروا كذلك ، والحظ فى صالحهم يمشى •

وفى ذلك الأثناء كان المقدر أن التقى فراهيد بن مالك بن فهــم بأسنفديار ابن المرزبان ، وكان من أعظم قواد الجيش الفارسى ، فطعنه فراهيد طعنة أراده بهــا قتيلا ثم جلله بالسيف ليستأصله ، فهلك تماما

فى تلك الخطفة التى اختطفه بهــا ، ثم سارت فرسان الأزد فى أثر العجم وهم منهزمون ، فظلوا يقتلونهم ويأسرون وينهبون الأموال غنيمة طيلة يومهم ذلك ، حتى حال بينهم الليل فحجزهم عن بعضهم بعضـــا ، ولم يفلت منهم إلا من ستره الليل . قال الامام : فتحمل من بقى منهم من تحت ليله هاربا مستخفيا يتدارك النجــاة ، ويستبقى الحياة ، حيث لم تنفع الحرب ومــا كانت يوما فى صالح الفرس طول تلك المعارك ، وركبوا فى السفن وعبروا الى أرض فارس ، واستولى مالك بن فهم ومن معــه على سوادهم ، واستباحهم وغنم أموالهم ، وسجن من الأسرى خلقــا كثيرا ، فمكثوا فى السجون زمنا طويلا ، ثم أطلقهم ومن عليهم بأرواحهم ، وكساهم ووصلهم وزودهم وحملهم فى السفن الى أرض فارس ، واستولى على عمان كلهــا وملكها ومــا يليها من أعمالها على الخليج العمانى ، وسار فيها سيرة جميلة ، وبذلك انتهى جلاء الفرس من عمان فلم يبق فيهــا إلا مواطن تحت سلطان مالك المالك سيد الأزد فى عمان وزعيمهم المقدام ، وبذلك شاعت له أخبار فى أحيــاء العرب ، وأصبحت أحاديثه ألهوجة السامرين وأحدوثة المؤرخين ، فتنادت العرب يمنهــا وزارهــا للحاق بالملك الفاتح لعمان ، وإن بعمان الخيرات المتنوعة والحيــاة العربية العزيزة ، فمــا مضى وقت طويل إلا ورايات العرب تتوالى على عمان ، ولم يكن ليهــدأ روع مالك بن فهم خوفا من العجم ، وقد علم مــا وقع بينه وإياهم ، وتوتر الحال الى أقصى حد ، ولم يزل مالك ابن فهم يلاحظ الحركة الفارسية بدقة ، ومازال مستعداً للقــاء القوم غير مطمئن من جانبهم لمــا سبق بينه وإياهم وهم من عرفت ، وقد خرجوا من ملك عمان بين أســير وقتيل وجريح ، والى يظهر من اســتقراء التواريخ أن العجم لم يعودوا لحرب مالك بن فهــم ، ولعل ذلك لأجل أحوال داخلية عندهم ، فكان دارا بن دارا قد مات فى ذلك الأثنــاء ، لذلك تأخرت حركات العجم عن عمان ، وتولى الملك ولد دارا بن دارا ، ولم يتحرك لحرب عمان ، فانه كان جبارا ظالما عاتيا بالغــا فى العتــو أقصى المبالغ ، ثم كان قتله على يدى سليمة بن مالك بن فهم فى خبر عجيب

ذكره المؤرخون ، وأشار الى القضية الامام السالمى رحمه الله فى تحفة الأعيــان إذ قــال :

وكن الملك إذ ذاك على أرض كرمان ، ولد دارا بن دارا ، وكان الكلام فى قضية سليمة إذ قتل هــذا الملك المذكور ، قال : « وكان ملكا جبارا كثير العسف والظلم لأهل مملكته وقومه إلخ » فدارا بن دارا ابن بهمن هو الذى أرسل الإعانة للمرازبة الذين قاتلوا مالك بن فهم فى عمان ، هــذا الملك الذى قتله سليمة بن مالك بن فهم ابن ذلك الملك ، فأنه على أثر خروج عمان من يده الى يد مالك بن فهم قضى الله عليــه ، وتولى الملك بعده ابنــه ، وسليمة بن مالك بن فهــم ، فهمــا فى عهد واحد ، فدل ذلك على ما قلناه وهو واضح فان مالك بن فهــم ودارا بن دارا تعاصرا وسليمة وولد دارا المشار اليه ، كذلك فــان الفرس عادوا الى عمان بعدة وشدة .

وقال الامام السالمى رحمه الله فى تحفة الأعيان صحيفة ٤٧ من الجزء الأول : « ثم لم يزل الملك فى أولاد مالك بن فهم ولم يرجع أحد من الفرس الى عمان حتى انقضى ملك ولد مالك بن فهم ، وصــار ملك عمان الى آل الجلندى ابن المستكبر ، وهو من معولة بن شمس ، وصار مالك فارس الى آل ساسان وهم رهط الأكاسرة فتهادنوا هم وآل الجلندى بعمان على أن يجعلوا فيها لأربعة آلاف من الأساورة والمرازبة مع عامل يكون له بهــا عند ملوك الأزد ، فكانت الفرس فى الســواحل وشطوط البحر ، والأزد ملوك فى سائر البلاد والأمور كلهــا منوطة بهم ، فهــذا يدل أن الأمور تراجعت ووقعت فيهــا اتفاقيات تقتضى السماح للفرس بالمقــام فى الساحل ، وهم قدر أربعة آلاف كصفة حامية لهم ، ولعله كانت لهم رعايا أو بقيت لهم بقايا ، فراجعوا فيهــا واقتضت الأنظــار فى ذلك الوقت السماح لهم بالحلول بعمان لتهدأ الأمور وتخف نعــرة الشيطان ، فكان الساحل لهم والداخل للعرب ، وكان أمر العرب هو النافذ

فى البلاد ، وإن الخراج إذ ذاك فى الساحل لا فى الداخل ، وإنما المنعه فى البلاد لأهل الداخل ، إلا أن الفرس يفضلون الوجود بالساحل لذلك ، ولإمكان اتصالهم بقومهم ، فان بين الساحل وبلاد فارس القرب المعروف ، فان نيران ساحل مكران تترائى من الساحل العمانى ، فبقى الفرس المذكورين هنا حتى جاء الاسلام فأجلاهم ملوك بنى الجلندى من عمان إذ لم يقبلوا الدخول فى الاسلام ، فارتحلوا كليا من عمان » .

قال الامام السالمى رحمه الله : « وكان مالك بن فهم ملكا عظيما ، وكانت قبائل اليمن وغيرهم على منازلهم وعددهم يهابونه ويخافون بأسه فيفتخرون به ويتعززون بمنعته ، وكانت له جرأة وإقدام ما لم يكن لغيره من الملوك ، وكان ينزل ما بين عمان الى ناحية اليمن » . قلت : ولم لا تهابه قبائل اليمن وغيرهم وقد علمت ما صار بينه والفرس من التعارك فى عمان حتى أجلاهم منها راغمين مدحورين بعد قتال عنيف ، ومالك لا يزال وسط المعمعة وتتساقط القتلى بين يديه ، ولم لا يخافون بأسه وهذا حاله وقد عرفت جرأته واقدامه ونزوله ما بين عمان واليمن كان للاستطلاع على أحوال البلاد لما تحقق انكسار العصا الفارسية ، ولعله أيضا وافق حسن الحظ بموت الملك دارا كما أشرنا اليه سابقا ، فكان مالك بن فهم يتجول فى النواحى العمانية ، ويتفقد أحوال الوطن .

قال الامام : وأكثر نزوله بشاطىء قلهات من شط عمان ، وينتقل منها الى غيرها ، أى كان اتخذ قلهات محل أمنه وعاصمة مملكته . قال : وكان فى ناحية من نواحيه أى من بلاد عمان قد نزل ملك من ملوك الأزد يقال له مالك بن زهير من ولده عبد الله بن الأزد ، ولكنه لم يحقق الناحية التى نزلها ولا ممن هو من قبائل الأزد ، ولا على أى كيفية كان نزوله . قال : « وكاد يكون مثل مالك بن فهم فى العزة والمنعة والقدرة ، فخشى مالك بن فهم أن يقع بينهما تحاسد ، وأن يطمع أحدهما فى ملك الآخر فتقع بينهما الحرب ، وهذا يدل أنه كان لمالك بن زهير قسم

من ملك عثمان ، ولكنـــه لم يسبق له ذكر فى حروب الفرس ، ولعله كان نزل على بعض العواصم العثمانية ، فرأف مالك بن فهم الأعضاء والتغافل عنـــه ليكون له عونا وعضدا اذا تحركت الفرس عليه ، فانه فى قلق من القوم ، ولذلك لم يعارضه ، وكان من التفكير بمكان ، فوسع المجـــال لمالك ابن زهير » •

قال الامام : « فخطب مالك بن فهم إبنتـــه الحزام بنت مالك بن زهير قطعا لشافة التحاسد والتباغض بينهما » •

أعمـــال مالك بن فهم بعد إنتهاء الحرب

لـــا رأى مالك بن فهم انهيـــار صرح العجم فى عـُمـــان . وإنكسار شوكتهم رجع الى شؤونه الداخلية ليؤيدها بسياسته الحكيمة وآرائـــه السديدة، وألقى نظرته الى مـــا حول عـُمان من الممالك ، ومـــا يتبعها من البلدان ، وظل يتردد على الأطراف لأنهـــا الأبواب ، وكان ينزل فى النواحى المختصة ويقيم فى الأمكنـــة المنظور اليهـــا ، وهو الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا ، فكان ملكـــا عظيما فى العرب .

قال الامام ، فى صحيفة ٣٥ : « وكان ينزل قلهـــات من شط عـُمان . وينتقل من هنـــاك الى ناحية أخرى » أى كان ذلك عادته ، وقد علمت أمر قلهات فى عمان إذ ذاك وفتح للعرب دار الهجرة الى عـُمان ليطمئن بهم وتقوى شوكته بقومه فسرعان مـــا هاجرت العرب الى عـُمان زرافات ووحدانا ، يمانية ونزارية ، حتى ملأوا عـُمان فامتد سلطان مالك فى عـُمان حتى ضم إليهـــا البحرين وأطراف العراق ، فكان الملك الكبير العظيم السلطان ، بين ملوك الجزيرة العربية كمـــا أشـــار الى ذلك الامام السالمى رحمـــه الله حيث قال : « وسبب ذلك أن مالكـــا لـــا ملك عـُمان وأطراف العراق ومـــا حول عـُمان » ، فدل ذلك أن مالكا ملك أطراف العراق ومـــا حول عـُمان كالبحرين وأعمالها ، وكان ينتقل فى النواحى العـُمانية متفقدا شؤونهـــا ومتطلعا أحوالها ، ومراقبا سير الأعمال فى الجزيرة ، ولم يكن له معارض أو مزاحم ، ولم يذكر التاريخ عن مالك بن زهير شيئا من الأعمال فى عـُمان ، بل السلطان الوحيد والأمر النافذ لمالك بن فهم الذى لا يتغير دمه عند ملاقات الأبطال ، وقد طال عمر مالك بن فهم فى الملك ، فقـــد ملك عـُمان ومـــا حولهـــا سبعين سنة ، ولم ينازعه فى ملكـــه منازع من العرب أو من العجم ، وملك على مضر عشرين سنة ، وعاش مائة وعشرين سنة ، وكانت وفاته نتيجة الكيد الأخوى الأشبه بكيد إخوة يوسف ، وذلك

أن مالك بن فهم تزوج بنت مالك بن زهير كما قدمنا ، واشترط على مالك بن فهم أن يكون الملك فى ذريتهـا فوافقـه مالك بن فهم ، ولابد أن يكون ذلك مؤثرا فى قلوب أولاد مالك بن فهم خصوصا إذا جاءت برجال يتولون الملك بالوراثة عن بقية إخوتهم ، فكان من القضـاء والقدر أن جاءت الحزام بولد سموه سليمة مبالغة له فى السلامة ، وكان ولدا تلوح عليه مخائل النجابة ، وأحبه مالك بن فهم حبا بالغـا ، فقال إخوته هـذا ما كنـا نتوقعه ، وان سليمة لا شك أنه سيكون الملك علينـا تبعا للشرط الذى شرطه والد أمه مالك بن زهير، فتآمروا عليه أن يكيدوه بمكيدة تسقطه من كرسى محبة الوالد الذى له الشفقة التـامة عليه ، والعطف البالغ لـه حد الغاية ، وكان مالك بن فهم وضع الحرس الداخلى الذى يسـميه العصريون حرس الشرف على كواهل أولاده إذ لا يطمئن بغيرهم مهمـا كانوا ، وكان لكل أحد منهم نوبة ، فقالوا لوالدهم : أيهـا الملك إن ابنك سليمة لا يقوم بواجبه فى الحرس ، وإنه ينـام فنخشى عليك من قبـل نوبة سليمة ، وكان القصـد من ذلك أن ينكسر خاطر الملك عن سليمة فيطرده أو يرفضه ولا يقبل منـه فى الأعمال الخاصة شيئا فينتج ذلك سقوط سليمة من عرش الملك ، وكان بلغ من حب مالك لولده سليمة أنه كان يعلمه الرمى بالسهام الى أن أتقنـه ، وكان ذلك هو القوة فى الحرب فى ذلك العهـد ، وكان يحرس كإخوته فنسب اليه إخوته ضعف الهمة وثقل العجز ، وأنه اذا جن الليل يعتزل عن فرسان قومه ويتشاغل بالنوم والغفول عما يلزمه ، فلا تكن لك فيـه كفاية ولا غنى ، وجعلوا يوهنون أمره عند أبيه وينسبونه الى العجز والتقصـير ، فقال لهم مالك : إنكم لكذلك ومـا أحد منكم إلا وهو قائم بمـا عليه ، وأمـا قولكم فى ابنى أبى سليمـة فليس هو كذلك ، وان ظنى فيـه كعلمى به ، قـال : « ولم تزل الإخـوة

يحسد بعضهم بعضا لا يثار الآباء بعضا دون بعض ، فانصرفوا من عنده أجمعين راجعين بغير ما كانوا يأملون » .

قال الامام : « ثم مالك دخله الشك » قلت : لم يكن شكا ولكنه رعاية وهذا شيء من واجب كل أمير ألا يكون الأمير غير ناظر فى الأحوال ، فان ذلك من قبيل الإهمال الذى لا ينبغى ، قال : « فأسر مالك كلامهم ذلك فى نفسه الى أن كانت الليلة التى كانت فيها نوبة سليمة ولده . فخرج سليمة فى فرسان للحرس كعادتهم ، ثم اعتزل عنهم سليمة فى المكان الذى يكمن فيه ، وما كان لسليمة علم بذلك التآمر الذى تآمر به الإخوة من شأنه ، ولم يكن منه قصور ولا تقصير فيما سبق ، فكمن سليمة فى مكمنه المعتاد بالقرب من دار أبيه ، فبينما هو كذلك إذ أقبل مالك من قصره فى جوف الظلام مختفيا من حيث لا يعلم به أحد ليحقق مقال الأولاد فى أخيهم ، فتوجه قاصدا للموضع الذى فيه سليمة ليرى ما هو عليه من الحال ، فكان من قدر الله الذى لا محال عنه أن لحقت سليمة سنة فى تلك اللحظة التى ساق الله لها مالكا لتكون سببا لحتفه ، فأغفا سليمة على ظهر فرسه وهذا طبعا يعترى الانسان ، وكان سليمة قد تنكب كنانته وفى يده قوسه وهو على ذلك الحال ، فأحست الفرس شخص ، مالك وقد ألهم الله الخيل من الحس وجعل لها من البصر ما لم يجعله لغيرها ، وكان مالك بعيدا فصهلت الفرس عند ذلك لتعطى راكبها انذارا بما أحست به ، فانتبه سليمة ذلك البطل الشاب الجديد فى حركاته كلها ، القوى على أداء أعماله كما يلزم مذعورا من صهيل الفرس ، إذ من عادة الخيل ألا تصهل إلا لأمر تراه، فنظر سليمة الى فرسه وهى ناصبة أذنيها الى الشخص الذى أحسته ، وكان ذلك

إخبارا منهـا لصاحبها ، ففوق سليمة سهمه فى كبد قوسه ويممه نحـو الشخص الذى تشـير اليه الفرس ولا علم له أنه أبوه ، ولم يعلم مـا بمالك من الاهتمام فى ذلك الوقت ؛ فسمع مالك صوت السـهم حين يجذبه سليمة موجها له نحو أبيـه الملك ، فصـاح به : « لا ترم أنا أبوك » فبينمـا هو يقول أنا أبوك ،وقد أطلق السهم محلقا فى طيرانه نحو الشخص المرمى فقال سليمة عند ذلك بصوت المتلوم على مـا فرط « السهم ملك قصده » أى لا حيلة لى على رده ، فأصاب السهم مالكـا فى قلبه فخر صريعا ، وأرسلها سليمة مثلا ،وعند ذلك أنشد مالك تلك القصيدة التى جعلها تاريخا لحياته • وعبر فيهـا عن مهـام أعماله • وفيهـا يقول نحو سليمة ابنه •

أعلمه الرمـاية كـل يـوم
فلمـا أشتد سـاعده رمـانى

والمعنى أنى كنت أعلمه الرماية ليرمى عنى الأعداء ، فلمـا اشـتد وقوى كان راميـا إياى ، وفيـه تأنيب لسليمة ولعله يظنه عرف الشخص حين رمـاه أو أنى ناديتـه لا ترم فلم يكن منـه إلا الرمى ، ومن أين لسليمة العلم أنه أبوه ، ولمـا سمع نداء مالك لم يكن للسهم بمالك ، والقدر حاكم على الانسان ولابد من وقوعه ، ولكل شىء غاية ينتهى إليهـا ، وليست الجريمة على سليمة فان ذلك واجبة ، ولكنهـا نتيجة الكيـد الأخوى كمـا قلنـا ، وحب الرئاسة والتنافس فيهـا يقتضيان مثل هـذه الأحوال ، ولكن لم نعلم وقوع هـذا الحادث فى أى موضع من عمان ، لأن التاريخ العمانى قد شـاع بعدم النشر وتطـاول الأيام عليـه •

ولا شك أن خبر مقتل مالك كبير له أهميته الملكية ولابد أن يكون له ذكر فى السير ، إلا أن السير العثمانية ذهبت بجور السلطان فى عثمان ، وطول الزمان المـــار على عثمان منـــذ ذلك العهد ، وليتنا أدركتنـــاه فإنه من مهمات التاريخ ولعله فى قلهات والله أعلم .

اولاد مالك بن فهم وأعمالهم بعد أبيهم

اعلم أن أولاد مالك بن فهم كانوا خمسة عشر رجلا ، أولهم التوبي وبه يكنى مالك ، ولكنــه لم يذكر عنــه التاريخ شيئا ، ولعله مات قبل وقوع حرب الفرس ومالك ، أو أنه انعزل الى مكان آخر فلم يعرف خبره وقضايا العرب عديدة •

وأمــا جذيمة بن مالك : ويقــال له الأبرش والوضاح لوضح كان به ، فعدلوا عن الأبرش الى الضاح ، كان ملكا عظيما طال عهده ، وامتــد سلطانه من مشارف الشام الى الفرات من جهــة الروم ، وكان ينزل بين الخانوقة وقرقيسيا بموضع يقال له المضيرة ، وعاش أيام ملوك الطوائف خمسا وتسعين سنة ، وعاصر من ملوك الفرس أزدشير بن بابك ، وولده سابرو والجنود ، ومضى له فى عهدهما ثلاث وعشرون سنة ، فكان جملة ملكة ثمان سنين مائة سنة ، وقتلته الزباء فى خبر شهير عند أهل التاريخ والسـير •

وأمــا جماز بن مالك بن فهم : وكان اسمه زياد فلقب جمازا كان تملك على طوائف من معد بن عدنان وطوائف من اليمن ، ولكن لم يذكروا أين كان ملكه ، بل ذكروا أنه هو الذى ذكره الله فى القرآن بقوله عز وجل : (قــال لصاحبه وهو يحاوره) الى قوله : (وهى خاوية على عروشها) الآيات ، وعاش فى الملك عشرين ومائة سنة ، وكان جبارا عنيدا عاتيــا ظالما كافرا يضرب به المثل فى الكفر والظلم والجبروت ، فيقــال : أجبر من جمــاز ، وأكفر من جمــاز ، وأظلم من جمــاز ، قال الامام : « وقيل لم يملك العرب قط ملك كان أعظم كبيرا ولا أقتل لمعد منــه ، ذكروا من جبره وظلمه قطرة من بحر ، ويقــال كان ملكه من بلاد العالية الى جانب أيلة من الشام » ، قال الامام : « فصــار كفره فى الناس يضرب به المثل ،

وقهره على معد بالغ فوق الحد ، ولم تستطع معد أن تخرج من سلطانه ولا أن تكلمه فى شىء من الشئون ، ولا يقبل معديا يقابله مهمـا كان . وإن قابله أساء اليه غاية الاساءة وعامله بأسوأ المعاملة بحيث لا يبقى شيئا من سيىء المعاملات إلا عامله به فالوسم يشينه والشين يزيده شينا وهكذا دأبه معهم بغير مبالغة .

وأمـا هناءة بن مالك بن فهم : فكان أعقل أولاد مالك بن فهم كلهم ، وأثبتهم فى الأزمات وأعزهم نفسا ، وأكثرهم شأنا فى عمان ، وحسبك أنـه مازال ميمنة أبيـه فى تلك الحروب الفارسية العصبية ، وكان مثالا للنزاهة السلطانية فى وقته ، وهو الذى ملك عمان بعد أبيـه وأحسن الى الرعية وساسها سياسة الحكيم الماهر ، فلم تقم عليـه قائمة ولم ينكر عليه منكر ولا تنازل عن شبر من الأملاك العمانية حتى مضت أيامه على ذلك ، وهو الذى كان عزز ملك أخيه سليمة بن مالك فى أرض فارس حتى ثبتت دعائمه وقوى سلطانه ، واستقر ملكه وسكنت ثائرة الفرس عليـه ، واستمر ملكه فيهم عهدا طويلا حتى مات هناك على عزته وشرفه .

وأمـا سليمة بن مالك بن فهم : فقـد خرج الى أرض فارس بعد قتله لأبيه كما عرفت القضية بأسبابها فتخوف من معن بن مالك ، فنزل جاشك وهى المعروفة بجاشى ، ثم توغل فى أرض كرمان لاجئا فى أيام ولد دارا ابن دارا بن بهمن ، راجيا منهم الإيواء الجميل اللائق به حيث كان قاتل أبيـه مالك بن فهم عدو الفرس ، فيتقرب بذلك اليهم ويمدون له المدد الذى يؤيده فى حياته حيث قضى على عدوهم أبيـه ، فبقى فى كرمان حتى ساعده الحظ وسارت الأقدار فى صالحه ، حتى تملك عليهم إذ قتل ملكهم الطاغية بجوره عليهم فى حديث ما زال من طرف الأخبـار الملوكية ، وتولى الملك فى ذلك القطر بمعونة أعيـان البلاد حتى عاش فيهم هماما ممنعا الى أن حسدوه ، فقـالوا : الى متى يملكنا هـذا العربى ،

وهموا بمناوأته ، وهنالك استصرخ أخاه هناءة بن مالك ملك عـُمـان ، فلبى نداءه وأرسل اليه من صناديد الأزد مقاديم الرجال ، حتى نزلوا أرض كرمان ، فاهتزت لهم أرجاؤها ، وقام لنزولهم دهش الفرس ، فبدل أن يزيلوا سليمة عن الكرسى أصبح سليمة يهددهم فى عقر دارهم قاهرا عليهم ، وقد طردهم أبوه من عـُمان ودقهم دق العصف ، فصـار سليمة يطأ على أنوفهم سلطانا عليهم حتى مات هناك بأرض كرمان ، وكان له عشرة أولاد وهم نجب الأسفاهية ، لكنهم اختلفوا فيمـا بينهم من بعده فوجد العد باختلافهم السبيل الى زوالهم عن الملك •

قال الامام : « ومنهم الجلندى بن كركر أى من ذراريهم » ، قال : « وقد ملك عـُمان من ولده للصفاق وتسلسل من ذراريه ملوك » ، قلت : لم أدر متى كان ملك الصفاق ولكن لا يستغرب ذلك ، فان أخبار العرب فى الجاهلية مشهورة الغموض باجماع أهـل العلم والأدب ، وخصوصا فى عـُمان فان الأمية فى العرب شهد بهـا القرآن ، فلا يستغرب إذا ذهبت عنـا أخبارهم ، ولعله تملك فى الآونة الأخيرة وهى الأيام التى زال فيهـا الملك عنهم الى بنى الجلندى ، فانه وقع بينهم خلاف وشقاق ، وتلاشت الأمور ولكل شىء غاية ينتهى إليها •

قال الامام : « وجمهور بنى سليمة بأرض فارس وكرمان أكثر منهم بعـُمان ، ولكنهم اندمجوا فيهم فلا يستطاع إخراجهم ، والذين جاءوا عـُمان من ذرارى سليمة لأقليتهم فتناسلوا فيهـا » •

وأمـا فراهيد بن مالك بن فهم : كان معدودا من أشجع أولاد مالك ابن فهم فكان ميسرة أبيه فى حروبه الفارسية ، وقد شهرت شجاته وعرف مقامه ، وعاش أيام أبيـه وهو سهم ثاقب ، ولا بدع فان أباه من عرفت وقد عقب ذرارى عديدة ، ومن أشهرهـا آل فراهيد الخليل بن أحمد فى الاسلام أكبر العلماء الأعلام وأجل الفقهاء الكرام •

وأمــا ثعلبة بن مالك بن فهم : فهــو الذى اعتزل إخوته حين اختلفوا فى سليمة ، ورأى أخاه معنــاً يتألب على قتل سليمة بعد مــا حسدوه عند أبيه ، فكأن قتله على يديه ، فخرج ثعلبة لا الى أخواله التنوخيين إذ كانت أمه تنوخية فاندمج فيهم ، ثم سارت تنوخ بأجمعها الى جذيمــة الوضــاح ، وهو إذ ذاك ملك الحيرة فذرارى ثعلبة بن مالك فيهم بالشام والجزيرة الى اليوم •

وأمــا معن بن مالك بن فهم : فانه أشد الناس على السليمة فلم تُرضيه دية ولا قبل عذر سليمة ولا خضع لمقــال إخوته ، فكــان يتحين الفرصة لسليمة فيأخذه مالك على غرة فيفتك به ، ولكنه لم يظفر بــه حتى ارتحل سليمة من عمان الى فارس من أجله •

وأمــا عمرو بن مالك بن فهم : فلم تكن له أخيــار بعمان ، وكذلك أولاد الحارث بن مالك بن فهم ، ومن ذراريه الشــحوح المعروفون فى شمال عمان ، ويقــال إنهم لقبوا بالشحوح حين شحوا بالصدقة أيام أبى بكر رحمــه الله ، وهم من أولاد الحــارث بن مالك بن فهم على صحيح النسب عن أهل عمــان ، ولهم لهجة ينفردون بهــا دون غيرهم ولهم لغــة يختصون بهــا فيما بينهم ويتفاهمون بها وهم على ذلك منذ ذلك العهد القديم الى الآن بالنسبة الى جيرانهم •

الحلقة الرابعة

فى بدء الإسلام بعمان الى إنقضاء أيام الخلفاء الأربعة

لا يخفى أن بدء إسلام أهل عمان كان يسبق الصحابى الوجيه مازن ابن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مر بن حيان بن أبى بشر ابن حطامة بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طى ، وكان من أهل سمائل ، قدم على رسول الله ﷺ عند أول ظهور الاسلام بعمان ، وأسلم ودعا له النبى ﷺ ولأهل عمان بخير ، وكان من خبره أنه كان يسدن صنما له فى الجاهلية فى سمائل يقال له ناجر ، تعظمه بنو خطامة وبنو الصامت من طى ، قال مازن : فعترنا يوما عند الصنم عتيرة ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : يا مازن اسمع تسر ، أى يسرك ما تسمع ، ظهر خير وبطن شر ، بعث نبى من مضر بدين الله الأكبر ، فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر ، وهو اسم من أسماء النار أعاذنا الله منها :

قال مازن : ففزعت لذلك فعترنا بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت صوتا من الصنم يقول : أقبل الى أقبل تسمع مالا يجهل ، هذا نبى مرسل ، جاء بحق منزل ، آمن به كى تعدل عن حرنار تشعل وقودها بالجندل » فقلت : إن هذا الخير يراد بى وإنه لعجب ، أى مثل هذا الحديث عجب يظهر من الصنم ، وهو يؤنب عليه ويعظ ، قيل فبينما نحن كذلك أى نتحدث عن هذا الحال الذى سمعناه من الصنم ، وأنه لا شك أن له نبأ إذا قدم علينا رجل من أهل الحجاز ، فقلنا له : ما وراءك ؟ فقال : ظهر رجل من العرب يقال له أحمد ، يقول لمن أتاه أجيبوا داعى الله ، فقلت : هذا نبأ ما سمعت من الصنم ، فقمت الى الصنم فكسرته ، وركبت راجلتى فقدمت على رسول الله ﷺ وأسلمت ، وفى العتبى : أن القادم قال : « ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبد مناف يقول لمن أتاه : أجيبوا داعى الله ، فلست بمتكبر ولا جبار ، ولا مختال أدعوكم الى الله وترك عبادة الأوثان ، وأبشركم

بجنة عرضها السموات والأرض وأستنقذكم من نار لظى لا يطفأ لهيبهـا ولا ينعم من سكنهـا » ، قال مازن : فقلت هـذا والله نبأ مـا سمعته من الصنم ، فوثبت إليـه وكسرته جذاذاً أى قطعاً ، وركبت راحلتى حتى قدمت على رسول الله ﷺ ، فسألته عمـا بعث له فشرح لى الاسلام ونور الله قلبى للهدى فأسلمت وقلت :

كسرت ناجرا أجـذاداً وكان لنـا
ربـاً نطيف بـه ضـلا بتضـلال
بالهاشـمى هدانـا من ضلالتنـا
ولم يكن دينـه منى على بال

أى مـا كنت أحتسب لدينه ولا أتوقعه حتى مَنّ الله به على فهدانى له وهـذا من الحظوظ السماوية المخزونة لأهلها ، قال :

يا راكبـاً بلغـن عمـراً وإخوته
أنى لمن قـال ربى ناجر قـالى

قال العتبى : قوله : بلغن عمراً يريد بنى الصامت واسـمه عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهـان بن الغوث بن طى ، وقوله : وإخوته وفى رواية وإخوتهـا يريد بنى خطامة بن سعد بن نبهـان بن الغوث ابن طى ، قـال مازن : « فقلت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم وآلك : ادع الله تعالى لأهل عمان » . فقـال : « اللهم اهدهم وأثبهم » أى أرزقهم الهداية والثواب ، أو من الإثابة وهى الرجوع أى أرزقهم الرجوع للى الحق والمراد به الاسلام ، قال مازن : فقلت : « زدنى يا رسول الله » . فقال : اللهم أرزقهم العفاف أى الصيانة ، والكفاف ، أى الاستغناء ، والرضا بمـا قدرت لهم ، أى بحسب تقديرك لا بحسب قدرتك ، فإن قدرة الله

يعجز عنهـا الكون كله . قـال مازن : قلت : « يا رسول الله البحر ينضح بجانبنا » أى قريبا منا ، أى إن بلدنا قريبة من البحر والمراد بها عمان ، فادع الله فى ميرتنا وخفنا وظلفنا ، والمراد بالميرة الطعـام ، وبالخف الإبل والبقر ، وبالظلف الغنم ونحوهـا . فقال الرسول عليـه الصلاة والسلام : « اللهم وسـع عليهم فى ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم » ، قلت : زدنى . فقال : « اللهم لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم »، فكان بحر عمان أكثرهم الأبحر خيراً على الإطلاق . قال رسول الله ﷺ « قل يا مازن آمين ، فإن آمين يستجاب عنده الدعاء » . أى إن قول آمين سبب لاستجابة الدعاء عند الله كمـا صح فى روايات تناقلها أئمـة العلم وأطالوا المقـال فى شرح هذه الكلمة الوجيزة ، فينبغى أن تقـال عقب كل دعاء يدعو به المسلم له أو لغيره ، وهى خاتم رب العالمين . قال مازن : « فقلت آمين » . ومعناها استجب على الصحيح فهى اسم فعل .

مازن يشكو حاله لرسول الله

كان من حسن حظ مازن رحمه الله أن شكا الى رسول الله ﷺ لما علم صدق النبوة وتحقق خالص الإيمان، ورسخ الاسلام فى قلبه ، فقال يا رسول الله : إنى مولع بالطرب وبشرب الخمر ، لجوج بالنساء وقد نفد أكثر مالى فى هذا ، فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ويهب لى ولداً تقربه عينى ويأتينا بالحياة ، فقال النبى ﷺ : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، والحرام الحلال ، وبالعهد أى الزنى عفة الفرج ، وبالخمر رياً لا إثم فيه ، وآتهم بالحياة وهب له ولداً صالحاً تقربه عينه » ، قال مازن : فأذهب الله تعالى عنى ما كنت أجد من الطرب والنشاط لتلك الأسباب ، وحججت حججاً ، وحفظت شطر القرآن ، وتزوجت أربع عقائل من العرب ، ورزقت ولداً سميته حيان باسم أبويه الرابع والسادس ، وأخصبت عمان فى تلك السنة وما بعدها ، وأقبل عليهم الخف وكثر صيد البحر ، وظهرت الأرباح فى التجارات ، وأمن عدد من أهل عمان ، فدل ذلك أن مازن المذكور قام بنشر الاسلام فيمن أطاعه ، ووفق الله ناساً للاسلام بواسطة مازن المذكور وأسلموا ، وظهرت بعمان من دعائه ﷺ لهم بركات عظيمة ، وعمت عمان كلها حيث قال رسول الله ﷺ : « اللهم اهدهم ، فأهل عمان أكثر أهل الجزيرة العربية هدى وأصدقهم إيماناً » ، والدليل عليه أن أكثر العرب ارتدوا ونبذوا الاسلام غير أهل عمان ، فإنهم ثبتوا على إيمانهم ولم يغيروا شيئاً ولم يبدلوا أمراً من أمر منذ ذلك العهد ، قال الامام : ولمازن فى ذلك شعر حيث يقول :

إليك رسول الله خبت مطيتى
تجوب الفيافى من عمان الى العرج

والعرج موضع بقرب المدينة المنورة والمراد به نفس المدينة

قــــال :

لتشــفع لى يا خير من وطىء الثرى
فيغفر لى ربى فأرجــع بالفلج

والمراد بالفلج النصر أى فأرجع منصوراً بالإسلام . قال :

إلى معشر جانبت فى الله دينهم
فلا دينهم دينى ولا شرجهم شرجى

ومعنى جانبت خالفت ، والمراد بالشرج المخالفة أى يقــال ليس من شرجه أى شكله وطبقته . قــال :

وكيت امرأ باللهو والخمر مولعــاً
شبابى الى أن آذن الجسم بالنهج

يذكر فى هــذا البيت مــا ذكره لرسول الله ﷺ عند إسلامه ، فأبدله الله بذلك الخير الذى لايناله إلا من وفقه الله ، فتبدلت حال مازن الى أطيب الأحوال ، فكأنه يعرب عن شكره ويصرح بذكر الخير الذى وفقه الله له وأعانه عليه ؛ فبدل أن يكون ربه ناجراً ، ربه الله عز وجل ، وأبدله بالطرب قراءة القرآن ، وحفظه شطره فكان ذلك من حسن الحظ للشيخ السعدى رحمه الله . قال مازن :

فبدلنى بالخمر أمنــاً وخشــية
وبالعهر إحصاناً فحصن لى فرجى

فأصبحت همى فى الجهــاد ونيتى
فلله مــا صومى ولله مــا حجى

هـذا من الشكر بمكـان وذكر النعمـة شكر (وأمـا بنعمة ربك فحـدث) •

قال : فلما كان فى العـام القابل الذى وفدت فيـه على رسول الله ﷺ وآله ، هـذا يدل أن مازناً عاد على الرسول ﷺ فى السـنة الثانية ، فقص عليه عن حال أهل عمان ، فقلت : يا المبارك بن المباركين الطيب ابن الطيبين ، قد هدى الله قوماً من أهل عمـان ومنّ عليهم بدينك ، وقد أخصبت عمان خصباً هنيئـاً ، وكثرت الأرباح والصيد بهـا ، فقال عليه الصلاة والسلام • « دينى دين الاسـلام سيزيد الله أهـل عمان خصباً وصيداً ، فطوبى لمن آمن بى ورآنى ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن لى ولم يرنى ولم ير من رآنى ، وأن الله سـيزيد أهـل عمـان إسلاماً » ، أى سينتشر الاسـلام حتى يعم أهل عمان كلهم فكـان الأمر كذلك •

وجاء فى خبر الفرس الذين بقـوا بعمان الى أن جاء الاسـلام وانتشر فى الجزيرة العربية ، وكتب رسول الله ﷺ الى ملك الفرس وهو كسرى أبرويز بن كسرى أنوشروان يدعـوه الى إسلام ، فمزق كتـاب النبى ﷺ ، فبلغ ذلك النبى ﷺ ، فقال عليه الصـلاة والسلام : « اللهم مزق شمله كل ممزق » ، فلم يفلح كسرى بعد دعوة النبى ﷺ وآلـه وسلم، فسلط الله عليه ابنـه فقتله ، وابنـه هـذا هو شيرويه ، ثم إن شيرويه هـذا اهتم بأمر النبى ﷺ وخاف على نفسه ، فكتب الى عامله بعمان واسمه باذان ، ويقـال الفستحان وهو المرزبان القائم عنهم بعمان ، ولقبـه المرزبان بحسب عرف العجم ، يقول له فى كتـابه : أن أبعث من قبلك رجلاً عربياً فارسياً أى يعبر بالفارسية عن العربيـة يحسنهما معـاً ، صدوقاً ، أى يمكن أن نعتمد على مقـاله ، ويكون قد قرأ الكتب ، أى له علم بخير مـا يأتى من النبوات ، وأرسله الى الحجاز

يتعرف خبر هـذا النبى العربى الذى يشيع خبره الآن فى العالم ، فبعث باذان ويقـال الفستحان رجلاً من طاحية يقـال له كعب به برشـة الطاحى ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب ، أى كتب النصرانية ، فقدم كعب المذكور المدينة وأتى النبى ﷺ فكلمه فرأى فيه الصفات التى يجدهـا فى الكتب ، فعرف أنه نبى مرسل فعرض عليه النبى ﷺ الاسلام ، فأسلم كعب ثم رجع الى عمان فكان الصحابى الثانى بعمان ، قال فأتى باذان فأخبره أن النبى ﷺ نبى مرسل ، فقال هـذا أمر أريد أن أشافه فيه الملك ، واستخلف على أصحابه الذين بعمان رجلاً من قومه يقـال له مسكان ، خرج باذان الى الملك كسرى بفارس ليشافهه فيمـا هو بصدده من أمر هذا النبى الوارد ذكره على مسامع العالم ، ثم إن رسول الله ﷺ كتب الى أهل عمان ، أى يدعوهم للاسلام ، وكان الملك بعمان فى ذلك العهد الجلندى بن المتسكبر ، وأرسل إليه رسول الله يدعوه للإسلام هو ومن معه من أهل عمان ، فأجاب الداعى وأرسل الى الفرس الذين بعمان ، وكانوا مجوساً فدعاهم الى التدين بهـذا الدين والإجابة الى دعوة محمد ﷺ فأبوا ، فأخرجهم الجلندى قهراً وصغراً من عمان ، أى أرغمهم على الخروج من عمان حيث لم يقبلوا الدخول فى الدين ، ولم يروا بداً من الخروج ، حيث إن العرب أقوى منهم بعمان ، وإليهم أمرها .

قال الامام ، وقال آخرون : « إن النبى ﷺ وآله وسلم كتب الى أهل عمان يدعوهم الى الاسلام ، وعلى أهل الريف منهم عبد وجيفر ابنـا الجلندى ، وكان أبوهما قد مات فى ذلك العصر » ، قلت : من الجائز أن يكون الجندى هو المدعو أولا وقد أجاب الداعى ، ثم إنه مات فكتب ﷺ الى عبد وجيفر أو أن الجلندى كمـا هو المشهور أنه لقب لكل من ملك عمان فى الجاهلية ، كمـا قيل لكل من ملك اليمن تبع ، ولكل من ملك مصر فرعون ، ولكل من ملك على الروم قيصر ، ولكل من ملك على الفرس كسرى وهكذا .

قال فكان فى كتابه ﷺ الى أهل عمان : « فأقروا بشهادة أولا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله ، وأدوا الزكـــاة ، وأعمروا المساجد وإلا غزوتكم » ، ولم يذكر فى هـــذه الرواية الصلاة ، ولعلهـــا كانت مفهومة ، ونص على الزكاة لأنهـــا مالية وشح النفوس بالمـــال معروف ، ويدل لمـــا قلناه أمره بعمران المساجد ، فإنها لا تكون إلا للصـــلاة ، قال وعن الواقدى بإسناد : « أن النبى ﷺ كتب الى جيفر وعبد ابنى الجلندى الأزدى بعمان ، وبعث عمرو بن العاص بن وائل السهمى بكتابه إليهمـــا ، وكان كتابه صحيفة أقل من الشـــبر فيها نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابنى الجلندى ؛ السلام على من اتبع الهدى ، أمـــا بعد فإنى أدعوكمـــا بدعاية الاسلام أسلما تسلما فإنى رسول الله الى النـــاس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وإنكمـــا إن أقررتما بالاســـلام وليتكما ، وإن أبيتمـــا أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكمـــا ، وخيلى تطأ ساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما » .

وكان الكاتب لهـــذا أبى بن كعب ، وهو ﷺ الملى عليه ، وطـــوى الصحيفة وختمها بخاتمه المبارك ، وكان نقش الخاتم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفى هـــذه الرواية التصريح منـــه ﷺ بالرسالة الى كافة الناس كمـــا فى القرآن ، وأن الإنذار من جملة ما أرسل به ﷺ ، وأن نفس الإقرار بالاسلام يجعل المقر مسلما يولى الأمور ويتولى فى الدين ، وأن الامتناع من الإقرار بالاسلام يبيح قتـــال الممتنع ممهـــا كان وفيه التصريح بأن الاسلام لا يحابى ولا يداهن ولا سياسة له غير مـــا يقتضيه الحق ، فمن أقر بالاسلام حرم دمه وماله ، ويقاتل على البغى من غير أن يستحل ماله مـــا لم يصرّح بموجب الكفر ، أمـــا ما كان من خصـــال الكفر بالتأويل فلا يبيح مال امرىء مسلم ولا سبيه أبداً خلافاً لمن رأى ذلك ، وقد توعد رسول الله ﷺ جيفر وعبد بزوال ملكهما إن لم يسلما ،

وأن خيل المسلمين لابد وان تقاتل من أبى ، وقد قاتلت العرب وغيرهم ممن أصر على كفره .

قال الامام رحمه الله : فقدم عمرو بن العاص بكتاب النبى ﷺ الى عبد وجيفر ابنى الجلندى بعمان ، فكان أول موضع دخله من صحار دستجرد وهى مدينة بنتهـا العجم فى صحار فى حال مهادنتهم الجلندى ، فنزل بهـا عمرو بن العاص وقت الظهر ، وبعث الى بنى الجلندى وهم ببادية عمان ، ولعلهم فى الداخل كمـا هو المعروف من أن العرب فى الداخل والعجم فى السـاحل ، قـال : « فكان أول من لقيـه عبد بن الجلندى وكان أحلم الرجلين وأحسنهما خلقاً ، فأوصل عمراً الى أخيه جيفر بن الجلندى بكتاب النبى ﷺ ، فدفعه اليه مختوماً ففض ختـامه وقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته » .

ملك عمان جيفر يعقد مؤتمراً للنظر فى الدعوة النبوية

لمـا عرف جيفر جلل الأمر وهاله الحادث ولا يدرى منتهى المصـير فيه ، أرجأ الأمر واستدعى بأهل مشورته . قال الامام : ثم التفت الى عمرو فقال له : إن هـذا الأمر الذى تدعو له ليس بصغير ، أو هـذا الأمر الذى يدعو له أى النبى ﷺ بالمثناة التحتية ، وقوله من جهـة صاحبك يدل أن الخطاب لعمرو بن العاص ، وأنه هو الداعى ، قال جيفر وأنا أعيد فكرى فيـه وأعلمك ، وأنه استحضر جمـاعة الأزد ودارت بينهم الآراء والأنظار ، ثم حاج الأمـر الى طلب كعب بن برشة للاستفسار عما رأى من أمر النبى ﷺ وللتأكد منه فأرسلوا له فسألوه عن أمر النبى ﷺ ، فقال كعب : الرجل نبى مرسل ، وقد عرفت صفته وسيظهر على العرب والعجم ، فأجاب جيفر الى الاسلام بعد مـا تحقق الأمر ، فأسلم هـو وأخوه فى ساعة واحـدة ، ثم بعث جيفر الى وجوه عشـائره فبايعهم لمحمد ﷺ ، قلت : هكذا ينبغى من أهل المناصب إذا عرفوا الحق أذعنوا له وناصروه ووازروه ، وكانوا له أعيانا وعيونا ، فأدخلهم أى جيفر فى دينـه ، وألزمهم تسليم الصـدقة ، وأمر عمرو بن العاص بقبضها على الجهر التى أمره بهـا النبى ﷺ ، ثم بعث الى دبى وما يليها الى آخر عمان أى فى الأطراف الشمالية الساحلية ، قال : فمـا ورد رسول جيفر على أحد إلا وأسلم وأجـاب دعوته إلا الفرس الذين كانوا فى ذلك العهد بعمان ، واجتمعت الأزد الى جيفر بن الجلندى ، وقالوا : لا يجاورنا العجم بعد هـذا اليوم ، وأجمعوا على إخراج مسكان ومن معـه من الفرس الباقين فى دستجرد ، فدعـا جيفر بالمرازبة والأساورة فأعلن

لهم بأنه بعث منـا فى العرب نبى ، فاختاروا منا إحدى حالتين إمـا أن تسلموا أى كمـا أسلمنا ، وتدخلوا فيما دخلنا فيه ،وإمـا أن تخرجوا عنـا بأنفسكم ، فأبوا أن يسـلموا وقالوا لسنا نخرج • قلت : هـذا لسوء حظهم وقد مارسوا العرب فى عمان منذ عهد مالك فهم وأصحابه ، ولم تزل الدوائر تدور عليهم والهزائم تتوالى عليهم ، ولو دخلوا فى الدين لأحبهم العرب ،ولكان لهم فى عمان مقام ثابت الدعائم ، لكن أراد لرتحالهم من عمان كلياً ، وعيدما تحقق اصرارهم على مجوسيتهم وعلى عدم الخروج من عمان بسهولة ، اجتمعت الأزد على إجلائهم ، ولم يروا بدأ من قتالهم ، فزحفوا عليهم بعزائم الإيمـان ، وكانوا قبل والكل على حال شرك والنصر للعرب فكيف بهم الآن والعرب على الإيمان ، فتقاتلوا قتالاً شديداً ، وقتل السكان الذى أبى الإيمـان ، وأصر على عبـادة النيران ، وقتل من أصحاب مسكان كثير وكذلك قواد جيشـه وضباطه ، وبقيت منهم بقية تحصنت فى حصـنهم بدستجرد ، فزحف عليهم وقد استبسلوا وصـار النصر حليفهم ، ونشـوة الانتصار كادت أن تطير بهم ، فضايقوهم بالحصار أشد مـا يكون ، فلمـا طال بهم الحصـار ، ورأوا أن لا مناص لهم من الخضوع لأمر العرب طلبوا الصلح أو قـل طلبوا الإذن لينجوا بأنفسهم فوافقهم العرب على الخروج من عمـان بتاتاً على أن يتركوا كل صفراء وبيضـاء وحلقة وكراع ويحملوهم بأهاليهم وحاشيتهم فى سـفينة حتى يقطعوا الى أرض فارس ، فأجابوهم الى ذلك وخرجوا من عمان كليـاً ، وذلك آخر عهدهم بهـا إلا أن الأيام لا زال تغريهم على العودة الى عمان ، فلم يكن لهم طلع سعيد يستقرون به فى عمان ، فكلما جاءوا غزاة قضى عليهم طالع نحسهم ، وسوف ترى منهم فى غزواتهم لعمان العجب والدمار لا يزال حليفهم ؛ والأمر لله •

قال الامام رحمه الله : وفى السيرة الحلبية أن عمرو بن العــاص قال: خرجت حتى انتهيت الى عمان فعمدت الى عبد ، وكان أحلم الرجلين أى ألينهما جانباً وأسهلهما خلقاً ، فقلت : إنى رسول رسول الله ﷺ إليك والى أخيك ، فقال أخى هو المقدم على بالسن والملك ، أى هو أكبر منى سناً وهو الملك ، وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك .

النقاش يدور بين عبد وعمرو

لما تحقق عبد بن الجلندى صحة الأمر الذى جاء له عمرو بن العاص ، فتح له باب النقاش ، ليعرف الغاية من هذا الطلب ، ويدرى غاية المصير فيه ، فقال : « وما تدعو إليه ، أى ، أى شىء تريد ، وما هو الذى تطلبه بصفتك رسولا ؟ » قال عمرو : « قلت أدعوك الى الله وحده وتخلع ما عبد من دونه ، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أى أدعوك أولا الى معرفة الله وتوحيده ، وأنه لا شريك له ، وترفض سائر المعبودات من دون الله عز وجل ، ثم تعترف برسالة محمد ﷺ ، فقال : أى عبد لعمرو بن العاص : إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك ، يعنى العاص بن وائل ، فإن لنا فيه قدوة ، والمعنى أنك من أكابر قريش ، لأن أباك من لا يجهل شرفه وشهرته فى قومه ، وأهل الشرف لا يليق بهم إلا قول الصدق الذى لا يخل بشرفهم ، ولا يقدح فى مناصبهم ، وكأنه استكبر الأمر فإن العاص وأمثاله هم عتاة قريش ، فانه لابد أن يكون حجة لنا فى هذا الأمر الذى جئت له ، قال ، أى عمرو بن العاص : قلت مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ، وودت له لو آمن وصدق به لكان خيراً له ، وقد كنت على دينه وعلى مثل رأيه حتى هدانى الله للإسلام ، قال عبد : فمتى تبعته أى قبل موت أبيك أم بعده ، فقال عمرو : قريباً أى أتبعته من قريب ، قال فسألنى أين كان إسلامى فقلت عند النجاشى ، وأخبرته أن النجاشى قد أسلم ، قال فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت : أقروه واتبعوه ، قال أى عبد : والأساقفة أى رؤساء النصرانية والرهبان قلت : نعم، أى كذلك ، وهنا استكبر الأمر واتهمه فيه ، فقال أى عبد : انظر يا عمرو أى فيما تقول ، إنه ليس خصلة فى رجل أفضح له .

أى أكثر فضيحة من كذب ، أى أن هـذا الأمر الذى تخبرنى به كبيراً ولا يتأتى بالهوينا وبالخصوص عند النصارى لا سيما وهم أعداء العرب ، قال عمرو : قلت ومـا كذبت ومـا نستحلة فى ديننـا • ثم قال أى عبد ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشى أى هو تحت سيطرة هرقل ، وهرقل ملك عظيم ، والنجاشى من أخص أهل طاعته • قال عمرو : قلت له بلى أى علم بذلك فقال بأى شىء علمت ذلك يا عمرو ؟ قلت : كان يخرج له النجاشى رضى الله عنـه خراجا ، فلمـا أسلم النجاشى وصـدق بمحمد ﷺ ، قال لا والله لو سألنى درهمـاً واحداً مـا أعطيته أى لأن العطاء يكون عوناً له ، ولا تصح إعانة الكافر فيما يتقوى به على المسلمين ، قال فبلغ ذلك هرقل قوله ، فقـال له أخوه : أتدع عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين دينـاً محدثاً ، وهـذا على عادتهم إذ يرون عمالهم عبيداً لهم ، قال فقال : هرقل رجل رغب فى دين واختاره لنفسه مـا أصنع به ؟ وحرية الأديان فى الشريعة الأولى معروفة ، أشـار إليهـا القرآن بقوله : (لا إكراه فى الدين) الآية فى أمثالها • قال هرقل : « والله لولا الضن بملكى لصنعت كمـا صنع » • ومعنى قوله لولا الضن بملكى أى لولا أن نفسى لا تسمح أن أتخلى عن هـذا الملك الذى فى يدى لأسلمت كمـا أسلم النجاشى ، قلت : وقد جاء ذكر إسلام هرقل فى روايات شهيرة • فقال عبد لعمرو : أنظر مـا تقول يا عمرو وهو يتهمه • فقال عمرو : قلت والله قد صدقتك ، أى قلت لك الصدق والواقع ، قال عبد : فأخبرنى مـا الذى يأمر به وينهى عنـه ، قال قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل ، وينهى عن معصيته • قلت لمـا فرغ عبد من البحث عن أحوال هؤلاء الملوك وسمع ما سمع من قبولهم الاسلام وخضوعهم لأوامره واعتناقهم له ، التفت الى استفسار مـا يأمر به هـذا النبى ومـا ينهى عنه ، وهل

هو ممـــا يقبله العقل ويصوب له أم يرى فى أوامر إضطرابا ؟ (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) •

ومـــا أغزر عقل هـــذا البطل الأزدى مـــا أدراه بموارد الأمور ومصادرها ، قال : ويأمر بصلة الرحم وبالبر وينهى عن الظلم والعدوان ، وعن الزنى وشرب المخر ، وعن عبـــادة الحجر والوثن والصليب ، قلت : وهـــذه الأوامر والنواهى فى هـــذه الكلمات الوجيزة هى عمود الاسلام وجوهره ، فان الأمر بطـــاعة الله عز وجل والنهى عن معصيته جمـــاع كل خير وصرف عن كل شر ، وكذلك الأمر بالبر فهو اسم جامع لأنواع الطاعات ، وقوله : وينهى عن الظلم ، وهو اسم لكل شر قليلا كان أو كثيراً ، فان الظلم ظلمات يوم القيـــامة ، وكذلك العدوان ، فان كل مـــا خرج عن كون طاعة وخيراً فهو عدوان ســـواء كان قولاً أو فعلاً أو نحو ذلك ، ثم صرح أيضاً بالنهى عن الزنى وشرب الخمر وعن عبـــادة الأحجار والأوثان ، أى التماثيل ، وكذلك الصلبان ، ففى هـــذه الأوامر جمـــاع روح الاسلام وجوهره ، ولا ريب فان رســـول الله ﷺ أوتى جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً ، فلهذا خرجت أوامره بمثـــل هـــذه العبارات فتلقاها أصحابها منه فخرجوا بهـــا الى سائر الأمم دعـــاة وهداة مبلغين عنه ومبشرين ومنذرين •

فلما سمع عبد بن الجندى هـــذه الأوامر سرته واستحسنها ، وبطبيعة الحال إن الحق مقبول وله فى القلوب تأثير ولو جاء على لســـان كافر ، فلذلك قال عبد : مـــا أحسن هـــذا الذى يدعو اليه ، كمـــا شهد به أيضا هرقل فى حديثه مع أبى سفيان • قال عبد : لو كان أخى يطاوعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ﷺ ، أى لكان من الواجب أن نفد عليه ﷺ فى مقره

فنصدق به ونواجهه ، فيكون ذلك لنا أكبر شأنا وأعلى قدراً عند الله ، ولا نكتفى بالإيمان به من بعيد ، على لسان رسوله عمرو بن العاص ، ولله در عبد لذلك السيد الطويل النظر ، الصحيح الفكر ، ولله در الأخلاق إنها لدليل على حقائق أهلهـا • قال عبد : « ولكن أخى لا يتابعنى » وفى رواية « لكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً » أى تابعاً • قال : قلت إنه إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه ، أى لا غرض له ﷺ فى الأمور الدنيوية ، ويعلم عمرو بن العاص وهو رسوله ﷺ أن كل مـا يرمى اليه النبى ﷺ طاعة الله عز وجل ، وإذا لم يخضع للإسلام فلن يتركه ﷺ على ملكه وهو مصر على كفره ، فأن حجة الله على الأمة أنبياؤها على ملوكها ، وملوكها على رعيتها ، وبأصرار الملوك تستباح حرم الملوك كمـا فى أحاديث شهيرة عنه ﷺ ؛ وبالانقيـاد للحق من الزعمـاء يكتفى عن الباقين كما دل عليـه قول عمرو نفسه ، فأخذ الصدقة من غنيهم فردهـا فى فقيرهم ، أى أن الله عز وعلا فرض النفقة على الأغنيـاء للفقراء ، فكانت منه تعالى وصلة رابطة بين المسلمين ، وموفرة على الفقراء أحوالهم ، ومسعدة لهم من أهل الأموال • قال عبد : إن هـذا الخلق حسن • قلت كيف لا يكون حسناً وهو سياسة حكيم السـموات والأرض ، خالق الحكمة ومنظم الأمة سبحانه وتعالى ، مـا أعظم شأنه ، ومـا أعلى ميزاته •

قال عبد : ومـا الصدقة أى مـا صفتها وما حكمها ؟ قال عمرو ، فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ على أمتـه من الصدقات فى الأموال ، أى على اختلاف أنواعها • قال : ولمـا ذكرت المواشى • قال عبد : يا عمرو ويأخذ من سوائم مواشينا التى ترعى فى الشجر وترد الميـاه ، أى رأى ذلك مستغربا عنده وغفل عمـا عداها من نوعها ، لأنه كان يعلم ضرائب

الملوك على أموال العباد على غير هذا النمط ، وإنما هى قوانين تسنها الملوك على الأمة بمقتضى الهوى ، قال عمرو : فقلت نعم أى يأخذ ذلك الذى استنكرته وليس بمستنكر ، والله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون • فقال أى عبد : والله ما أرى قومى فى بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا ، أى يرونه عظيما أن يتصرف أحد فى أموالهم كهذا التصرف ، فينزع منه قسماً لأجنبى •

قال عمرو بن العاص : فبقيت أتردد على باب جيفر وقد أوصل اليه أخوه خبرى ثم إنه دعانى فدخلت عليه ، فأخذ أعوانه بضبعى أى عضدى ، قال : دعوه • فأرسلت أى أطلقونى ، قال فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعونى أجلس ، وأظهروا له عتواً ، قال : فنظرت اليه أى فى ذلك الحال ، فقال : تكلم بحاجتك ، قال : فدفعت اليه كتاباً مختوماً ، ففض ختامه فقرأه حتى انتهى الى آخره ، ثم دفعه اليه كتاباً مختوماً ، ففض ختامه فقرأه حتى انتهى الى آخره ، ثم دفعه الى أخيه فقرأه أى عبد ، ثم أدار النقاش جيفر من نوع نقاش أخيه عبد قائلا : ألا تخبرنى عن قريش كيف صنعت ، أى وهم أشد مراساً وأطول يداً ولساناً ، وأخص به من غيرهم ؟ قال عمرو : فقلت اتبعوه إما راغب فى الدين ، وإما راهب مقهور بالسيف ، وإنه لجواب مدهش جامع لمقتضى المقام ، وهكذا ينبغى أن تكون رسل الزعماء والأكابر • قال جيفر « ومن معه » أى الرسول ﷺ • قال عمرو : قلت الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره ، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم لنهم كانوا فى ضلال مبين ، أى أن الاسلام مال اليه الناس بطبيعة حاله الجذابة الفعالة فى العقول السليمة ، انقيادها الى عزها وشرفها الذى جابهها به الاسلام . وصارحها به سيد الأنام ، قال عمرو : فما أعلم أحداً بقى غيرك فى هذه

الخرجة ، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك
قال الامام : أى جماعتك فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ، ولا تدخل عليك الخيل والرجال ، أى فانك لا شك تتأهب لحرب المسلمين للذين دوخوا الأكاسرة والقياصرة ، ولست بأقوى منهم .

ولما سمع هذه الكلمات من عمروبن العاص ذلك الداهية ، هزته وزلزلت من كيانه ، ولعم أن الحرب ما بينه وإياها إلا رجوع عمرو بن العاص ، فقال لعمرو : « دعنى يومى هذا وارجع الى غداً . قال : فلما كان الغد أتيته فأبى أن يأذن لى فرجعت الى أخيه فأخبرته أنى لم أصل اليه ، فأوصلنى اليه ، فقال إنى فكرت فيما دعوتنى اليه ، فاذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدى وهو لا تبلغ خيله الى هاهنا ، وإن بلغت خيله ألفت أى وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى » . قال عمرو : « قلت وأنا خارج غداً . قال فلما أيقن بمخرجى خلى به أخوه فأصبح فأرسل الى فأجاب الى الاسلام هو وأخوه ، وصدقاً وخلياً بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكان لى عوناً على من خالفنى » .

وانظر الى جراة عمرو بن العاص حيث يقول لجيفر لما قال فكرت فيما دعوتنى اليه ، فاذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما فى يدى ، وهو لا تبلغ خيله الى هاهنا ، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى قال له إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك ، أى رجالك وهذا من الجرأة بمكان حيث يقولها الملك فى عرش ملكه ، وبين أرهاطه وجنوده ، ولكن مقام الاسلام عظيم ، والرسول فى الحقيقة عين المرسل وقد انتخب الرسول ﷺ ذلك الداهية المعروف بأرطبون العرب .

وفى الحقيقة أن عبد بن الجلندى كان داعية الرسول ﷺ الى الاسلام ، حيث أسلم جيفر بالأفكار الطيبة من عبد ، وفى النص الإلهى يقول من ثمارهم تعرفونهم ، وقد جاء فى بعض الروايات : أن عبداً قال لأخيه جيفر : أطعه فان كان الرجل صادقاً فيما يدعى كنت ممن أطاع ولك بذلك الشرف ، وإن كان كاذباً فقد أطاعته العرب إلخ ، وهذا من التفكير الصحيح الذى لا يهتدى اليه إلا الموفق من الناس ، فلما أسلم جيفر وعبد أسلم أهل عمان حالاً ، وفشا الاسلام مصداقاً لقوله ﷺ : الناس فى دين ملوكهم . ولهذا كان الرسول ﷺ ، يحمل جرائم الأمة على الزعماء ، لأن لهم الطاعة عليهم طبعاً ، ويدل حديث عمرو بن العاص مع ملكى عمان أن الأمة إذا أسلمت وجبت عليها الزكاة حالا ، فلا ينتظر بها الحول منذ وقع الاسلام ، بل يتعين الوجوب وهو اضح ، وكان جيفر وعبد عوناً لعمرو بن العاص على الناس ، فبلغ بهما الأرب الذى أراده رسول الله ﷺ وهو إنقاذ الأمة من هوة الكفر الموجب للخلود فى النار والعياذ بالله منها .

ولما فشا الاسلام فى عمان وعم الدانى والقاصى فيها وصار عمرو بن العاص حاكم البلاد ، ونفذت أوامره الاسلامية بمعونة ذينك الملكين الكريمين اللذين كانا عوناً لعمرو بن العاص على نشر الدعوة ، وبث روح الاسلام ، وأقام عمرو بين القوم معززاً مكرماً حتى هم بالرجوع الى المدينة ، وتحفز للخروج ، وإذا بالمنية تقضى على سيد الأولين والآخرين .

قال الامام رحمه الله : « بعد أن مكث عمرو بن العاص فى عمان عاملا عليها لرسول الله ﷺ وأهلها له طائعون ولقوله سامعون الى أن بلغته وفاة رسول الله ﷺ فعزم على الرجوع الى المدينة » .

عمرو بن العاص أمير عمان يخرج الى المدينة معبراً عن انقياد أهل عمان للإسلام

لقد قضى عمرو بن العاص تلك الثلاثة الأعوام فى عمان ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، باثاً أوامر الاسلام ، معلماً للنـــاس أمــر دينهم ثم رأى الرجوع الى المدينـــة للتعبير عن مهمتـــه الوحيدة ومؤدياً الى ولى الأمر الواجبات المحمولة على عاتقة ، فعزم على الخروج راجعـا الى المدينة عاصمة الاسلام وبيضة الدين •

فقام لصحبته السيد الهمام عبد بن الجلندى لســان الملك ، وعون ابن العاص رسول الرسول ﷺ ، مؤدياً للواجب ومعززاً للأمير القرشى السهمى لسان الاسلام فى عمان ، ومظهراً لاسلام أهل عمان ، وانتخب معه من أعيان قومه الرجال الفطاحل ، مثل جعفر بن جشم العتكى ، وأبى صفرة سارف بن ظالم من كبراء رجال الأزد فى عمان ، ومن المنظور إليهم فى ذلك الأوان ، وأن الرجل من أجلة العمانيين كمـــا عبرّنا عنه .

فى رعاية الأحساب ، مع جملة من أعيـــان عمان ذكرهم التاريخ العمانى وغيره كمـــا سوف تسمع عنهم ، واصطحب معـــه الخفراء من الأزد وعبد القيس يأمن بهم فى طريقه عملا بالقضايا العربية إذ ذاك . ومر على المنذر بن ساوى حاكم البحرين فى هجر ، ومر على بنى حنيفة فأخـــذ منهم أيضـــا خفراء حتى نزل أرض بنى عامر ، فنزل على قرة ابن هبيرة القشيرى ، وقيل خرج قرة بن هبيرة مع عمرو فى مائة رجل من قومه خفراء له ، قال : وأقبل عمرو بن العـــاص يلقى الناس مرتدين أى

عن الاسلام حتى أتى ذا القصة ، فلقيــه عيينة بن حصن خارجاً من المدينة ، وذلك حين قدم على أبى بكر ، ويقول : إن جعلت لنــا شيئاً كفيناك مــا وراءك يا عيينة من ولى الناس أمورهم ، قال أبا بكر : فقال عمرو : الله أكبر • قال عيينة : « يا عمرو استوينا نحن وأنتم ، فقال عمرو كذبت يا إبن الأخابث من مضر ، قال : وسار عيينة فجعل يقول لمن لقيه من الناس احبسوا عليكم أموالكم ، قالوا : فأنت مــا تصنع • قال : لا يدفع اليه رجل من فزارة عناقاً واحدة ، ولحق منــذ ذلك بطليحة الاســدى ، فكان معه ، قال : ولمــا فرغ خالد أى ابن الوليد من بيعة بنى عامر صال على عيينة بن حصن المذكور صولة الأسد الباسل ، فأوثقه كتافا وأوثق معــه قرة بن هبيرة القشيرى ، وبعث بهمــا الى أبى بكر رضى الله عنه •

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فقدم بهمــا الى المدينة فى وثاق ، فنظرت الى عيينة مجموعة يداه الى عنقه بحبل ينخسه غلمان المدينــة بالجريد ، ويضربونه ويقولون : أى عدو الله أكفرت بالله بعد إيمانك ، فيقول : والله مــا كنت آمنت بالله • قال : فلم يعاقب أبو بكر رضى الله عنــه قرة وعفا عنه ، قال : وكتب له أماناً وكتب لعيينه أماناً وقبل منــه ، قلت : إنمــا كان ذلك سياسة من أبى بكر رحمه الله بهــؤلاء المؤلفة قلوبهم ، ولهم فى النفــاق حظ وافر لكى تهــدأ العرب ويسكن روعهــا ، فإن عهدهم بجاهليتهم قريب والشيطان يراوحهم ويغاديهم ويكفره يناديهم • قال : وفى كامل ابن الأثير مات رسول الله ﷺ وعمرو بعمان ، قال : فأقبل حتى انتهى الى البحرين فوجد المنذر بن ساوى فى الموت ، ثم خرج عنه الى بلاد بنى عامر فنزل بقرة بن هبيرة ، وقرة يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، أى فى الارتداد ، وقد لعب به الشيطان ليرديه •

قال : ومعه عسكرمن بنى عامر ، قال فذبح له وأكرم مثواه ، فلمــا أراد الرحلة خلا به قرة ، وقال : يا هــذا إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة ، أى وهى ضريبة الملوك ، ويعنى بهــا الزكاة فهو يعتقدها من ذلك النوع . قال : فان أعفيتموها من أخذ أموالهــا فستسمع لكم وتطيع ، وان أبيتم فلا تجتمع عليكم ، فقال له عمرو : أكفرت يا قرة تخوفنا بالعرب ، فو الله لأوطئن عليك الخيل فى حفش أمك ، والمراد به البيت المسترذل بسكونه ، وكان ذلك تهديدا من الداهية القرشى السهمى الذى قيضه الله لتركيز دعائم الاسلام كسائر إخوانه المخلصين فى مساعيهم ، وفى ذلك تأييد للدين وتدعيم قواعد المسلمين ، قال : وقدم على المســلمين بالمدينة وأخبرهم فطافوا به يسألونه فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا الى المدينــة قال : فتفرقوا وتحلقوا حلقا ، وأقبل عمر يريد التسليم على عمرو بن العاص ، فمر على حلقــة فيهــا على وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد ، قال : فلمــا دنا منهم عمر سكتوا ، فقال أى عمر : فيم أنتم ؟ فلم يجيبوه ، فقال لهم : إنكم تقولون مــا أخوفنا على قريش من قتل وأسر واستئصال معدود على قريش ، لأن الرسول منهم وهــو الأمر وهو الفاعل، وقريش قومه وهم معه ، وكان ذلك يتراآى له بألمعيته المخصوص بهــا من الله لذلك لمــا قال لهم هــذا المقال ، قالوا كلهم : صدقت ، قال عمر : لاتخافوهم أنا والله منكم على العرب أخوف منى باطله من العرب عليكم ، والله لو تدخلون معاشر قريش جحراً لدخلته العرب فى آثاركم ، قلت ذلك لمــا علمه من الرسول ﷺ ، إذ يقول الناس : تبع لقريش مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم ، وقوله : لا يزال هــذا الأمر فى قريش مــا بقى منهم رجلان ، أو قال مــا بقى فيهم رجلان أو كمــا قال : عليه الصلاة والسلام ، وقد رسخ فى ذهن الفاروق تحقيق

الحقائق التى علمها من الشارع ﷺ ، ومـا أدركه بألمعيته النيّرة الوقادة رحمـه الله وغفر له •

وبذلك المقـال السياسى أيضـاً أسكن حفيظة القوم وهـدأ روعهم وبشرهم بمستقبلهم الحسن ، قال عمر : فاتقوا الله فيهم أى فى العرب ، قال : ومضى عمر فلما قدم بقرة بن هبيرة على أبى بكر أسيراً استشهد بعمرو على إسلامه ، فأحضر أبو بكر عمراً فسأله فأخبره بقول قرة الى أن وصـلا الى ذكرالزكاة ، فقال قرة : مهلا يا عمرو ، فقـال : كلا والله لأخبرنه بجميعه ، فعفا عنـه أبو بكر وقبل إسلامه ، وقوله : لمـا وصلا الى ذكر الزكاة قال قرة : مهـلا يا عمرو أى لا تخبره فـان ذلك بيت القصـيد ، وقوله : كلا والله لأخبرنه بجميعـه كان ذلك واجب الأمانة الدينية فى الاسلام ، وكان من سياسة أبى بكر رضى الله عنـه تألف الأمة ليهدأ روعهـا وتسكن ثائرتها ويصطك حجر الاسلام على بعضه بعض •

وللرجال سياسات كمـا للأوقات كذلك ، قال الامام وذكر ابن الأثير فى كامله أيضـا فى قدوم عمرو على معاوية بعد قتل عثمان قال : وكان قد علم الذى يكون فعمل عليه لأن النبى ﷺ كان قد بعثـه الى عمان ، فسمع من خبر هنـاك شيئا عرف مصداقه ، فسأله عن وفاة النبى ﷺ ومن يكون بعده ، فأخبره بأبى بكر وأن مدته قصيرة ، ثم يلى بعده رجل من قومه مثله تطول مدته ويقتل غيلة ، ثم يلى بعده رجل من قومه تطول مدته ويقتل عن ملا • قال ذلك أشر ، ثم يلى بعده رجل من قومـه ينتشر الناس عليه ، ويكون على رأسه حرب شديدة ، يقتل قبل أن يجتمع الناس

عليه ، ثم يلى بعده أمير الأرض المقدسة فيطول ملكه ، وتجتمع عليه أهل تلك الفرقة ثم يموت .

وكان الرجل الذى تطول مدته ويقتل غيلة هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والمراد بالرجل الذى تطول مدته ويقتل عن ملأ هو عثمان ، إذ اجتمع عليه المسلمون من نواح عديدة وحصروه فى بيته مدة حتى قتل ، والمراد بالرجل الذى تكون على رأسه حرب شديدة ، ثم يقتل قبل أن يجتمع الناس عليه هو على بن أبى طالب ، والمراد بالرجل الذى يكون أمير الأرض المقدسة ويطول ملكه معاوية بن أبى سفيان ، وقد قال ابن الأثير بهذا فى كتابه الكامل متلقياً له بالنقل عمن لهم العلم به ، والمعنى لذلك مال عمرو بن العاص الى موطأة معاوية بن أبى سفيان ، إذ رأى القضايا جاءت تترى كماقيل له ، فكانت طبق ما قيل له .

ولا شك أن مثل عمرو بن العاص الداهية الوحيد فى قومه يرى القضايا رأى العين ، كما قيل له عنها لا يرضى أن يكون فيها ذنباً ، بل يرضى أن يكون فيها رأسا وهامة ، وقد تلقى عمرو بن العاص هذا الأمر من يهودى من يهود صحار ، كما أشار اليه ابن الأثير .

قال الامام السالمى رحمه الله وهو يذكر إسلام أهل عمان فى (تحفة الأعيان) ، وفى تاريخ الخميس : كان عمرو بن العاص عاملا للنبى ﷺ على عمان ، فجاءة يوما يهودى من يهود عمان ، فقال له أرأيتك إن سألتك عن شىء أأخشى على منك ؟ قال : قال لا . قال اليهودى : أنشدك بالله من أرسلك إلينا ؟ قال : اللهم رسول الله . قال اليهودى : آلله انك لتعلم أنه رسول الله ؟ قال عمرو : اللهم نعم . فقال اليهودى :

لإن كان حقا ما تقول لقد مات اليوم ، فلما رأى عمرو ذلك جمع أصحابه وحواشيه وكتب ذلك اليوم الذى قال له اليهودى فيه ما قال : ثم خرج بخفراء من الأزد وعبد القيس يأمن بهم فى طريقه ، قال ففاجأه ذلك عند المنذر بن ساوى ، فسار حتى قدم أرض بنى حنيفة ، فأخذ منهم خفراء حتى جاء أرض بنى عامر ، فنزل على قرة بن هبيرة القشيرى ، وذكر الحديث الذى قدمناه : ومفاده أن عمرو بن العاص تلقى من ذلك اليهودى الذى حدثه بصحار عن وفاة النبى ﷺ معلومات هامة ، فسار فى حياته على ضوئها فرآها لا تزال تأتى كما قال له ذلك اليهودى ، فلذلك تحين الفرصة وعمل بمقتضى ما صح معه ، وكان الأمر جليا نصب عينه ، وغير بعيد أن يصح ما قاله ذلك اليهودى ، لأن اليهود أتاهم الله التوراة وفيها ذكر الرسول ﷺ صريحا ، وذكر قومه وما يكون بينهم وما يقع لهم من النصر على من عاداهم والظفر لمن خاصمهم ، وقد قال اليهود فى المدينة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنا نجدك فى التوراة ، قال تجدونى ماذا ؟ قالوا نجدك قرناً ، قال قرن ماذا ؟ قالوا قرن من حديد أ هـ ، ولا يدركون مثل هذا إلا بنص نبوى ، وقد صح ذكر هذه الأمة فى الكتب السابقة حتى تمنى موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام أن يكون منها كما فى خبر الألواح ، فكان ما قاله يهودى صحار أمراً واقعاً ، وكان عمرو من مشاهير رجال الدنيا الذين يرغبون فيها ويميلون إليها .

قال الإمام رحمه الله : « دخل عمرو بن العاص على أبى بكر رحمه الله ومعه رجال الأزد من عمان ، فقام سارف بن ظالم خطيباً » ، فقال : « يا خليفة رسول ﷺ ، ومعاشر قريش ، هذه أمانة كانت فى أيدينا

وفى ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ ، فقد برئنا منها إليك » • فقال أبو بكر رضى الله عنه : « جزاكم الله خيراً ، وأثنى عليهم المسلمون خيراً ، وقام الخطباء بالثناء عليهم المدح ، فقالوا كفاكم معاشر الأزد قول رسول الله ﷺ وثناؤه عليكم ، ثم قام عمرو بن العاص والى عثمان ، فلم يدع شيئا من المدح والثناء إلا قاله فى الأزد ، ثم جاءت وجوه الأنصار من الأزد وغيرهم مسلمين على عبد ومن معه ، فلما كان من الغد أمر أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والأنصار ، وقام أبو بكر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبى فصلى عليه وقال :

« معاشر أهل عثمان إنكم أسلمتم طوعاً لم يطأ رسول الله ﷺ ساحتكم بخف ولا حافر ، وجشمتوه ما جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح ، فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم ، وأطلعتموه إذا أمركم على كثرة عددكم وعدتكم ، فأى فضل أبر من فضلكم ، وأى فعل لأشرف من فعلكم ، كفاكم قول رسول الله ﷺ الى يوم الميعاد » ، ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرماً ، ورحل عنكم إذ رحل مسلماً ، وقد من الله عليكم باسلام عبد وجيفر ابنى الجلندى ، وأعزكم الله به وأعزه بكم ، وكنتم على خير حال حتى أتتكم وفاة رسول الله ﷺ ، فأظهرتم ما يضاعف فضلكم أى وهو انقيادكم للحق وتعزيزكم له ، حيث لما بلغتكم وفاة الرسول ﷺ ثبتم على الاسلام ولم تتزعزعوا كما تزعزع غيركم من الناس ، ولا تقلقلتم كما تقلقوا ، وأنتم كثيرو العدد » • قال أبو بكر رضى الله عنه : « وقمتم مقاماً حمدناكم فيه » ، وهو ثباتهم على الحق ومؤازرتهم له

وتأييدهم ، قال « ومحضتم بالنصـيحة » ، أى أخلصتموها وصارحتم بهـا • قال : « وشاركتم بالنفس والمـال ، فيثبت الله ألسنتكم ويهدى قلوبكم وللنـاس جولة » ، أى لابد لهم من تزعزع وحيرة ودهشـة ، قال : « فكونوا عند حسن ظنى فيكم ، أى وهـو ثباتكم القوى على دينكم ، وفى طاعة إمامكم وزعيمكم » ، قال : « ولست أخـاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ، أى لأنكم صارعتم الجنود الفارسية مدة طويلة حتى قضيتم عليهم ، « فـلا أخشى عليكم أحداً بعدهم بحسب ظاهر الحال لا حكماً على الغيب » ، قال : ولا أن ترجعوا عن دينكم ، أى دلائل الحال قاضية بذلك ، ودلائل المقال عن رسول الله ﷺ شاهدة بذلك ، وسوف تقف عليها أيها القارىء الكريم فى فضائل أهل عمان من هذا الكتاب إن شـاء الله •

قال « جزاكم الله خيراً » ، ثم سكت أبو بكر ، ولقد ساس وهذب وقوّى وأيّد وحذّر ودعا وأرشد ، وهكذا البلغاء وعلى ذلك يقوم علم الحق فوق الرؤوس ، ولله در أبى بكر سيد المسلمين وخليفة المصطفى الأمين •

أبو بكر يجهز عبد بن الجلندى ومن معه لحرب آل جفنة

لقد سر أبو بكر رضى الله عنه بملقى عبد بن الجلندى ومن معه من أبطال الأزد ، وابتهج بهم تمام الابتهاج ، فأثنى عليهم فى خطبته المارة آنفا ، وشكرهم شكرا لا يخفى على أهل العقول الصحيحة ، ولما رأى وما سمع عنهم وما فهم منهم عول عليهم فى حرب آل جفنة من أزد الشام ، فكان أراد أن يدق الصخر بمثله ، ويرمى الهدف عن خبرة ، فأراد من عبد بن الجلندى أن يهاجم الغساسنة العتاة فى أرض الشام فانهم حجر خشن ، فما تلكأ عبد وأصحابه على أبى بكر ، ولا اعتذروا له بالمعاذير ، ولولا أنا معنيون بتاريخ عمان لذكرنا قضايا الارتداد كيف كانت ، وفيمن كانت ، كما أنا لم نذكر الحوادث الخارجية عن عمان ، وإن كان وقوعها بأهل عمان لا سيما ما كان من غير أهل عمان ، وإن كانت له علاقة بتاريخ عمان ، لأن ذلك شىء يطول علينا وحسبنا ذكر الأهم من تاريخنا العمانى ، وإن أشرنا الى هذه القضية العمانية الغسانية فما ذلك إلا كالتعريف بفضائل عبد ابن الجلندى وأهل عمان معه .

قال امام رحمه الله : وقيل إن عبداً استنهضه أبو بكر لمقاتلة آل جفنة فأجابه الى ذلك ، قال فسرى له سرية وأمره عليها ، فخرج عبد المذكور يقود جيشاً فيه أعيان المهاجرين والأنصار ومن لف معهم من العرب ، قال فخرج عبد على السرية ، أى أميراً عليها وجد فى السير حتى أتى آل جفنة بالشام فى ديارهم .

قال الامام رحمه الله : ولها حديث يطول ذكره . قلت : لما كان

ليس من أخبار بلادنا العمانية نكتفى بالاشارة اليه هنا عن سرد ذكره قال : « وقــد شهر مقام عبد وعرف مكانه ، قال : وكان فى السرية من شعرائه ﷺ ، حسان بن ثابت الأنصــارى ، فلما قدموا من ديار آل جفنة قام حسان بين ظهرانى المسلمين يعلن الثنــاء البليغ على عبد بن الجلندى ، ومن جمــلة مقاله : « قــد شهر مقــام عبد فى الجاهلية والاسلام ، فلم أر رجــلا أحزم ولا أحسن رأيا وتدبيراً من عبد ، هو والله ممن وهب نفسه لله فى يوم غارت صــباحه ، وأظلم صباحه » . فتهلل وجه أبى بكر رضى الله عنه وسر به ، فقال : « هو يا أبا الوليد كما ذكرت ، والقول يقصر عن وصــفه ، والوصف يقصر عن فضله » ، فلما بلغ ذلك عبداً بعث الى حسان ابن ثابت بمــال عظيم ، وأرســل اليه قائلا : « إن مالى يعجز عن مكافأتك فأعذر فيما قصر ، وأقبل ما تيسر » ، وعندما عزم عبد ومن معه من العمانيين على الرجوع الى أوطانهم زوّدهم أبو بكر رضى الله عنــه كتاباً الى أهل عمان كافــة يشكرهم فيه ويثنى عليهم ، ولقــد أقر أبو بكر رضى الله عنه جيفر على ملك عمان كوال لعمان من طرف الخليفة .

قال الامام فى تحفــة الأعيان : ذكر فى بعض السير العمانية أن أبا بكر أقــر جيفر وأخاه جميعاً على ملك عمــان ، وجعل لهما أخــذ الصدقات من أهلها وحملها اليه كما سوف ترى بسط ذلك فى محله إن شاء الله ، وهو دليل على جعله والياً لعمان كما قلنا ، ولعل بعــد ذلك أراد اختبار القــوم ، أو أن السياسة اقتضت أمراً ، ولكل زمان سياسة ولكل وقت أعمال ، ولكل أمير وجهه وأبو بكر أفضــل الأمة بإجماع من يعتد بإجماعه فى شىء بعد رسول الله ﷺ .

عمان وأبو بكر رحمه الله تعالى طيلة حياته

لقــد تولى أبو بكر رحمه الله ورضى عنه أمر المسلمين ، وعمان بيــد واليها عمرو بن العاص يدبر شئونها معززاً بملكيها ، جيفر وعبد ، ولمــا بلغت عمرو ابن العاص وفاة رسول الله ﷺ هم بالرجــوع الى بيضــة المسلمين راجعــاً بأمر ولايته الى الخليفة المستخلف ، مصطحباً معه من خيار أهل عمان ، سبعين راكبا تحت رايته يقدمهم ذلك الهمام عبد بن الجلندى ملك عمــان حتى وصل المدينة ، واذا بالخليفة للمسلمين أبو بكر أول إمــام صحيح الامامة ، وأول رجل سد الله به فراغ الثلمة التى أدهشت المسلمين وانزهقت منها أرواح أهل الإيمان ، وزاغت بهــا قلوب أهل الجهل الذين لم يتمكن الاسلام من قلوبهم ، ولم يرســخ الإيمان فى أذهانهم ، فكان أبو بكر الحجر الثقيل الذى لم يقدر الزائغون على تحريكه عن مقره ، فألقى عمرو بن العاص اليه مهمته التى جاء بها ، وتلقاها أبو بكر بصــدر رحيب ، وقلب منشرح ، وعزيمة ثابتة ، لا تؤثر عليها الهيشات ، فأثنى أبو بكر على أهــل عمان ثناء بالغــاً ، وشكرهم شكراً وافراً ، حيث آمنوا طائعين ووصلوه مذعنين خاضــعين ، مع أن أغلب العرب تزعزعت ، فمنها المرتد ومنها على وشــك الارتداد ، واذا بأبى بكر يجهز العمانيين من الجفنة بنواحى الشام فقاموا بمهمتهم خير قيام ، ورجعوا بالنصر والظفر الى الخليفة الامام ، فأقرهم على ملك عمان ، وأيدهم وشد عضدهم وأعرب عن مناهج مصــالحهم ، فازدادوا بذلك شرفاً على شرفهم ، وعــزاً يؤيد عزهم ، ورجعــوا الى عمــان محترمين مكرمين .

وجـاء فى بعض التواريخ ، أن أبا بكر رضى الله عنـه استعمل على عمان عكرمة بن أبى جهـل ، ثم عزله وسـيره الى اليمن ، واستعمل على عمان حذيفة القلعانى ، قال : « فلم يزل والياً على عمان الى أن توفى أبو بكر رضى الله عنه » قلت : لعـل هـذه التولية وتوليـة عكرمة كانتا سياسية من أبى بكر وهو الواضـح ، ثم لم يطل عهدها لأن أبا بكر رحمـه الله لم يطـل عهـد خلافته ، وقد خرج عنه عبد بن الجلندى وأمر عمان اليه وأخيه جيفر ، فلعله بعـد مـدة غير طويلة اقتضى النظر تولية عبد ، ثم تولية حذيفة على أثرها أيضا ، ولم يطـل العهد ذكـر فى أسـد الغـابة بغير تحقيق ، قال : وضبط القلعانى فى نسخة أبى عمر بالقاف واللام والعين المهملة •

قال الامام : قال ابن الأثير : وأنا أشـك فيه ، قال : وضـبطه الطبرى ، فقـال : حذيفة بن الحصـين : الغلفانى بالغين المعجمة واللام والفـاء • قلت : لعله القلهانى وهو غير بعيـد ، فإن الكلمة متقاربة فى صورتها ، قال : وله فى قتال الفرس آثار كثيرة ، قال : واستعمله عمر على اليمامة وسيأتى ذكره فى خـلافة الامـام عمر بن الخطاب رحمـه الله ورضى عنـه •

وفى أيام أبى بكر الصديق وقعت قضـية دبا من عمان ، وذلك فى آخر حياة أبى بكر ، وذلك أن أبا بكر وجـه حـذيفة بن محصـن الغلفانى الذى سبق ذكر الخلاف فى ضـبطه ، قال : وهو من بارق ، وجهه الى عمان وكان حليفاً للأنصـار ، وكان له بصر • قال : وليس هو حذيفة بن اليمانى فوجهه أبو بكر أميراً على عمان فصدقهم • قلت : لعله كان أميراً فقط على الصـدقة ، وفى خبر عبـد بن الجلندى المتقدم

أن أبا بكر رحمه الله أمره بأخذ الصدقة ، فكأن إمارته انتسخت . قال : فلما صار فى ولد الحارث ابن مالك بن فهم ليصدقهم ، تناول بعض أصحابه امرأة معفاة ليصدقها ، وكان عليها فريضا شاة مسنة ، فأعطتهم عتوداً أو عناقاً مكان الشاة أى بدلا منها ، فأبوا أن يأخذوها ما أرادوا ، فصاحت المرأة يا آل مالك ! فقال حذيفة وهو أمير الصدقة : دعوة جاهلية أى مثل هذا التداعى كان فى الجاهلية . وكان بركان الارتداد فى قوته إذ ذاك ، فلهذا قال حذيفة دعوة جاهلية ، وخاف أن يكون القوم قد ارتدوا ، ولعله وسوس له الشيطان أن القوم مرتدين ، لذلك سمع تداعى الجاهلية وما هى وأيم الله إلا نزعة عرضت تخالفت فيها المفاهيم ، وربما وقع مثل ذلك من أهل الجهل وعوام المسلمين بغير قصد الارتداد . قال : فأغار عليهم حذيفة فقبض على ناس منهم وأوثقهم قهراً وهم قليلون ، ولعلهم لضعفهم فمضى بهم الى المدينة بدعوى الارتداد الذى فهمه من تداعيهم .

قال الامام : فثار سبيعة بن عراك أحد زعمائهم وهو من صيلم ، والمعلى ابن سعد الخمامى ، والحارث بن كلثوم الحديدى فى أصحابهم ، فوفدوا على أبى بكر رضى الله عنه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ، ﷺ ، إنا على اسلامنا لم ننتقل عنه ولم نمنع زكاة ولم ننزع يداً من طاعة ، ولم نرجع عن دين ، وقد عجل عاملك وكففنا أيدينا الى أن أتيناك ، فقال أبو بكر رحمه الله أصنع بكم ما صنعت بالعرب ، إن شئتم خليت المال وأخذت السبى ، ففادوا السبى فقالوا على كل أسير أربعمائة وخمسون درهما ، قال الامام كذا ذكر العوتبى فى الأنساب . قال : ويقال إن سبيعة بن عراك خرج الى أبى بكر

الصديق رضى الله عنه فى سبى دبا الذين أخـذهم حذيفة الغلفانى ، وكأن سبيعة المذكور زعيم القـوم ، والمعلا بن سـعد الخمامى ، وكان اسم المعـلا ثعلبة ، ومن حيث إن ثعلبة اسم للثعلب ، وقـد شـهر الثعلب بالروغان والحيل ، سماه أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب رضى الله عنه المعلا ؛ وكان هو وسبيعة ابن عراك زعيمى القوم واليهما الحل والعقـد ، فقدموا المدينة وقد مات أبو بكر الصديق رحمه الله تعالى ، وتولى أمر الناس عمر بن الخطـاب رضى الله عنـه ، فكلماه فى سبى أهل دبـا ، وقال المعـلا بن سـعد الخمامى : يا أمـير المؤمنين إن حذيفة بن محصن الغلفانى تعـدى طوره ، وعظم فى الناس حـدثه ، ولولا مراقبة أمير المؤمنين لكان شكامه متانا جزاء له عن غـيره فيكون واعظـاً لغيره ، ولكن حملنا على مخافة نكله فنرادف العثرة وسـكنت الحرة ، ولم نكـد • قلت : هـذه كلمات مضطربة لا معنى لهـا بحسب الظاهر ، فقال عمـر : يا معـلا إن فى الحق سعة وكف غربك أولى بك ، إن الاسلام سـوى بين الناس ، فرفع الوضيع ووضـع الشريف اذا خالف الحق وأعطى كل إمرىء قسطه من خيره وشره ، ثم أمر عمر برد السبى ولذلك قال الامام السالمى رحمه الله •

تأول السابى لهم يوم دبـا   وأنكر الفاروق ذاك المذهبا

ومن هنا يعـلم أن الإباضـية لا يحكمون بالتأويل لتكفير الناس أى تشريكهم ، فإن التكفير بالتأويل يقـع على غير أصـل ، لكن الوهابية يحكمون بذلك ، فمن اقترف كبيرة شرك بالتأويل ، قالوا له : أنت مشرك دمك حـلال ومالك غنيمة ، فاستعرضوا الناس وحـكموا عليهم بمـا لا يرضـاه الدين ولا حكم به أحد من الصحابة فيما علمنا •

قال الامــام : وفى سيرة الشيخ خلف بن زياد البحرانى قال : بلغنــا أن أبا بكر رحمــه الله ورضى عنه بعث الى أهـل عمـان مصدقاً يأخــذ صدقات أموالهم وهم مقرون بالحكم كله ، فأعطوه الصــدقة جميعاً لم يمنعها منهم أحــد ، غير أن امرأة من أهل دبا شاجرت بعض المصــدقين فزعمت أنه استوفى حقه جميعا ، وزعم هو أنه بقى عليهــا بقية منــه ، فتنازعا فى ذلك فقرعها قرعة استغاثت ببعض أهلها فأغاثها ، فأقبــل هو ومن معــه الى الذى قرعهــا ومن معــه من المصــدقين ، فتواقعوا وتنادوا عند ذلك يا آل بنى فلان حين رأوا أن القبــائل قد نشبت بينهم ، قال : وكانت دعــوة جاهلية ، قــد كان يقال لمن قالهــا أو دعــا بهــا حل دمــه حين يدعو بها أو يتوب ، فاقتتلوا ما شاء الله وظهر المصــدقون عليهم ، فجــاء حذيفة الغلفانى وكان ولى ذلك فسبى أهل دبــا وفيهم ذرية من لم يقاتلهم من النســاء والولدان ، وذرية من كان قــد غاب أو كان قــد مات وهو مســلم ونســاؤه فى غير إنكار منهم بشىء من التزيك ، ولا امتناع منهم ، بمــا قبلهم من الحق ، قال : فلم يبق أحــد من أهل دبــا قــدر عليه إلا سباه ، فوافق بذلك خلافة عمر بن الخطاب رحمة الله عليــه ، وكان أول مبعثهم فى حياة أبى بكر رحمــة الله عليه ، ولمــا تحقق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القضــية غضب غضباً لم يكن فيما علمنــا منــه غضــباً حتى قال : والله أنى لو أعلمــك تسبيهم بدين دونى تقطــع فيهم على لقطعتك طوائف ، ثم بعثت الى كل مصر منك بطائفة ، والمعنى لو كنت أعــلم أنك فعلت ذلك بدين أى تعتقد حــله فى الدين أى تدين بحــله لعاقبتك عقوبة تكون عبرة لغيرك ، والقصــد الزجر والتغليظ لمن يجعــل التأويل دينــاً . فرحم الله عمر لو رأى من يعتقد اليوم تأويله دينــاً ماذا يفعل فيه حين

يرى أموال المسلمين تقسم فيئاً ، والدماء تراق ديناً ، وتسبى الذرارى وهم يدينون لله بالاسلام ، ويعتقدون صحة أوامر دين الله عز وجل .

قال الشيخ خلف بن زياد البحرانى رحمه الله : ثم نقض أى عمر أمر أهل دبا ، أى أبطل الحكم الذى حكم به المصدق فيهم بعد ما هدده ذلك التهديد الكبير ، ورد القوم أى السبى من أهل دبا الى منازلهم إلا من استحق منهم بشىء خيانة ، أى إلا من ظهرت خيانته فيما فرض الله عليه ، قال : وأجاز المسلمين بما أصيب منهم ، ولما أصابهم من البلاء بثلاثمائة ثلاثمائة أى لكل واحد من المصابين بتلك النكبة ، وأخرج ذلك لهم من بيت المال ، ولعله رأى الخطأ بالتأويل فى بيت المال ، وهو وجه فى آثار المسلمين .

قال الامام السالمى رحمه الله : هذا حاصل قضية دبا عند المسلمين كما هى فى الكتب العمانية ، وهم أعرف بحالهم وأخبر بقومهم ، قال الامام ، ولا يصح ما ذكره ابن الأثير فى كامله ، حيث قال : « وأما عمان فإن نبغ بها ذو التاج لقيط بن مالك الأزدى » . قلت : وأشار بهذا الى مالك بن فهم ، وأين مالك بن فهم من لقيط ، فإن بينهما قروناً كثيرة ، فإن مالك بن فهم كان زمن نبى الله موسى بن عمران ، وكم بين موسى بن عمران ومحمداً ﷺ من القرون فلا وجه لما ذكره ابن الأثير من هذه الناحية قبل كل شىء .

(قال) (١) : وكان يسمى فى الجاهلية الجلندى ، قال وادعى بمثل ما ادعى من تنبأ وغلب على عمان مرتداً ، قال : والتجأ جيفر وعبد

---

(١) قلت هذا جهل بالتاريخ وتخليط ، والاجانب يأخذون الأخبار بغير تحقيق وخصوصا فيمن خالفهم : والحازم من يأخذها تحقيقا ، ا . ه .

الى الجبال ، وبعث جيفر الى أبى بكر بخبره ويستمده عليه ، قال : وبعث أبو بكر حذيفة بن الغلفانى من حمير ، وعرفجة بن هزيمة البارقى الأزدى ، حذيفة الى عمان ، وعرفجة الى مهرة ، وكل منهما أمير على صاحبه فى وجهه ، فاذا قربا من عمان يكاتبان جيفرا ، فسارا الى عمان وأرسل أبو بكر الى عكرمة بن أبى جهل ؛ وكان بعثه الى اليمامة فأرسل اليه أن يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عمان ومهرة ، فاذا فرغوا منهم سار الى اليمن ، قال : فلحقهما عكرمة قبل أن يبلغا عمان ، فلما وصلوا رجاماً وهى قريب من عمان ، كأنه أراد بلداً ولكن لم نعرفها بهذا الاسم • قال : كاتبوا جيفرا وعباداً وجمع لقيط جموعه وعسكر بدبا ، وخرج جيفر وعبد وعسكرا بصحار ، وأرسلا الى حذيفة وعكرمة وعرفجة ، فقدموا عليهما وكاتبوا رؤساء من عند لقيط وارفضوا عنه ، ثم التقوا على دبا فاقتتلوا قتالا شديداً ، واستعلى المسلمين لقيط أى غلب عليهم ، فرأى الظفر ، ورأى المسلمون الخلل ، فبينما هم كذلك إذ جاءت المسلمين موادهم العظمى من بنى ناجية وعليهم الخريت بن راشد ، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم • قال : فقوى الله المسلمين فولى المشركون الأدبار ، قال : فقتل منهم فى المعركة وبعثوا أربعة آلاف وركبوهم حتى أثخنوهم وسبوا الذرارى ، وقسموا الأموال وبعثوا بالخمس الى أبى بكر مع عرفجة ، وأقام حذيفة بعمان يسكن الناس ، قال : « وأما مهرة فإن عكرمة بن أبى جهل سار اليهم لما فرغ من عمان ومعه من استنصر من ناجية وعبد القيس وراسب وسعد ، فاقتحم عليهم بلادهم فوافق بها جمعين من مهرة ، أحدهما مع سخريت رجل منهم ، والثانى مع المصبح أحد بنى محارب ، ومعظم الناس معه ،

وكانا مختلفين ، فكاتب عكرمة سخريتاً فأجابه وأسلم ، وكاتب مصبح يدعوه فلم يجب فقاتله قتالا شـــديداً فانهزم المرتدون وقتل رئيســـهم ركبهم المسلمون فقتلوا من شـــاءوا منهم وأصـــابوا ما يشـــاءوا من لغنائم ، وبعث الخمس الى أبى بكر مع سخريت ، وأراد عكرمة وجنده فوة بالظهر والمتاع ، وقام عكرمة حتى اجتمع الناس على الذى يجب ، وبايعوا على الاسلام انتهى كلام ابن الأثير .

قال الامـــام : وكله باطل . قلت : هؤلاء المؤرخين يتلقون أخباراً لا أصـــل لها أو لها أصـــل ، لكن غير ما يلقى اليهم وأحيـــاناً يتلقون أخباراً من قبـــل ناس ، ويعلقونها على آخرين غير أصحابها « وما آفة لأخبار إلا رواتها » .

الحلقـــة الخامســـة

فى فضائل أهل عمان وذكر مشاهيرهم فى صدر الإسلام

وبه يتم الجزء الأول من تاريخ عمان إن شاء الله .

اعلم أن لأهل عمان فضائل لها قيمتها عند المسلمين ، وقد نــوه ﷺ بها فى أحاديثه الغراء ، وشهد بها الخليفة الأول رضى الله عنــه ، وأكدها بلغاء العرب على اختلاف مذاهبهم ، ولا ينكرها إلا جاهل غبى أو حاسد دنى ، وهل ينكر الحق إلا أهل الباطل ، وهل يعرف الحق لأهل الحق إلا أهله ، فأهل عمان أسلموا طوعاً ووالوا رسول الله ﷺ ولم يروه وتولوه ، فسمعوا له وأطاعوا رسوله على بعد دارهم وكثرة عددهم ، بينما أهله وبنو جلدته عادوه حتى أخرجوه من وطنه وتألبوا على عدائه إلا من شاء الله ممن سبقت لهم من الله الحسنى ، كما أن أكثر العــرب ناصبوا أوامره العداء ، وعارضوا معجزاتــه التى يرونها رأى العــين بالبذاء ، فكانوا عليه أشد من اليهود ، بينما أهل عمان قالوا لرسوله أهلا ومرحبا وسلموا إليه مقاليد أمورهم ، وكانوا لدعوته دعاة مخلصين ، ولداعيه عضده اليمين ، ولأوامره خاضعين ومسلمين ، فلم ير منهم طيلة حياته إلا الخير الذى يحبــه الله والجميل يتجلى بأخلاقهم لله ، فلذلك قال ﷺ رحم الله أهل الغبيراء آمنوا بى ولم يرونى ، وهذا من رسول الله ﷺ ، أعظم شهادة على فضلهم ، وروى أحمد من طريق أبى لبيد . قال : قال خرج منا رجل يقال له بيرج بن أسد ، فرآه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من أهل عمان فأدخله عمر على أبى بكر رضى الله عنه ، فقال : هذا من أهل الأرض التى سمعت رسول

الله يقول ، أى فيهـا : إنى لأعلم أرضاً يقال لها عُمان ينضح البحـر بناحيتها ، لو أتاهم رسولى ما رموه بسهم ولا حجر • ولقد صدق الله ظنه فيهم ، فأتاهم عمرو بن العاص رسولا من عنده ﷺ فلم ير منهم إلا خيراً ولا سمع عنهم أيضا كذلك إلا الخير الذى سرّة منهم ، وعند مسلم من حديث أبى برزه الأسلمى ، قال بعث رسول الله ﷺ رجلاً إلى قوم فسبوه وضربوه ، فجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام لو أهل عُمان أتيت ما سـبوك ولا ضربوك ، فترى رسول الله ﷺ ، يتمثل بهم فى الخصال الحميدة ، وحسبهم بذلك شرفاً وفضلاً •

وفى حديث مازن بن غضوبة السعدى قال : قلت يا رسول الله ﷺ ، ادع لأهل عُمان ، فقال ﷺ : اللهم أهدهم وأثبهم ، فقلت زدنى يا رسول الله ، فقال « اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم ، فكان أهل عُمان أعف الناس فى كل معانى العفة ، وهم أقنع الناس بالكفاف وارضاهم بما قسم الله لهم بخلاف غيرهم ممن ألهاهم التكاثر واستهواهم الرياش الفاخر ، قال مازن : قلت يا رسول الله : البحر ينضح بناحيتنا وفى رواية ، بجانبنا ، فادع الله فى ميرتنا وخفنا وظلفنا • فقال عليـه الصلاة والسلام : اللهم وسع عليهم فى ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم • قلت : زدنى يا رسول الله • قال ﷺ : اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم ، يا مازن قل آمين فإن آمين يستجاب عنده الدعاء ، قال مازن : قلت آمين • فاستجاب الله عز وجل بمنه وفضله دعاء نبيه ﷺ لأهل عمان ، وظهرت بركاته فيهم بغير نكران • قال مازن : فلما كان فى العام القابل وفدت على رسول الله ﷺ ، أى عدت إليه وافداً من عُمان ، فأخبرته بما من

الله به عليهم من بركة دعاء الرسول ﷺ . فقلت : « يا المبارك ابن المباركين ، الطيب ابن الطيبين ؛ قد هدى الله قوماً من أهل عمان ومن عليهم بدينك » قلت : لعله أشار إلى الذين أسلموا على يد عمرو بن العاص ، فتحدث مازن عنهم ، قال : وأخصبت عمان خصباً هنيئاً وكثرت الأرباح والصيد بها فقال عليه السلام : « دينى دين الإسلام . سيزيد الله أهل عمان خصباً وصيداً ، فطوبى لمن آمن بى ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ولم ير من رآنى ، وأن الله سيزيد أهل عمان إسلاماً » أى سينتشر الإسلام فى أهل عمان وسيعمهم ، فكان ذلك دليلاً على صدقه ﷺ ، فهو من معجزاته الدالة على نبوته .

وذكر الإمام أبو يعقوب فى لواحق المسند من روايات الإمام الربيع ابن حبيب ، عن شيخه أبى سفيان محبوب بن الرحيل القرشى المخزومى رحمهم الله ورضى عنهم ، عن أزور رجل من المسلمين ، أن نسوة من نساء أهل عمان استأذن على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، فأذنت لهن فسلمن عليها ، وفى رواية فسلمت عليهن ، ثم قالت : من أنتن ؟ قلن : من أهل عمان ، قال فقالت لهن : لقد سمعت حبيبى ﷺ يقول ليكثرن ورّاد حوضى من أهل عمان ، وفيه أيضا من روايات الربيع عن أبى سفيان ، قال : دخل جابر بن زيد على عائشة رضى الله عنها ، فأقبل يسألها عن مسائل لم يسألها عنها من قبل ، أى على كثرة تردده عليها لأخذ العلم عنها ، إذ هى من أجلة شيوخه رحمه الله سألها جماع النبى ﷺ ، وإن جبينها يتصبب عرقاً وتقول : سل يا بنى ، ثم قالت : ممن أنت ؟ أى لما رأته يبالغ فى السؤال حتى عن مثل هذا ، وهو كان سألها عن مقدمات الجماع التى لا حرج فى السؤال عنها ، كالتقبيل

ونحوه ، كما أنها لا زالت تقول ، كان النبى ﷺ يقبلنا وهو صائم ، وفى رواية : وأيكم مثل رسول الله وهو أملك لأربه ، ولما قالت له ممن أنت ؟ وقال لها : من أهل المشرق من بلد يقال لها عمان ، قال أبو سفيان : فذكرت له شيئا لم أحفظه إلا أنى أظن أنها قالت : أظن أن النبى ذكره لى وأشياء هذا .

قال أبو إسحاق : المراد أنه سألها عن مقدمات الجماع التى يجوز السؤال عنها حرصا منه على نقل السنة رضى الله عنه ، وجمعها كى يكون المسلم مقتدياً برسول الله ﷺ فى كل أعماله دقيقها وجليلها ، لا السؤال عن نفس الجماع ، فإنه لا يجوز السؤال عنه ، ولو سأل عما لا يجوز لزجرته ولا هوادة فى الدين ، وقد شهر عنها قولها لسائلها : اسألنى عما كنت سائلا عنه أمك ، أى ما جاز لك أن تسأل عنه أمك سلنى عنه ، وقول الطاعنين فى الإمام أبى الشعثاء رحمه الله لا يتلفت إليه ، فإن جابر بن زيد من أجلة علماء الشريعة ، ومن أكبر أئمة السنة ، إذ تقل عنهم جميعهم ورأوه أهلا لأن يؤخذ عنه ، واتفقوا على عدالتها وضبطه ، وإنكار بعض المتنطعين لهذا الحديث مردود عليهم ، فليس كل السنة هم مصدرها أو لا تصح إلا منهم ، فكم ترك الأول لغيره ، وكم ورد ذلك النهر من الرجال منهم من عاش ومنهم من مات بما معه ، وكم نسى الناقلون مما نقلوا ولم يحصر العلم فى قوم مخصوصين ، أو فى أفراد معينين ، فيكون ما عندهم من المعول ، فكم قال رسول الله ﷺ : رب حامل فقه وليس بفقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه وهكذا .

وكذلك حديث : ليصلك شيخ العثمانية فعلميه جميع الدين ، وفيه فيجدنى ميتاً فى روايات ليس بمستغرب ، وفى آخره أنا أحبك يا أم المؤمنين

عملاً بقوله ﷺ : إذا حب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه ، فقالت رضى الله عنها : وأنا كذلك أحبك . قال : ثم لام نفسه ، فقال لها : أنا أحبك فى الله ، كما قال رسول الله ﷺ للأنصاريين إذ مرًّا حول المسجد ورأيا رسول الله ﷺ مدلياً رأسه لزوجته ترجله وهو معتكف فى المسجد ، فلما رأياه على تلك الحال أسرعا مَشْياً هيبة لرسول الله ﷺ واحتراماً له ، وزوجته ، فلما فرغ استدعاهما ، فلما حضرا قال لهما : إنها فلانة إحدى زوجاته ، فقالا يا رسول الله حتى عليك أنت ، فقال : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، أى خفت أن تُسيئَا ظناً بإغراء اللعين لكما فتقعا فى الخطر ، فإن سوء الظن بالمسلم من أكبر الكبائر ، فكيف برسول الله ﷺ ، فإن سوء الظن كبيرة مـن كبائر الذنوب ، ولما قـال لهـا جابر ما قال نهرته ، فقالت « أتظن أنا أحبك فى غير الله يا أعور » ، وكان جابر أعور رحمه الله .

وقال رسول الله ﷺ : « بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتى » . قالوا ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : « الذين يعملون بكتاب الله حين يترك ، ويتمسكون بحبل الإسلام حين يقطع » . قال الإمام : « قال محمد بن أحمد الغرباء أهل عمان ، من سره أن ينظر الى أصحاب رسول الله ﷺ فلينظر إلى الصلحاء من أهل عمان » . قلت : وإليهم يشير من قال :

سمت الملوك وهى الأنبياء على   أخـلاقهم فكـان الفقر تيجـان

وفى بعض الكتب العمانية : قال رسول الله ﷺ : « من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان » ، وعنه ﷺ : « من أعيته المكاسب فليأت عمان ،

بلاد الأمان لا ظلم فيها ولا جور ، وهذا من أعظم خصال أهلهـا » .
وعنه عليه الصلاة والسلام : يوشك فى آخر الزمان أن ينتقل إليها الناس .
قلت لقد بدأ انتقال الناس إليها فى زماننا هذا تصديقاً لهذا الحديث ،
الذى مازلنا ننتظر وقته ، ومتى هو كائن ، فإذا بالناس ينتقلون زرافات
ووحداناً إلى قطر وأبى ظبى ودبى ، والآن إلى النافذة الشرقية مسقط
ومطرح وأعمالهما ، فهاهم وهم فى أول بدئهم قد ملئوا هذه البلاد المذكورة
من جميع الأمم الإسلامية والإفرنجية والمجوسية ، من مختلف البلاد
أوربـا فأسـيا . قـــال رسـول اللـــه ﷺ : « مـــن أحب أن
يسكن عمان فليسكن ، فإن فيها القنـــوع والرضا باليسير » ، وهـــذا
موجود فى أهل عمان رجالا ونساء بالنسبة إلى أمم البلاد الأخرى .

وسمع عبد الله بن سلمة رجلاً يودع رجلاً فقال له : أين تريد ؟
فقال أريد عمان ، قال : فالحق بها يـا ابن أخى ، ، فإن بهـا أمـان
الليل وأمان النهار ؛ والمعنى أن ليلها آمن كأمان نهارها لا فرق فى ذلك ،
ومنه يوشك أن ينتقل الناس إليها فى آخر الزمان فراراً من جور السلطان
وأعوان الظلمة وحطاط النبط ، قال : وعن النبى ﷺ أنه قال : يوشك أن
تكفر أمتى ويلى عليهم أعوان الظلمة فى البلدان ، أى فى بقية البلدان
التى يتولاها الظلمة ، الذين يخلقون القوانين ، ويرفضون البراهين ،
ويتبعون الأهواء ، ويقدسون الأقوى ، وهذا هو الكفر بعينه ، فإن الكفر
منه الشرك ، ومنه كفر النعمة ، وفى ختام هذا الحديث يلتجىء الناس
إلى عمان ، وأن عمان فى ذلك الزمان ، ثم وقع سقط فى الرواية وآخره
نعم ، وإن عمان عند اقتراب الساعة يعمر خرابها ، ويكثر سكانها ،
وتضيق بها أمتى حتى يباع مربض الشاة ومقعد الرجل بعشرة دنانير
وعشرين ديناراً ، فلا يقدر على ذلك ، أى لا يقدر على شراء ذلك إلا

خواص الناس ، وذلك لكثرة الأموال فى أيدى أهلها ، ومنه وكذا فيها الأرزاق ، أى متسعة وميسورة ، قال : ويأمن الناس فيها بأوسع الأمان ، ينضح البحر بناحيتهم تأتيهم أرزاقهم من بحرهم ، وفى رواية من بحورهم ، آمن ليلهم ، طيب نهارهم ، أ هـ .

ففى هذه الأحاديث المتجلى الآن أوّلٌ مدلول لها ما يقضى بفضل عمان وفضل أهلها ، ولا يخفى أن الأمان على الأنفس والأموال من أعظم النعم فى هذه الحياة الدنيا ، وأما الناس مع تيسير الأرزاق وتسهيل المؤونة أعظم فضل من الله على عباده ، وهذا موجود فى عمان . وهذه الأحاديث أذهبت وضعها فى الصحيح أقلام الرواة والنساخ ، فإن المآثر العمانية أضاعتها أيدى الإهمال القاضية بتلاشى الأعمال ، لكن تداولها يشهد به الواقع والحمد لله .

وقد ذكرت هذه الأحاديث فى كتاب من أهل نزوى لأحد رجال الحق فى عمان ، وكنا نستغربها لما انطوت عليه من المعانى البعيدة ، فإذا بالأيام تعرب لنا عن معانيها ، وذكرها مرتب جوابات الإمام الخليلى رحمه الله ، وهو الشيخ سالم بن حمد بن سلمان الحارثى لنكتة لاحظها ، ولا ريب فإن أهل عمان شاركوا فى كل فضل كما سوف ترى فى هذا الكتاب من أعمالهم السامية ، فدعا رسول الله ﷺ لأهل عمان حين استدعاه الصحابى الوحيد مازن بن غضوبة السعدى . ودعا لهم أبو بكر رضى الله عنه .

قال الإمام السالمى رحمه الله : وظهرت إجابة رسول الله ﷺ ودعاء خليفته لأهل عمان ، وصدق الله توسمهما فيهم فهم أكثر الناس هدى

وصوابا منهم الأئمة العادلون والعلماء الراشدون ، لم يتسلط عليهم عدو من غيرهم ، ولم تخرج بلادهم من أيديهم ، وإن غلبوا على دولتهم فى بعض الأحيان لما أراد الله تمحيص المؤمنين وتمحيق الكافرين فما زالت دعوتهم بالحق ظاهرة ، وسيرتهم بالعدل شاهرة ، ودولتهم بالفضل زاهرة ، منهم العلماء النجباء ، والعقلاء الفضلاء ، والخطباء البلغاء ا ه .

ولقد شاركوا فى صحابة الرسول ﷺ بأربعة رجال عرف مقامهم وحمد مرامهم .

الأول : الشيخ مازن بن غضوبة السعدى الطائى السمائلى ، ولا يخفى على أحد من رجال الإسلام .

والثانى : كعب بن برشة الطاحى ويعرف بالعودى الذى أرسله زعماء الفرس إلى النبى ﷺ لاستطلاع خبره ، وكشف صحة نبوته ، وأتى النبى ﷺ وعرف نبوته وصدق برسالته ، إذ كان ممن قرأ الكتب وعلم عن نبوة الرسول الأعظم ، فعاد إلى القوم بصحة النبوة المحمدية ، وذلك لما وصلهم قالوا : هذا أمر نريد نشافه فيه الملك ، إذ كانوا يعلمون صدق كعب المذكور ، فكان داعية إسلامية فى عمان .

والثالث صحار بن العباس العبدى من عبد القيس من أهل عمان ، فكان من أجلة العلماء الأتقياء الأوفياء المرضيين .

والرابع : أبو شداد العمانى المعروف عند الغير بالذمارى ، كان يأتى ذماراً فقالوا فيه : العمانى الذمارى ، ذكره صاحب الاستيعاب وغيره ممن كتبوا عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وإن أنكر فضل أهل

عمان من أنكره من أعدائهم فهذه حقائق واضحة فى أفق التاريخ وضوح الشمس رابعة النهار ، لا ينكرها إلا أعمى عن الحقائق ، وأى فضل أعظم ممن أثنى عليه رسول الله ﷺ ذلك الثناء العظيم ، ثم أثنى عليهم أبو بكر رضى الله عنه ذلك الثناء الجسيم ، ثم عمر بن الخطاب رحمه الله ورضى عنه ، وأثنت عليهم الأنصار فى ملإ من المهاجرين والأنصار ، ولذلك لم يزالوا على الحق رغم الدهر الذى من طبعة التقلب ، فأهل عمان أهل خير لم يتزعزعوا عن دينهم منذ أسلموا ، ولا نقضوا عهداً ولا ذمة ولا بدلوا من الأوامر الشرعية شيئاً أبداً ، بل هم على الحق ثابتون ، وعلى المذهب الصحيح عاضون بالنواجذ تبعاً لوصيته عليه السلام .

قال عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ ، وهو يرد على من ينكر فضل أهل عمان قال : لربمـا سمعت من لا علم له يقول : ومن أين لأهـل عمان البيان ؟ فقال الجاحظ المذكور ، وهو يرد على هـذا القائل كمـا قرر عليه : أنه لا علم له ، وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء والبلغاء مـا يعدون لأهل ، أى لا يوجد لأهل بلد واحد كعمان مـا يعدون لأهل عمان ، وهـذا أكبر شهادة من هـذا العالم الوحيد فى قومه بعلاميتـه الشهيرة ، ثم أخذ الجاحظ يذكر فضائل أهل عمان فقال : منهم — أى أهل عمان — مصقلة بن الرقية اخطب الناس قائماً وقاعداً ومفرداً ومنافسـاً ومجيباً ومبتدئاً ، أى فى كل هـذه الأحوال ونحوهـا أخطب النـاس ، أى أوسعهم مقالاً ، وأسرعهم بياناً ، وأقواهم حجة ، قال : وابنـه من بعده كرب ابن مصقلة . قال : ولهمـا خطبتا العجوز فى الجاهلية ، والعذراء فى الاسلام ، أى هاتان الخطبتان شاعتا عند العرب الأولى فى الجاهلية ، فتناقلتها العرب ، والثانية فى الاسلام ، وقد جمعتا من العلم والأدب مـا خضعت له أعنـاق فطاحل العرب ، ولولا أن ذكرهما يطول بنـا لجئنا

بهمـا ولكن لنـا أغراض أخرى ، تدعونا الى السـير فى أعمالنا قدماً ، قال الجاحظ . قال أبو عبيدة : « مـا سمعنا مثلهما فى الاسلام إلا خطبة قيس ابن خارجة بن سنان فى حمالة داحس ، فقد ضرب به المثل » . قال وذلك أن قيساً أتى الجاهلين وهمـا خارجة بن شيبان والحـارث بن عوف ، فضرب مؤخر راحلة ابنه بالسيف ، وقال : مالى وهـذه الحمالة أيتهـا العيسميان ، فقئت عين بعير عن ألف بعير ، قالوا : ومـا عندك ، قال : رضى كل ساخط وقرى كل نازل ، قال : وخطب من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب ، أمر فيهـا بالصلة ونهى فيهـا عن القطيعة ، وخوّف الشمس الى أن تغرب ، أمر فيهـا بالصلة ونهى فيهـا عن القطيعة ، وخوّف درك العواقب ومـا تجىء به النوائب ، قال فزعموا أنه خطب من غدوة الى الليل ، فقال قائلهم : وهو يذكر غيره فلو قال ، حتى تغرب الشمس قائماً لكان كقيس فى ديار بنى مرة ، قال : وهو خطيب قيس فى الجاهلية ، وخطيبهم فى الاسلام سحبان بن وائل الباهلى .

قال الجاحظ : ومن خطباء عمان وعلمائهـا صحار العبدى ، أبو إسحاق هو ابن العباس العبدى ، قلت : هو الذى سبق عده فى الصحابة ، فهو الصحابى الثالث من عمان ، قال أبو إسحاق قيل أدرك النبى ﷺ وروى عنه ثلاثة أحاديث ، قال وهو من أئمتنا وشيخ أى عبدة مسلم بن أبى كريمة ، وهو أول من ألف فى الأدب وله تأليف فى أمثال العرب ، ذكره أبن النديم فى الفهرست ، قال : « وكان من أخص أصحاب الامـام أبى الشعثاء جابر بن زيد رحمهما الله » ، قال : ومن خطبائهم صعصعة بن صوحان بن زيد وأخوه ، خطيبان مصقعان . قلت : لقـد شـهر صعصعة بن صوحان بين أعلام الأدب وأبطـال العرب ، ومازالت خطبه مأثورة متداولة ، يتناقلها العلماء الأعلام وتزدان بها المؤلفات .

قال ومن خطبائهم مرة بن البليد الأزدى ، لم يكن فى الأرض أجود منه ارتجالاً وبديهة ، ولا أعجب فكراً وتحبيراً منـــه ، قال : وكان رسول المهلب الى الحجاج ، أى وأن الرسول عين المرسل ، قال : وله عنـــده كلام محفوظ قال : ومنهم عرفجة بن هزيمة البارقى أحد الرجال القـــادة فى الزعامة الاسلامية ، وله الشهرة فى أيام أبى بكر رضى الله عنـــه خصوصاً فى حروب أهل الردة ، قال : ومنهم بشر بن المغيرة بن أبى صفرة ، لم يكن فى أرض عمان أنطق منـــه : قلت والمرء بأصغريه ، كما قال رســـول الله ﷺ ، قال : وكان خطيب المصريحى بن يعمر ، قال : وكان منشـــأة ومولده الى أن بلغ الأهوار ، وأصله من عمان ، قال وكذلك الجحاف بن حكيم وغيرهمـــا •

قال أى الجاحظ : فالذى ينكر ألا يكون بعمان خطيب ليس يقول ذلك بعلم أ هـ كلام الجاحظ •

وقال الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : رأيت أعرابياً بمكة فاستفصحته ، أى أعجبتنى فصـــاحته ، فقلت : من الرجل ؟ فقال من الأزد ، قلت : من أيهم ؟ قال : من بنى الحدان بن شمس ، فقلت : من أى بلاد ؟ فقال : من عمان ، قلت : صف لى بلادك ، فقال : سيف أفيح ، وفضاء صحصح ، وجبل صلدح ، ورمل أصيح ، فقلت : أخبرنى عن مالك ، قال : النخل ، قلت : وأين أنت عن الإبل ، أى ولهـــا الشهرة إذ ذاك عند العرب ، فقال : كلا إن النخل أفضل ، أمـــا علمت أن النخل حملها غذاء ، وسعفها ضياء ، وكربها صلاء ، وليفهـــا رشاء ، وجذعها غماء ، وفروها إناء ، قلت : وأنى لك هـــذه الفصاحة ؟ أى من أين لك هـــذه الفصاحة البليغـــة التى تجابهنى بهـــا فى موقفى هـــذا بداهة ؟ قال : إنا بقطر

لا نسمع فيه ناجحة التيـار ، أى نحن بعيدون عن ساحل البحر الذى لا يزال الأعاجم والأنبـاط يختلطون بأهله ، بل نحن بعيدون منهم حيث منابت الشيخ والقيصوم من عمان أى فى داخلها .

وفى خبر الحجاج بن يوسف الثقفى ، قال : خرج الى القاوسان وإذا هو بأعرابى فى زرع له ، فقال له الحجاج : ممن أنت ؟ قال من أهـل عمان قال : فمن أى القبائل أنت ؟ قال : من الأزد . قـال : فكيف علمك بالزرع ؟ قال : إنى لأعلم منـه علماً . قال أى الحجاج : أى شىء خيره ؟ قال : مـا غلظت قصبته واعتم نبته ، وعظمت جثته ، قال : فأى العنب خيره ؟ قال : مـا غلظ عوده وعظم عنقوده قال : فمـا خير التمر ؟ قال : مـا غلظ لحاه ودق نواه ورق شحاه ، فأدهشه بمـا أبداه من فصاحة علميـة .

قال الامام : ومن أهل عمان كعب بن سور قاضى عمر بن الخطـاب على البصرة ، قال : وهو أول من قدم على البصرة بعد تمصيرها . قلت : ولتوليته القضاء بهـا خبر بديع ذكره المؤرخون ، وهو من روائع الذكاء ، وبدائع الإدراكات الذهنية التى يختص الله بهـا من شاء من عبـاده ، والله يزيد فى الخلق مـا يشـاء ، ولن نذكر هـذه القضايا ، وإن كان لهـا تعلق بالتاريخ العربى الاسلامى العـام ، فتاريخنا هـذا خاص ، وإنمـا نشير الى الحوادث كهـذه من بعيد ، ونكل على ذلك الى غيرنا ، فان أهل العلم قد ذكروا كل مـا يلزم وفوق مـا يلزم .

ومن أهـل عمان أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدى رحمـه الله تعالى ، وقد تحدثنا عنه فى « العرى الوثيقة » بمـا يشفى ويكفى ، وكان

غاية فى العلم والورع ، مثالا للنزاهة والتقوى ، ومرجعا للمشاكل ومنتهى الطالب للفقه الاسلامى بجميع معانيه فى أيامه ، أجمعت الأمة على ثقته وعدالته وضبطه وصيانته ، وعاش عمراً طويلاً قضاه فى تحصيل العلم وحفظه وجمعه ونشره فى الأمة ، فطلبة العلم عهد التابعين عيـال عليه ، فأين رجال العلم عند جابر تلميذ ابن عباس رضى الله عنهما .

قال الامام : وشهرته عند الموافق والمخلف كافية عن إطـالة ذكره ، وكان مقامه فى البصرة ومات بهـا ، وهو من أهل فرق من داخلية عمان ، خرج لطلب العلم فكان الغاية القصوى فيه والحجة العليـا على مخالفيه ، وقد بسطنا طرفاً هاماً من ترجمته فى « العرى الوثيقة » .

ومن أهل عمان الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدى صاحب المسند الصحيح ، انتقل إلى البصرة ونسب إليها ؛ وعاش فيها عهداً إذ هى إذ ذاك حضيرة علم ودوحة فقه ومعدن فضل ، ثم رجع إلى عمان فى آخر عمره ، فعاش قدوة الأمة وعمدة أهل المذهب ، قال الإمـام وكان يضرب بـه المثل فى العلم ، كذلك وضعنا ترجمته فى العرى الوثيقة ، ومن أهـل عمان أبو حمزة الشارى المختار بن عوف السليمى من أهالى مجز مـن أعمال صحار ؛ صحب الإمام عبد الله بن يحيى الكندى المعروف بطالب الحق فى حضرموت ، وكان المختار عنده السيف البتار الضيغم الزآر الذى ذكرنا عنه فى (الإسعاف) ، ما ساء بعض أهل الخلاف ، وغاظ أهـل الاعتساف ، وتحدث عنه وعن أصحابه صاحب الأغانى ، وذكر طرفاً مـن تاريخهم الزاهر ، وذكرهم العاطر ، فكانوا جمال الكتب وزينة الدفاتر .

قال الإمام : وهو خطيب مصقع . قلت : خطب أبى حمزة الشارى

لا تخفى على أحد من أهل العلم ، فلا نذكرها ؛ بل رواها أجلة الله العلماء كمالك ابن أنس ، وقال فيها مقالته المشهورة ، وهى : خطبنا أبو حمزة خطبة حيرت المبصر وردت المرتاب ، وهذه أعظم شهادة من ذلك العلم الجليل بحق أبى حمزة ، وأنه على الحق حيث ردت المرتاب عن ارتيابه ، وحيرت المبصر الذى يرى أنه البصير فى دينه ، لما سمع خطبة أبى حمزة رأى نفسه فى حيرة لا مزيد عليها ، حيث كان يعتقد الحق عند ، وإذا هو خلو منه والله المستعان ، إن الهدى يختص به من عباد الله من وفقه الله .

أرتنى هدى زيـــد وفى العلم قلة   وضـــلة عمـــرو والعلـــوم بحور

قال الإمام السالمي رحمـــه الله : يعني أن البصير فى دينه المخالف لأبى حمزة صار بعد سماع خطبته مختاراً غير مبصر لما سمع فيها مـــن الحجج البـــاهرة ، والبراهين القاهرة ، الناقصة لما هـــو عليه من ســـوء الاعتقاد ، وإن المرتاب فى مذهبه رجع بسماع خطبة أبى حمزة إلى مذهب الحق وترك ما كان عليه من الريب ، قال : وكان يشير بالمبصر إلى نفسه ، فهذا من قوله يدل على أنه صار مختاراً فى مذهبه ، حيث إنه لم يستطع جواباً لحجج أبى حمزة ، ولا دفعاً للحق الذى نطق به ، والحق إذا قام صرع معانده ، قال : وليته ترك الحيرة وأخذ بالبصيرة ، قال : ومجل ذكر خطبه فى سيرة طالب الحق من أهل اليمن ، فلا نطيل بذكرها . قلت : لما كان الرجل عمانيا ، ونحن نؤرخ عن عمان ، كان مـــن اللائق أن نذكر فضائل أهل عمان ومكارمهم فى تاريخ عمان ، لكن أرجأنا ذلك آملين أن نجمع خطب أهل المذهب فى كتاب مستقل ، فنذكر فيه هذه الخطب وأضرابها من خطب الأعياد والجمعات والاستسقاء ، وأن نعلق عليها شروحاً تبين معانيها وتشهد بحقها ، وتعرب عن مقتضى جملها ومفرداتها مع خطب

عرفة ، وما يناسب ذلك فلهذا أخرنا عن ذكرها هنا ، فإن وفق الله لذلك فهو المسئول أن يعين عليه ، وإن حالت الأقدار بيننا وبين أملنا فنسأل الله أجر ما قصدنا وهو أكرم الأكرمين .

ومن أهل عمان الخليل بن أحمد الفراهيدى ، وكان من أهل ودام من الباطنة ، خرج إلى البصرة وأقام بها حين أعرق أهل عمان بها منذ عهد أبى بكر رضى الله عنه ، إذ انحاز إليها أكثر الركب المصاحب لعبد بن الجلندى وهى إذ ذاك تخطط من جديد فنسب إليها حتى لا يعرف إلا بالبصرى ، وهو علامة شهر بالعلم بين أعلام الأمم ، وفى مقدمتهم فقهاً وأدباً وتاريخاً وشعراً ، وله بدائع علمية لم تكن لغيره من رجال العلم ، ولا عرفها أحد قبله ، فهو صاحب العروض الذى لم يكن له سبق وجود فى عالم العلم ، وقد سماه باسم المكان الذى فتح له به فيه وهو العروض ، فرتب أبحر الشعر ستة عشر بحراً . ورتب قوافيها على غير مثال سبق ، فكأنه من آيات أفكاره الوقادة ، وقد ذكره ابن خلكان وغيره ، ولـــه كتاب العين الذى هو إمام الكتب فى اللغة ، وشهرته تغنى عن ذكـــره وما سبقه إلى تأليفه أحد ، أى لم ينسج أحد قبله على منهاجه البديع ، وإليه يتحاكم أهل الأدب ، فإنه إمام فيه وذلك فيما يختلفون فيه فيرضون بحكمه ولا ينتظرون بعده غيره فيسلمون لحكمه ، وهو صاحب النحو ، وإليه ينسب ، وهو أول من بوبه وأوضحه ورتبـــه وشرحه وهذبـــه ، وهو شيخ سيبويه فى النحو وسيبويه أنحى أهل الأرض فى أيامه ، وكان الخليل المذكور أخذ النحو عن أبى الأسود الدؤلى ، هذا الفن وهو أيضا صاحب الشكل والنقط فى الألفاظ العربية ، ولم تكن قبله مشكولة بل أشكلت فأزال الخليل إشكالها ومشت الأمة على عمله هذا منذ ذلك العهد تبعاً له ، ولع فضيلة السبق فيه والتقدم .

ومن أهل عمان ابن دُريد المعروف بأدبه وعلمه وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى الحسن بن دريد الأزدى ، صاحب كتاب الجمهرة المشهور بين أهل الأدب لغة وغيرها ، ولو لم يكن له غيره لكفى ، بل له مصنفات عدة ذكرها مترجموه ، وهو الخطيب المشهور والأديب المذكور والشاعر المعروف ، والفصيح الذى يقف عند كلامه البلغاء ، ويستعير من بلاغته الفصحاء ، ويعجز عن مجاراته فى الأدب أجلة الأدباء ، ويستعين بعباراته اللغوية الخطباء ، فهو خطيب فى شعره مصقع فى نثره ، وقدوة فى خطبه وأدبه ، وحكيم فى وضعه وأديب فى شعره ، ومجيد فى نظمه ونثره ، لا زيادة عليه فى فنون الأدب والعلم ، ولو لم يكن له من الشعر إلا مقصورته لكفت دليلاً على بلاغته وبرهاناً على حكمته ، وقد تداولها الشراح وتسابقوا إلى التعليق عليها ، لما حوته من المعانى الأدبية وما انطوت عليه من الحكم الشعرية ، فهى جامعة كلية فى الأدب العربى ، وقد ذكره المؤرخون فى كتبهم قديماً وحديثاً ، وأشاروا إليه لمن سعى إلى الأدب سعياً حثيثاً ، وإن العلم ليفتخر بمثله .

ومن أهل عمان أبو العباس المبرد ، صاحب كتاب الكامل المشهور الذى هو أحد كتب الأدب ، وأيام العرب ، وقد عده كثير من أهل العلم فى طليعة الوعاة العرب ، وله مصنفات ، والكامل أشهرها ، وشيوعه عندهم غير منكور لا سيما فى تحليل المعانى الشعرية ، وذكر محتويات كلماتهم فله يد طائلة ولهجة واسعة ومقالات جامعة ، ولا يخفى أن أهل عمان فى الركب العربى من المقدمين فى الأعمال الاسلامية بجميع معانيها ، فلأهل عمان فى سياسات الممالك السهم الأكبر والحظ الأوفر ، وناهيك بسياسة المهلب ابن أبى صفرة العمانى الأزدى ، فقد وصفه أهل التاريخ بأوصاف سياسية يحتار فى وضعها كثير من فطاحل الرجال ، وله فى

الحزم والعزم على مرواغة الأبطال ، بحيث يعييهم أمره ، وبذلك استنقذ البصرة من أيدى الأزارقة وكادت الدولة الإسلامية تؤيس من إرجاعها إلى دائرتها ، فجاءها هذا البطل الأزدى العمانى ، فأخرجها من أشداق الأزارقة وأراهم منه صولة لا ترد ونكايات لا تعد ، ودهاء لا تصل إليه عقولهم ، فأعاروها اسم بصرة المهلب ، وقد أشبع العوتبى الفكر العربى بأعمال المهلب حتى هم أن يتولى مهام الدولة إلى حد بعيد ، وهو هو فى سيره وسراه ، وكان قيامه على الأزارقة فى حرب البصرة بأبطال عمان من قومه وآله ، وهم العمدة معه فى ذلك ، وإن كان معه من غيرهم ، ومن قرأ التاريخ العربى الإسلامى أدرك ما قلناه واضحاً ، فلم تزل المعارك دائرة بينه والأرازقة عهداً طويلاً حتى ردهـم الله بسـببه خاسرين ، حليفهم الفشل ، وإذا استقرأ الحر التاريخ العربى ، رأى فيه لعمان نقاطاً هامة .

قال الإمام : ولهم فى الشجاعة المنزلة العليا والسهم الأوفر وذلك فيهم غير مجهول ولا مستنكر ، قال : فمنهم بلج بن عقبة افراهيدى الذى كان يعد عن ألف فارس ،وهو شاب فى سن العشرين من عمره ، قال وخبره فى سيرة الإمام طالب الحق الكندى ، قلت : وكم مثله من الأبطال العمانيين ذكر أفراداً منهم فى تاريخ الإمام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربى ، من أرادهم فليرجع إليهم منه يجد رجالاً تفوق الرجال وأبطالاً لها فى الشجاعة أعلى مثال . قال الإمام : ولهم فى السياسات التى يحار فيها الواصفون مقام ، ونوّة بسياسة المهلب ، ولآل المهلب تاريخ ضخم يدل على الرجال المنظورين ، والأبطال المشهورين ، وهم من منابت عمان .

ومن هذا الطراز فى كل دولة من دول عمان ، ولله يوم يصـبح

البطل العمانى فيه مرفوع الأعلام فى أفق التاريخ ، وغير بعيد ذلك إن شاء الله . فإن الزمان قد هم أن يستدير كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، فيعرف الحق لأهله ، ويرد الباطل على ، ذويه ، وفى عمان من أهل الفضل فى المجالات الأخرى من يعد فى طليعة ركب الرجال الميامين ، ففى عمان علماء أجلاء لا يكاد يمكن أن يقاس بهم فى أدوار الحياة ، ذكرنا منهم طرفاً فى « أصدق المناهج » ونموذجاً فى العنوان ، فإذا أردنا ذكرهم هنا يضيق بنا المقام ، فإن محبوب بن الرحيل ، وولده محمد بن محبوب ، وولده بشير بن محمد بن محبوب ، وابن ابنه الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب ، ومحير بن محمد هؤلاء أهل بيت واحد فى صحار أشبه بهالة البدر فى السماء ، كل واحد منهم أفضل من الثانى ، كأنما يشير إليهم القائل حيث يقول :

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم

مثل النجوم التى يسرى بها السارى

فهم فى الفضل النمط الأوساط يرجع إليه العالى ، ويلتحق به التالى وهم فى العلم البحور التى تقذف باللآلى ، وهم بين الرجال فى ميامين الشرف الأطم العوالى ، هؤلاء نقطة من غيث ، وبلة من البحر ، وكم مثلهم فى كندة وفى خروص وفى بقايا المسلمين ، بعمان إذ أردنا ذكرهم على عادة أهل التراجم ، لم تقدر ، بل إذا أردنا سرد أسمائهم وذكر قبائلهم ومواقعهم فى عمان لم تساعدنا الأقلام ، وحسبك رجال الدولة اليعربية الذين خاضوا الأبحر فاتحين ، وصارعوا الأمم منتصرين ، ، ونظموا الجيوش محاربين ، حتى أصبح العالم يحسب لهم ألف حساب ، ولا بد أن يعود لعمان مجدها السالف وشرفها العريق ، والناس معادن ، وأهل عمان أمامهم ولله فى خلقه أسرار ، والأحاديث تؤيد ما قلنا ، وعن قريب تبلغ عمان ذروة الشرف ويشار إليها بالبنان بين الممالك . وإن غداً لناظره قريب .

أبو بكر الصديق وعمان

لمـا توفى النبى ﷺ ، وقام بالأمر الخليفة الصديق أبو بكر رحمه الله ورضى عنه ، خرج عمرو بن العاص راجعاً الى المدينة للنظر فى أحوال المسلمين ، وكيف يدور مدارهـا ومعه سبعون راكباً من خيـار أهل عمان وفضلائهم ، ولما وصلوا الى أبى بكر رضى الله عنـه وسلموا اليه الأمر ، وتبرعوا اليه من أمر البلاد عمان ووضعوها فى يده ، وتخلوا من سلطة الأمر والنهى ، فشكرهم أبو بكر رحمـه الله ، وشكرهم المسلمون ، وأثنى عليهم أبو بكر رضى الله عنـه ثناء وافراً ، وأحبهم وأدنى مجلسهم وبعد أن تعرف الى القوم والاطمئنـان بهم جهزهم أبو بكر رضى الله عنه لحرب آل حفنة ، وهم غساسنة الشام ، فقاموا بمـا وجهه الامام إليهم ، وحمله على عواتقهم وبعد رجوعهم من الشام ، ولاهم أبو بكر أمر بلادهم وألقى إليهم مـا عنده من الخطاب ، وأقرهم على أعمالهم ووضع لهم النظـام اللازم ، ولمـا ارتدت العرب وكان أبو بكر السد الذى أوقف مجارى الاتداد ، وقضى على النزعات الشيطانية بنور الإيمان ، ولم يغمد سيوف الحق عن أعناق أهل العناد ، وإذ ذاك أرسل الجباة لزكاة أهل عمان ، ووقع سوء التفاهم بين الجباة وأهل دبا من شمال عمان ، وآل الأمر الى التداعى بدعاوى الجاهلية ، فوقع فى أنفس المصدّقين أن القوم مرتدون فتأخروا ليعبئوا قواتهم للهجوم القـاضى على القوم قياماً بواجب الدين ، وفى الحقيقة أن ذلك واجبهم أن لو كان الأمر كمـا ظنوا ، إلا أن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ، ومـا كان القوم مرتدين ، ولكن سوء التفاهم مهّد لظن الارتداد من رجـال الاسلام ، فصـال عليهم الجباة صولة الأسود الضارية ، فمـا كان إلا عشـية

أوضحاها ، وإذا بالقوم فى وثاق الأسر بقهر أمير الصدقة ، فقبض عليهم والقوم متبرمون من صنع الأمير ، ثابتون على دينهم ، ولو كانوا مرتدين لحـاج ردهم الى الدائرة الاسلامية الى جيوش جرارة تنتج دقـاً وحطيماً ، فقادها الى أبى بكر رضى الله عنـه أسارى على أنهم هـم وأموالهم غنيمة للمسلمين ، ولمـا شاع خبرهم فى المدينة وجرى الكلام فيهم بين الصحابة رضى الله عنهم ، أنكر ذلك خيار الصحابة على أمير الصدقة ومن معـه ، وردوا عليهم عملهم ، هـذا وقد مرّ عليك مـا جاء فيهم عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رحمه الله تعالى .

وفى التاريخ العمانى أن أبا بكر رحمـه الله وجّه حذيفة الغلفانى أو القلعانى وهو ابن محصن ، أو ابن الحصين كمـا فى الرواية الأخرى . وكان من بارق حليفاً للأنصار ، وكان له بصر أى حكمة فى الأمر مواردها ومصادرها ، فوجّهة أبو بكر رحمه الله الى عمان أميراً أى على الصدقة ، فصدقهم ، فلمـا صار فى آل الحارث بن مالك بن فهم ، أى وهم المعروفون فى أهل عمان بالشحوح الآن إذ علقوا عليهم صفة الشح بالصدقة ، فقيل لهم الشحوح وشاع فيهم ، ولمـا صار المصـدق إليهم تنـاول بعض أصحابه امرأة من القوم ، وكان عليهـا فريضة شاة مسـنة ، فأعطتهم عتوداً او عناقاً مكان الشاة المسنة — فأبوا أن يقبلوها فأخذوا مـا أرادوا أى ممـا وجب لهم ، فلمـا كان الأمر كذلك ، وكانت امرأة لا عقل لهـا والشح بالمال أهلك من كان قبلنـا ، وإنه موجود فى الرجال فكيف به فى النساء ، فلمـا رأت مـا فعل الجباة صاحت على قومها بمـا كانوا فى الجاهلية يتداعون به ، وهو قولهم يا آل فلان ، فلمـا سمع حذيفة تلك الدعوة قال : دعوة جاهلية ، فالوقم مرتدون فعنـد ذلك أغار عليهم وقبض على رجالهم فساقهم الى المدينة الى آخر مـا جاء فيهم .

وكان سبيعة بــن عراك والمعــلا زعيمين فيهم فلحقا بالقوم حتى تلاحقوا بالمدينة ، فشكا الزعيمان الى الصحابة فعل الأمير المصــدق ، فلمــا تحقق عمر وتبين لأصل القضية لم ير المسلمون إلا رد القوم على بلادهم ، وجبر خواطرهم بالمــال ، فحملوا عنهم مصاريفهم وزودهم من بيت مال المسلمين مــا خفف الوطأة عليهم وهوّن المصيبة ، ورجع القوم الى بلادهم ، وبذلك طنطن المرجفون فى أهل عمان ، وزعموا أنهم مرتدون زعماً لا أصل له ، وشادى بذلك ابن الأثير فى كامله أخــذاً للقضايا من غير مصدرها ، وعدم توثق فى النقل فقرروا ارتداد أهــل عمان ، وكيف يرتد أهل عمان ، وقد أسلموا طوعاً وأذعنوا للحق راغبين ، وقد سمعت مــا قاله أبو بكر رضى الله عنــه فيهم حيث قال : « معاشر أهل عمان إنكم أسلمتم طوعاً ولم يطأ رسول الله ﷺ ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشمتموه مــا جشمه غيركم ، أى لم تكلفوه المشــاق كمــا كلفه غيركم من العرب ، فان أهل مكة أهله وأقاربه وعشيرته آذوه وطاردوه حتى آواه الله اليه برجال من الأنصار الأمجــاد الذين وفقهم الله ، فواسوه بالحــال والمال ، ووازروه • فى الحل والترحال ، قال أبو بكر رضى الله عنــه : « ولم ترموا بفرقة ولا قطيعة رحم ولا تشتت شمل » ، ثم دعا لهم أبو بكر رضى الله عنــه دعاء شاملاً ، وشكرهم المسلمون شكراً عظيماً خصوصاً من أبى بكر المذكور ، ثم حكى عنهم الحال الذى سره منهم قائلاً : « ثم بعث اليكم عمرو بن العــاص بلا جيش ولا سلاح ، فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم وكثرة عددكم ، وأطعتموه إذ أمركم ، فأى فضل أبر من فضلكم وأى فعل أشرف من فعلكم ، كفاكم قول رسول الله ﷺ شرفاً الى يوم المعــاد » • قلت : يشير أبو بكر رحمه الله الى قوله ﷺ للصحابى الذى أرسله الرسول عليه السلام ، الى قوم

فسبون وضربوه ، فقال ﷺ ، « لو أهل عمان أتيت ما سبوك وضربوك » ، أو كمـا قـال ﷺ .

ومن دعاء أبى بكر رحمه الله لأهل عمان قوله : فيثبت الله ألسنتكم ويهدى قلوبكم فى حديث يذكره المؤرخون ، فهـذه هى عمان تحت راية أبى بكر رحمه الله ، وتلك تنويهاته رضى الله عنـه فيهم ، فأين دعوى الارتداد ، فأهل عمان من ذلك العهد الى الآن لم يزالوا ثابتين عـلى إسلامهم وعاضين على سيرة أهل الحق فيهم بالنواجذ ، وان كانوا قد غشتهم الآن المذاهب الأخرى الطارئة على عمان ، فلن يتزعزع أهل الحق عن أصولهم ، ولن ينقلبوا على أعقابهم ، وإن تكدر صـفو دهرهم ، فان الذهب الابريز وإن أخنى عليه الدهر وطال عهـده بالتراب ، فهـو هو وأهل عمان كذلك ، (فأما الزبد فيذهب جفاء وأمـا ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) وأهل عمان هم الذين يمكثون فى الأرض لمنافع الناس إن شـاء الله .

ولقد قال الامام سلطان بن سيف اليعربى رحمـه الله : لئن أعاشنى الله ، أى أطال فى حياتى لأتركن المسافر يذهب من عمان الى مكة بغير زاد ، هـذا ومازال أهل عمان يتقدمون الأمم بأخلاقهم الحميدة ومكارمهم الجميلة ، وعفافهم فى الدين بالنستة الى غيرهم ، ولا زالت غيرتهم الدينية باقية ، وهانحن فى هـذا الزمان العصيب ، يقول لنـا الوافدون من سائر أنحاء العالم : إن بلادكم هـذه بالنسبة الى الأمم الأخرى عبارة عن مسجد علقد قال لنـا بهـذا كثيرون ممن سافروا ورأوا مـا عليه باقى الأمم ، فالحمد لله .

وإذا رجعنا الى أبى بكر رحمه الله والعهد بالكفر جديد ، فذاك حال أهل عمان معه ، وتلك كلماته فيهم ، وهـذا حال أبى بكر رحمـه

الله معهم والله يؤتى فضله من يشــاء والله ذو الفضل العظيم • فأهل عمان لا ينال أحد من باقى الأمم منالهم ، فهم أكرم من الريح المرسلة على قلة مــا فى أيديهم ، إذ يســير الراكب فى نواحى عمان لا يحتاج الى زاد إلا إذا شاء بنفسه وإنمــا أهل عمان يتزاحمون على الضــيف تزاحم العطاش الى الورد ، كان الضيف كبيراً أو صغيراً ، وسواء كان معروفاً أو منكوراً ، فهل يوجد هــذا فى سائر الأمم العالمية الآن •

وتوفى ابو بكر رحمه الله وهو راض عن أهل عمان ، وهم راضون عنه ، وكانت وفاته رحمــه الله ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمــادى الآخرة سنة ١٣ ثلاث عشرة للهجرة ، وله رضى الله عنه ثلاث وستون سنة ، وهى سن رسول الله ﷺ ، فكانت المصيبة الثانية بالمسلمين ، بعد رسول الله ﷺ بأبى بكر خير الأمة كلها بعد نبيها •

عمر بن الخطــاب رضى الله عنــه وعمان

لقد تقدم عن الامام الأول لدولة المسلمين الصديق الأكبر أبو بكر رحمه الله ورضى عنه وأعماله فى عمان ، وأنه أقر جيفر وعبداً على ملك عمان ، جعل لهمــا أخذ الصدقات من أهلها وحملها اليه ، وجاء فى أسد الغابة لابن الأثير صاحب الكامل : أن أبا بكر استعمل عكرمة بن أبى جهل القرشى على عمان ، ثم عزله وسيره الى اليمن ، واستعمل على عمان حذيفة القلعانى ، ولمــا تولى الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنــه عزله عن عمان ، وولاه اليمامة وولى على عمان والبحرين عثمان بن أبى العاص الثقفى فى سنة خمس عشرة للهجرة الى آخر مــا جاء من أمره ، وحكى العوتبى فى (الأنســاب) تولية الثقفى المذكور ، وتولية أخيــه الحكم على البحرين ، ثم أمر عليه رحمــه الله أن يقطع البحر الى ابن كسرى ، أى الذى قتل أباه بفارس ، وخرج عثمان المذكور بأهل عمــان الأبطال وهم ثلاثة آلاف فارس ، وقيل به ألفــان وستمائة من الأزد ، وراسب وعبد القيس وناجية ، وكان زعماءُ الجند العمانى الغازى هم صبرة بن سليمان الحدانى فى أزد شنوءة ، ويزيد بن جعفر الجهضمى رأس آل مالك بن فهم ، وكان أبو صفرة الذى لم يرغب الأمير فى مشاورته إذ أتاه أمر عمر بن الخطاب بعد وقعة جلولا رأس بنى عمران بن عمرو بن عامر ، ومعهم جمــاعة فخرجوا غزاة لفارس الى آخر مــا كان منهم فى مسيرهم وتغلغلهم فى النواحى الفارسية حتى نفذوا الى أرض توج فى شمال العراق ، فخاضوا قتالاً عنيفــاً ، وصارعوا موجات ضخمة ، وبذلك طن لهم فى الأفق العربى صوت داو حتى تشوفت الأعين إليهم ، ومثلت العمانيين مثلاً رائعاً حيث خرجوا بالأمس وفى عهــد أبى بكر

رضى الله عنه لمقاتلة آل جفنة بالشـــام ، واليوم يخوضون أرجاء فارس كذلك فاتحين ، وبذلك رمقتهم الأعين بالإكبار ولحظتهم بالوقار ، وأجلّهم أهل البصرة إذ أفاضوا عليهـا من توج ، وقد ذكر القضية العوتبى فى الأنساب ، وأشار إليها الامام السالمى رحمـه الله تعالى فى التحفة ، وذكرناها فى العنوان ، كذلك كاشارة وتفصيل الحوادث يستدعى الفراغ الواسع ، لا سيما أن التاريخ العمانى أغمض وأعمق من كل شىء ، حيث لم تقم له مصادر عالمية كمـا حدثناك عنه فى مقدمتنا لهذا الجزء .

ومن أعمال الإمام عمر بن الخطاب رحمه الله بعمان قيامه على الأمير الذى قبض على أهل دبا متأولاً فيهم الارتداد كمـا ذكره أهـل العلم ، وإن كان ذلك فى خلافة أبى بكر رحمه الله تعالى ، وقد غضب عمر ابن الخطاب على أمير الصدقة غضباً لم ير مثله ، حيث قال له : « والله إنى لو أعلمك تسبيهم بدين دونى تقطع فيهم أى بهـذا الحكم الذى حكمت به فيهم وهو سبيهم ، وغنيمة أموالهم لقطّعتك طوائف ثم بعثت الى كل مصر منك بطائفة » وفيه المبالغة بالتهديد ، أى حيث تجعل التأويل فى محل التنزيل ، والمراد به التشهير بالعقوبة ليعلم الناس أن الحق أكبر من الولاة وفى بعثه به الى الأمصـار قطعاً تصريح ببطل ذلك الفعل ، وتشهير له بين المسلمين فى أنحـاء الأرض ، ورد على من يقول إن أهل عمان ارتدوا ، ولكن الامام رحمـه الله أغضى عن عقـاب أميره هذا حيث رأى الحال يحتمل أشياء فكان تهديده كافياً لرد جماحه الذى جمح به عليهم قبل التحقيق ، ولم تقم للأمير حجة تبرّر فعله ، بل اعتمد على شبهة ظنهـا حقاً فأخطأ فيمـا فعل ، والدين لا يثبت بالاحتمـال ، ومن اتخذ الظن ديناً كمـا يفعل بعض فرق المسلمين فقد ركب محجوراً وتسنم

ضلالا ، وهــذه أفعال الصحابة رضوان الله عليهم فيمن فعل ذلك ، وهم القدوة الصالحة والحجة الراجحة ، واليه يشير قول الامام رحمــه الله فى جوهره :

تأول السـابى لهم يوم دبــا
وأنكر الفــاروق ذاك المذهبــا

أى أنكر عليه تأويله ارتدادهم حين تداعوا بدعاوى الجاهلية ، فانه لا يكفى للحكم عليهم بالارتداد بذلك ، فانه يحتمل أنهم جروا على المتعارف معهم سابقاً بقطع النظر عن معنى الارتداد ، وكيف يرتد أهل عمان وقد أسلموا طوعاً ولم يطأهم رسول الله ﷺ بخف ولا حافر مع مدحه لهم بمــا علم من أحاديثه الواردة •

قال الشيخ خلف بن زياد البحرانى ، وهو أحد علماء المسـلمين القدماء رحمــه الله : ثم نقض عمر أمر أهل دبا ، أى أبطل الحكم الذى حكم به المصــدق فيهم بعد مــا هدده ذلك التهديد الكبير ، ورد القوم أى المسبيين من أهل دبا الى منازلهم ، أى بعمان ، ورد عليهم أموالهم التى ظنهــا الجابى غنيمة حيث لم يثبت منهم الارتداد قال : وأجــاز المسلمين بمــا أصيب منهم ، أى عوضهم بدل مــا ضــاع عليهم بثلاثمائة ثلاثمائة ، أى لكل واحد منهم : وأخرج لهم ذلك من بيت مال المسلمين • قلت : هو دليل على أن خطأ العامل من بيت المــال حيث كان عامل المسلمين كامام وقاض ونحوهما ، أى أن بيت المال مجعول لصلاح المسلمين ، وهــذا من صلاحهم ، فكأنه رأى الخطأ بالتأويل فى بيت المــال ، وما هــو بيت المال ؟ هو الزكاة والغنــائم لا غير ، وقد حكم الله فيهمــا بحكمه

الصحيح الصريح ، وقد أخذ العلماء من ذلك ما كان صلاحاً للمسلمين يجوز الانفاق عليه من بيت مالهم ، فان السنة فسرت القرآن وأفعال النبى ﷺ واضحة صريحة وكذلك أحكام صحابته المتفرعة عن أحكامه ، وللإمام النظر فى مصالح المسلمين ، ولذلك جعل إماماً لهم ، أى لينظر فى مصالحهم بدلائل القرآن ، فكان نظر الامام ابن الخطاب رحمه الله عين الحق ولسان الصدق ، ولم لا وهو الألمعى البصير رضى الله عنه •

ولما علم عمر من أهل عمان الصدق ، وتقرر لديه ثباتهم أيام أبى بكر ، ورأى أحوالهم فى عهده ، وأنهم لم ينزعوا يداً من طاعة ، ولم يراوغوا المسلمين مراوغة الجماعة ، لم يبدل فى عمان أمراً عن أمر ، ولم يحرك ساكناً حيث اطمئن بأقوال النبى ﷺ إذ سمعها بأذنه وهو مطمئن بصحتها ، ولم يكن له فى عمان عمل أكثر من هذا الذى ذكرناه ، وبقيت عمان فى عهده كباقى المملكة الاسلامية هادئة مطمئنة ، وأهل عمان من أهدى الأمم للحق وأتبعهم وأعرفهم به برغم بعد دارهم كما قيل :

أرتنى هدى زيد وفى العلم قلة
وضلة عمرر والعلوم بحور

على هذا عاشت عمان أيام عمر بن الخطاب رحمه الله حتى توفى رضى الله عنه قتيلاً لأربع عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة ٢٣ للهجرة ، طعنه أبو لؤلؤة وكان نصرانيا وقيل مجوسياً ، ودفن مع صاحبيه النبى ﷺ ، ووزيره الرضى أبى بكر رحمه الله ، هذه هى عمان أيام الخليفتين الرضيين المرضيين أبى بكر وعمر ابن الخطاب •

والتاريخ أكبر شاهد وأصدق حجة ، إذ يجىء معبراً عن الحوادث وحافظاً لكل حادث من محدثه ، وتلك إحدى فوائده المنشودة •

عثمان بن عفان وعثمان فى عهـده

لمـا توفى عمر بن الخطاب رحمه الله ، وكان جعل الخلافة شورى بين المسلمين ، حيث رأى الأنظار تتنافس فيهـا ، وكل يميل اليهـا نظرا الى الرئاسة ، وكان ينبغى التباعد منهـا إلا من ابتلى بهـا فيحتسب عناءه وأجره مع الله عز وجل ، ولا يميل الى الرئاسة عاقل مهمـا كان ، فان حب الرئاسة هو الشهوة الخفية ، نعوذ بالله منها •

ولا شك أن الكبر لا يفارقها طبعاً ، وقد قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقـال حبة من خردل من كبر • ولا شك أن الكبرياء لله لا ينازعه فيهـا أحد إلا كبه الله على وجهه فى النـار ، وما سؤال يوسف الصديق الامارة إلا لأنه يعلم من نفسـه الأصلحية لهـا وذلك من الاجتهاد فى الحق ، كمـا أشارت الى هـذا إحدى سيدات المغاربة الأمجاد ، لمـا جاءها الشيخ العلامة الجليل هود بن محكوم الهوارى يشاورها حين طلب للقضاء • فقالت له : ان كنت تعلم أن فى القوم من أصلح منك لهـذا الأمر ، فقبلت فأنت خشبة فى جهنم ، أى إذا قبلت مع العلم بمن هو أصلح ، فقد قبلت شهوة وحباً للإمارة ، وفى ذلك الهلاك نعوذ بالله منـه • قالت : وإذا كنت تعلم أنه ليس ليس فى الجمـاعة من هو أفضل منك لهـذا الأمر فأبيت ، فأنت خشبة فى جهنم ، أى حيث تعين عليك الأمر وصرت مكلفاً به وجوباً ، وإذا أبيت من فعل الواجب عليك استحقيت العقاب من الله ، ولمـا ابتلى عمر بن الخطاب بالإمامة وعلم من أحوال الناس مـا علم ، وخوطب فى الوصاية لمـا لمن يراه أصلح لهـا لئلا تنشق عصـا المسلمين تبعـاً لفعل لأبى بكر رضى الله عنـه ،

لم يوافق عمر أن يوصى بالإمارة لأحد من المسلمين لمـا رأى من الأحوال . فجعلها شورى بين ستة رجال من خيـار المسلمين لينظروا الأصلح ويكونوا حجة تقطع الشقاق ، وتدفع الافتراق ، وهم على بن أبى طالب وعثمان ابن عفان ، وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكان طلحة غائباً . فقـال : يا معشر المهاجرين الأولين ، إنى نظرت فى أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا نفاقاً ، فان يكن بعدى شقاق ونفـاق فهو فيكم ، تشاوروا ثلاثة أيام ، فان جاءكم طلحة الى ذلك الأجل ، إلا فأعزم عليكم بالله ألا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم فان أشرتم بهـا الى طلحة فهو لهـا أهـل ، وليصل بكم صهيب هـذه الثلاثة الأيام التى تتشاورون فيهـا ، فانه رجل من الموالى لا ينازعكم أمركم ، وأحضروا معكم من شيوخ الأنصار ، وليس لهم من أمركم شىء ، وأحضروا معكم الحسن بن على ، وعبد الله ابن عباس فان لهمـا قرابة ، وأرجوا لكم البركة فى حضورهمـا ، وليس لهمـا من أمركم شىء ، ويحضر ابنى عبد الله مستشارا وليس لـه من الأمـر شىء .

قالوا : يا أمير المؤمنين إن فيه للخلافة موضـعا فاستخلفه فانا راضون به . فقال : بحسب آل الخطاب تحمل رجل منهم ليس له من الأمر شىء ، ثم قال : يا عبد الله ، إياك ثم إياك لا تتلبس بهـا ، ثم قال : إن استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقـه ، وإن استقام أربعة واختلف اثنـان فاضربوا أعناقهما ، وان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابنى عبد الله ، فلأى الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم ، فإن أبى الثلاثة الآخرون ذلك فاضربوا أعناقهم ، فقالوا : قل فينـا يا أمير المؤمنين ، أى مـا ترى من الأحوال مقالة نسـتدل

فيهـا برأيك ونقتدى به ، فقـال : والله مـا يمنعنى أن أستخلفك يا سعد إلا شـدتك وغلظتك ، مع أنك رجل حرب ، ومـا يمنعنى منك يا عبد الرحمن إلا أنك فرعون هـذه الأمة ، ومـا يمنعنى إلا منك يا زبير إلا أنك مؤمن الرضـا كافر الغضب ، ومـا يمنعنى دن طلحة إلا نخوته وكبره ، ولو وليتهـا لوضع خاتمه فى أصبع امرأته ، ومـا يمنعنى منك يا عثمان إلا عصبيتك ، وحبك قومك وأهلك ، ومـا يمنعنى منك يا على إلا حرصك عليهـا ، وإنك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم •

هـذه آراء عمر بن الخطاب رضى الله عنـه فى الخلافة ، وتلك فراسته فى قومه وهو أعرف بهم ، وإن لهـذه الأحوال من عمر بن الخطاب قيمة لا يقاومها شىء عند أهل العقول ، ولو شرحت لكانت إحدى آياته العمرية التى لا يدركها إلا الكمل من الرجال ، ولا يهتدى إليها إلا عباقرة الأبطال ، وإنهـا لتحتوى على السياسة التى لاتعادلها سياسة مهمـا كانت ، فقد لوح رحمه الله ، وصرح كمـا هداه الله ، والله فى خيرته من خلقه أسرار لا يدركها إلا أمثالهم • ثم ختم كلمته رحمـه الله بقوله : أوصى الخليفة منكم بتقوى الله العظيم ، وأحذره مثل مضجعى هـذا وأخوفه يوماً تبيض فيه وجوه ، وتسود وجوه ، يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية ، ثم غشى عليـه حتى ظنوا أنه قد قضى ، فجلعوا ينادونه ولا يفيق من إغمائه ، فقال قائل : إن كان شىء ينبهـه فالصلاة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين الصـلاة • ففتح عينيه فقال الصـلاة هأنذا ولاحظ فى الاسلام لمن ترك الصـلاة ، فصلى وجرحه يثعب دآما ، ثم التفت إليهم • وقال : قد قومت لكم الطريق فلا تعوجوه ، ثم التفت الى على

ابن أبى طالب فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وشرفك وقرابتك من رسـول الله ﷺ ، ومـا آتاك الله من العلم والفقـه فى الدين ، فيستخلفونه ، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله فيه يا على ، ولا تحمل أحداً من بنى هاشم على رقاب الناس ، ثم التفت الى عثمان فقال : يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ وسابقتك وسنك وشرفك ، فيستخلفونك ، فإن وليت هـذا الأمر فلا تحمل أحداً من بنى أمية على رقاب الناس ثم دعا صهيباً فقال : يا صهيب صل بالناس ثلاثة أيام ، ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم ، أخرجوا عنى اللهم ألفهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على أعقابهم ، وول أمر أمة محمد ﷺ خيرهم ، فخرجوا من عنده ، وتوفى رحمه الله من يومه ذلك ، وصـلى عليـه صهيب .

فانظروا معشر أهل الحق فى أمر عمر رضى الله عنـه وهو فى حاله ذلك يصرف أمر الأمة وهو فى تلك الحـال ، ولم يشغله ما هو فيه ، وانظروا فى فراسته فى رجاله وفى تأنيبهم بالأحوال التى هم عليها ، إذ يقول فى كل واحد منهم ما ينبغى أن يقـال بغير محاباه ولا مداراة برغم مـا هو فيه ، فيقول للأنصـار : ليس لهم من أمركم شىء ، ويقول لابن عباس وللحسن ولابنه عبد الله : ليس لهم من شىء ، مع تبيينـه للخصـال التى هم عليها ، وجعل الأجل ثلاثة أيام وبعدهـا أمر بضرب أعناقهم ، إنهـا من القضايا التى يتزودهـا عمر بن الخطاب من أمور المسلمين الهـامة بالنسبة الى حالتـه ، وهو صريع على فراشه ، ثم بين فى الستة المشـار إليهم الأحوال التى تؤهلهم لحمل الامامة فى الاسلام ، مع كشفه عن خلال فيهم لهـا مـا بعدها ، ثم حكم فى القضية

عدة أحكام يفهمها المعنيون بأمور الأمة ، ولما سألوه أن يقول فيهم ما ينبغي ألا يبقى منه شيء في واحد منهم ، قال : في سعد الشدة والغلظة ، وهما لا يتناسبان في الأمير في أغلب الأحوال ، لأن الأمير كالطبيب لا ينفر الطبيب من أهل العاهات والألم يفدهم طبه ، وقال لعبد الرحمن بن عوف : إنك فرعون هذه الأمة ، وهذه طعنة نافذة وقنبلة عظيمة ، لأن [ابن عوف] كان أغنى الصحابة بالمال ، وقال للزبير مؤمن الرضا كافر الغضب ، والمعنى إنك إذا رضيت فعلت أفعال المؤمنين وإذا غضبت فعلت أفعال الكافرين ، أى أن الغضب يهجم بك على الأمور بغير مبالاة ، والمراد تهديده وزجره عن الغضب الذى يحمله على مالا تحمد عقباه ، فإن من كان كذلك لا يمكن أن يكون ولى أمر عامة • وقال : فى طلحة الكبر والنخوة ، وهما أيضاً من الخصال المذمومة فى الدين ولا يرضاها الايمان ، والمراد تركها لا سيما أن أمره فى يد امرأته ، بمعنى لا يخالفها وهذا الحال من أقبح الأحوال فى الرجال ، ومتى يفلح قوم ولو أمرهم امرأة ، والمرأة ضعيفة العقل واهية الإرادة ، وذكر فى عثمان عصبيته لقومه وحبه لهم ، والحب يعمى ويصم ولا يتناسب مع سياسة المجتمع ، وقال فى على بن أبى طالب الحرص على الإمارة فيخشى عليه أن توكل اليه ، فإن رسول الله ﷺ قال : لا نولى أمرنا من سألنا إياه • وقال لبعض الصحابة رضوان الله عليهم : نفس تحييها خير لك من إمارة لا تحصيها • فى أحاديث عديدة تنفر من ذلك تناقلها علماء المسلمين والمعقول هو هذا ، فلا يطلبها عاقل قطعاً ، ومن ابتلى بها أعين عليها ، ولقد أوضح الفاروق رحمه الله كل مخفى من أحوال هؤلاء الرجال ، ليقلع بذلك تلك الجراثيم الجاثمة على صدور هؤلاء الذين هم صفوة الأمة فى وقتهم ، وعن الاسلام فرحم الله ذلك السيد الفاروق الذى لم

يلهه عن تدبير أمر أمته ومناقشتها ، وهو فى مثل ذلك الحـال شىء ، فلله در الرجال الذين هم حجة الله وإن عمر بن الخطاب فى مقدمتهم بإجماع أهل الحق الذين يعتد المسلمون بإجماعهم .

وبعد موته رحمه الله اجتمع المسلمون فى النظر لأمر الشورى ، واجمع أهل الشورى فى بيت أحدهم ، ولحضروا عبد الله بن عباس ، والحسن ابن على ، وعبد الله بن عمر ، فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا فتيلا ، فلمـا كان فى اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنـه : أتدرون أى يوم ؟ هـذا يوم عزم عليكم صاحبكم لا تتفرقوا فيه حتى تستخلفوا أحدكم ، قالوا : أجل . قال : فإنى عارض عليكم أمراً ، قالوا ومـا تعرض ؟ قال أن تولونى أمركم وأهب لكم نصيبى منهـا ، أى لا يكون لى فيهـا نصيب ، بل هى إليكم معشر الخمسة الباقين ، وكان رحمه الله نظر تشوق القوم إليهـا ، وتطاول الأعنـاق لنيلهـا ، وقد قال له عمر : إنك فرعون هـذه الأمة ، قال عبد الرحمن : وأختـار لكم من أنفسكم أى تحكمونى فى الاختيار ، وتفرضونى فيه ، قالوا قد أعطيناك الذى سألت : قال : فلمـا سلم القوم أى الأمر الى عبد الرحمن وحكموه فى القضية وتخلى هو منهـا . قال لهم : اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم ، فجعل الزبير أمره الى على بن أبى طالب ، وجعل طلحة أمره الى عثمان ، وجعل سعد أمره الى عبد الرحمن بن عوف .

قال المسور بن محرمة : فقال لهم عبد الرحمن كونوا مكانكم حتى آتيكم ، وخرج يتلقى الناس فى أنقـاب المدينة ، متلثمـا لا يعرفه أحد ، فمـا ترك أحدا من المهاجرين والأنصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم إلا سألهم واستشارهم . قـال : أمـا أهل الرأى فأتاهم مستشيراً ،

وتلقى غيرهم سائلا ، يقول من ترى الخليفة بعد عمر كالمستخبر ليتلقى ذلك من أفواه الناس ، فان الله يلقيــه على ألسنة عباده برغم الأهواء الصادرة عنه ، فلم يلق أحدا يستشيره ويسأله إلا ويقول : عثمان • فلمــا رأى اتفــاق الناس واجتماعهم على عثمان ، قال المسور رضى الله عنه جاءنى عشــاء فوجدنى نائمــا فخرجت إليــه ، فقال ، ألا أراك نائمــا فوالله مــا اكتحلت عينى بنوم منــذ هــذه الثلاثة ، أى الأيام ادع لى فلانا وفلانا نفرا من المهاجرين ، فدعوتهم له فناجاهم فى المسجد طويلا ، ثم قاموا من عنده فخرجوا ، ثم دعا عليا فناجاه طويلا ثم قام من عنــده على طمع أى فى الأمر ، أى كأنه يراها له ، ثم قال ادع لى عثمان فدعوته فناجاه طويلا حتى فرق بينهما أن آنت صــلاة الصبح ، فلمــا صــلوا جمعهم فأخذ على كل واحد منهم الميثــاق والعهد ، لأن بايعتك لتقيمن لنــا كتاب الله وسنة نبيك وسنة صاحبيك من قبلك ، فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك ، وأيضــا إذا بايعت غيرك لترضين ولتسلمن ويكونن سيفك معى على من أبى ، فأعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم ، وذلك لأنه لابد أن يبايع بهــا أحدهم ، وعلى الباقين السمع والطــاعة ، والعون على من خالف الجماعة ، لأنهــا لا تكون للكل قطعــا فنراه قد ربطم بالعهود والمواثيق ألا يختلفوا عليه ، وهو قد تسمع الى النــاس خاصتهم وعامتهم ، وعلم منهم أنهم يتوقعون ذلك لعثمان ، لأنهم يلاحظون أهليته الظاهرة ، وكفاءته الشاهرة والغيب لله عز وجل •

قال : فمــا تم ذلك أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لأنه بايعتك لتقيمن لنــا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسنة صاحبيك ، وشرط عمر لا تجعل أحدا من بنى أمية على رقاب الناس ؟ فقال عثمان : نعم • ثم أخذ بيد على بن أبى طالب وقال له : أبايعك على شرط عمر ألا

تجعل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس ، فقال على عند ذلك مالك ولهـذا ، إذا قطعتها فى عنقى ، فان على الاجتهاد لأمة محمد ﷺ حيث علمت القوة والأمانة ، استعنت بهـا كان فى بنى هاشم أو غيرهم ، فقال عبد الرحمن : لا والله حتى تعطينى هـذا الشرط قال على : والله لا أعطيكه أبدا فتركه ، فقاموا من عنـده ، فخرج عبد الرحمن الى المسجد فجمع النـاس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنى نظرت فى أمر اناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعل يا على سبيلا الى نفسك ، فانه السيف لا غير ، أى عملا بوصية الامام الراحل عمر بن الخطاب . وبهـذا تجلت شجاعة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنـه ، فان الموقف حرج والأمر جلل ، وفى مثلها تتجلى عباقرة الرجال . قال : ثم أخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعا ، وهنا انتهت قضية البيعة لعثمان ، وتركنا مـا وقع من القيل والقـال ، وربمـا يقول قائل : إنك معنى بتاريخ عثمان فمـا بالك خرجت الى حديث عمر بن الخطاب فى الوصية ، منه بالخلافة الى الشورى ؟ قلت : لأن عمل عمر هـذا هو فى نفسـه دستور عظيم ، وقانون جسـيم ، فتركز عليه الامامة فى كل أدورا وجودهـا وأطوار حياتها ، واعتمادا على أمير المؤمنين الفاروق ، وأخذ بتلك القاعدة التى وضعها فهى من أولهـا الى آخرها مبادىء صحيحة ، وقواعـد رجيحة ، ودعائم مكينة ، على مثلها يقـوم البناء للهيئـة الاجتماعية ، وعلى مثلها تثبت الأوضاع السياسية .

ولا شـك أن عمر هو شمس العدالة التى لا يخفى ضوؤها على أحد من أهل الحق ، ولو كان البنـاء مشى على أعمـال لكانت الأمة فى أرفع المنـاصب طيلة الدهر ، ولـكن لمـا كان الأمر رهن القضـاء

والقدر ، كان الحال على مـا سمعنا ومـا نسمع ونرى ، وعلى كل حـال إن القانون الذى وضعه عمر أعجز من جاء بعده ، وأين فى الناس كأمثال عمر رحمـه الله ورضى عنـه .

فهذا الكرسى الذى قعدت عليه إمامة عثمان ، ولكن ما كل مجتهد مصيب فقد اجتهد عمر للمسلمين وهو فى ذلك الحال الحرج ، واجتهد عبد الرحمن بن عوف كذلك ، وإن لم يوفق فلا يلام بعد الاجتهاد ، وهنا استقر الأمر لعثمـان وصحت خلافتـه ، وثبتت إمامته وقـام بأعماله ، فمـا كان منـه لعثمان وماذا فعل فيها ، لم تكن عثمان أيـام الخليفة الثالث إلا هى هى أيام الخليفة الأول والثانى ، وحيث إن أمر عثمان مازال فى أيدى ولاتها الميامين أنجال الجلندى ملك عثمان ، ولم يكن من أهلها شقاق ولا نفاق ولا افتراق ، وكان أحكام الشريعة الغراء ماشية فى نشاطها وجارية فى مجـاريها لم يدر فى خلد عثمان هم عـن عثمان ، ولا طن على أذنه عنها صوت يستجذب الأسماع إليه ، فيشتغل بها كما اشتغل بغيرها ، فقد قام عثمان على من قاومه من أهل الأقطار ، وفتح المسلمون على عهده فتوحاً ، وعمل أعمالاً لا ينكرها أحد حتى إذا تم ستة أعوام وهو راق فى سماء المجد ، والمسلمون حوله يجيبون دعوته ويؤيدون حجته ، حتى إذا أراد اللـه اختيار قوم ابتلاهم فى أفضـل أحوالهم ، وأكمل خصالهم فقامت الأحداث فى الدين ، وهى تسترعى انتباه المسلمين ، وتستدعى أهل الحل والعقد من المؤمنين حتى اتقدت جحيم الشقاق ، وقام اللجاج للافتراق واختلفت الآراء ، وساءت الظنون ، وإذا بالمسلمين من كل حدب ينسلون ، فكروا على عثمان بالتخلى عن الأمر اختياراً ، وترك الخلافة إلى أهلها لينظروا الأعدل والأصلح ، كما أوجب

الله عز وجل ، فكان القيل والقال داعياً إلى الخذلان والوبال ، حتى آل الأمر على قتل عثمان ، وساءت الحال إلى حد بعيد حتى إنه لم يشيعه فى دفنه أحد من المسلمين الذين هم الحجة والمنظور إليهم بين الأنصار والمهاجرين •

وهم إذ ذاك متوافرون ، وذهب عثمان إلى الدار الآخرة ولم يشك عثمان ولم تشكه هى أيضاً ، والحمد لله ، وكان قتله على رأس ثمانين سنة من عمره ، وقيل على رأس ثمان وثمانين ، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوماً ، وقيل كانت خلافته اثنتى عشرة سنة ، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين عاماً ، وقيل ابن ثلاث وثمانين ، وقيل ابن تسعين عاماً ، وقيل غير ذلك • وكان قتله على ملإ من المسلمين ، وحوصر قيل أربعين يوماً وقيل عشرين يومــاً ، وقيل تسعاً وأربعــين يوماً ، وقيل عشرين يوماً ، وقيل تسعاً وأربعين يوما ، وقيل ثمانين يوما ، وكان قتله يوم الأربعاء بعد العصر ، ودفن يوم السبت قبل الظهر ، وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت مــن ذى الحجة ســنة ٣٥ خمس وثلاثين ، وقيل قتل فى وسط أيام التشريق ، وأقام ثلاثة أيام لم يدفن ولم يصل عليه ، وقيل صلى عليه جبير بن مطعم ، ودفن ليلاً كما قدمنا لم يشيع جنازته الأعيان ، ولم ير من عثمان سوءاً ، ولم تر منه كما قلناه فيما سبق لنا من التحرير •

على بن أبى طالب وعمان

لما توفى عثمان بن عفان ، ماج بالمسلمين تيار السياسة وهاج فى الإسلام الرأى العام الداعى إلى وجوب نصب الإمام ، وكانت الشورى التى رآها عمر قد رشحت رجالاً للإمامة ، ومنهم أبو السبطين ، ووالد الحسنيين ، الذى قال فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ما يمنعنى أن أوليك يا على إلا حرصك عليها ، وقال له عبد الرحمن بن عوف أيضاً ما قال ، وكان على بن أبى طالب يرى أنه الأحق بها من أول يوم ، فلذلك تلكأ فى بيعة أبى بكر رضى الله عنه ، ولـم ير المسلمون له ذلك خصيصاً وقد علم أمر الخلافة بين المهاجرين والأنصار ، ولم يقل أحـد منهم إن علياً أخص بها ، ولذلك جعلها عمر شورى ولم يقل إن علياً أحق بالأمر من غيره ، وكان أحق لما ترك المسلمون الأحق وهم أمناء الله فى أرضه ، وخلفاؤه فى بريته ، بل كان على بـن أبى طالب أحد الرجـال المرشحين لها برغم الرغبات ، وعلى كل حال فإن الرجال محاط الأعمال ، وكل يصلح لشىء خاص ، وهذا الأمر لا يزال فى أحوال البشر ، أمـا الكمال الحقيقى لله وحده عز وجل .

فلما تولى على بن أبى طالب أمر المسلمين ، كانت عمان من جملة ممالك المسلمين ، الخاضعة للحق والدين ، التابعة لأمير المؤمنين .

وكان والى عمان إذ ذاك عباد بن الجلندى من طرف أمير المؤمنين ، قائم بأمور عمان ، خاضع للخليفة ، سامع لأوامره عامل للخلافة عملا لا هوادة فيه ، وكان على بن أبى طالب سرعان ما انصدع بناء إمارته بما جاء به الداهية معاوية بن أبى سفيان ، إذ كان يحاول سلطان المسلمين ، وله حب فى الإمارة لازال يتأملها بكل ما أوتى من إمكان ، فلما رآها لا تقرب إليه ، وقد ترشح لها عمل على قهرها ، وأخذها من أين وجدها ،

غير مبال بما يلاقى فيها ، فلما أفضت إلى على بن أبى طـالب ، رأى إياسه منها يتقدم ، وأمله لها يتأخر ، فكان من قدر الله أن رأى أن علياً لا يقره على عمل من أعمال المسلمين مهما كان ، لأن حاله ينافى استعماله ، ولا نولى عملنا من إراده ، اختلق لنفسه الطلب بدم عثمان ، ونادى أنه قـُتل مظلوماً ، وصاح فى أهل الشام هذا الرأى كان على أمير المؤمنين ، وهذا ما فـُعِل به ولم يناصره أحد ، وفعلوا فيه وجاروا عليه ، وكان أهل الشام أتباعاً لمعاوية فيما حل وحرم ، وقد استحوذ على أفكارهم ، وتمكن من استمالتهم إليه ، فقام على الإمام محتالاً على الخلافة ، موهماً للسواد أشياء جعلها ذريعة مقصده ، فقادهم قود الصبى للجمال مقطورة خلفه :

فجاء يقـرع ظنبـوب الشـقاق لـه
روقـان فى الغى من بغى ومن بطـر

ينـوح فى الشـام ثكلى ناشراً لهم
قميص عثمان نوح الورق بالسـحر

فشاغل علياً واشتغل به ، واضطرب الحبل الذى فى يده ، ولـم يملك استقراره ، فكانت الفتن تنبعث عليه من منامها ، والشرور تلتهب لديه نيرانها ، وذلك هو الذى قيده عن الاتصال بالممالك الإسلامية ، وشغله عن أمصار الدين ، فلم يكن لعلى بعثمان عمل لا حل ولا عقد ، حتى قضى الله عليه من يد عبد الرحمن بن ملجم المرادى المصرى ، وكانت عثمان فى عافية من قتل هؤلاء الخلفـاء الثلاثـة الذين تتابعوا قتلاً من أيدى إخوانهم المسلمين . نعم إن قاتل عمر بن الخطاب على الصحيح لم يكن مسلماً ، وبموت على بن أبى طالب انحل نظام الخلافة الصحيحة ، وصارت ملكاً عضوضاً ، وكان قتل على بن أبى طالب ليلة السابع عشر من رمضان فى ليلة الجمعة سنة أربعين للهجرة ، فمات بعد يومين .

قال كمال الدين محمد بن موسى الدميرى : مات سنة ٧٥ ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، وقيل ثلاث وستين ، وقيل سنة ٦٨ ثمان وستين ، وعمره خمس وستون سنة • قاله ابن جرير الطبرى ، وقيل ثلاث وستون سنة ، وهى سن رسول الله ﷺ ، وسن أبى بكر وعمر ، وكانت مدة إمامته أربع سنين وتسعة أشهر ويوماً واحداً قضاها كلها فى أزمات مزقت الدين ، وفرقت جمع المسلمين ، ولم يتمكن على بن أبى طالب من إقامة أركان خلافته ، فإن صوته لم يتجاوز الحدود ، وهو كان يأمل أن تكون الأيام طوع يده والأنام تحت قهرته •

ولَمَّا قُتِلَ على بن أبى طالب كما ذكرنا ، كانت المملكة الإسلامية تهتز جدرانها لتتداعى حيطانها ، والأمة فى أقطار الأرض فى حيرة وروعة ودهش ، لا يعرفون مصيرهم ، فمنذ قتل عمر بن الخطاب لم تزل الدولة الإسلامية تتوقع قتل الخلفاء ، وإن كان ذلك غير مستغرب ، لكنه مثير للقلق والروعة ، داع إلى مضاعفة الهموم فى هذه المرحلة الدنيوية ، وقد بويع للحسن بن على بعد وفاة والده نظراً لكفاءته ، لأنه ابن الخليفة العالم الزاهد الهاشمى المجاهد ، على بن أبى طالب ، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، وهو السبط الأكبر ، وقد توافرت فيه الصفات المطلوبة فى الإمام ، ولم يذكر بمعيب إلا بمخالفته وصية أبيه فى قتل ابن ملجم حيث أوصى عليهم ألا يمثلوا به فمثلوا ، ولعل الحسن لم يكن ذلك التمثيل بأمره ولا رضى به ، وهو اللائق بمقامه ، إلا أن الحسن ألقى الإمامة فى نحر معاوية وهو يعلم أن معاوية غير أهل للإمامة الراشدة ، وأن ذلك الالقاء لا يليق بالحسن الهمام ابن على الإمام ، بل اللائق خوض بحار الدماء فى نصرة الحق وتأييده ، فإن الخلافة فى الشريعة

الإسلامية لم تكن ملعبة ولا غنيمة تهدى ، ويؤخذ عليها الأجر لا سيما وأن معاوية لم يف للحسن بما وعده ، وقد شهر أنه دس عليه السم فمات مسموماً وصفا الجو لمعاوية ٠

ومهمتنا أن الحسن لم يكن له فى عمان أى عمل ، كما أنه لم يكن له فى بقية بلاد الإسلام كذلك أى عمل ، وإنما كانت الأعمال لمعاوية ، فكان سيد المسلمين وأمير المؤمنين رضوا أم كرهوا ، فإن للسيف حكماً لا يزال يعرفه كل أحد ، وإنما المراد الملك والتسلط على الأمة ، وقد سلم الحسنُ الأمر لمعاوية لخمس بقين من ربيع الأول بعد قتل قيس بن سعد بن عبادة ٠

فكانت خلافته ستة أشهر إلا خمسة أيام ، فلم يقع منه شىء يذكر ، وأراح نفسه من الخلافة بعد ما تولاها ، وقام معاوية فى المسلمين ملكاً عض على الملك بالنواجذ ، فاستطردنا لذكره لما له ولمعاوية من العلاقة ، فإن كلامنا يتم بذلك كما سبق لنا ، ولما تولى معاوية الملك وصفا له الجو ، ولم يخش أحداً بعد على بن أبى طالب ووالده الحسن ، ورأى الأمور جاءته خاضعة طائعة ، وكان أمر عمان إذ ذاك إلى عباد بن الجلندى ، وكان معاوية لا أرب له فى التطاول ، بل كان يخشى نزع الشام من يده ، وكانت عشرون عاماً التى قضاها معاوية بالشام ، لها أثرها الفعال ، فكان غاية ما عنده الرضا بالحال الذى حصل له ، وأقام على تأييد زعامته فى الشام والعراق ومصر ، وهذه هى أمهات المملكة الإسلامية ، فكانت مصر حظ عمرو ابن العاص ٠

وبقيت العراق والشام ، أما الشام فهى خيئه ، وأما العراق فهى ملكه ، ولم يكن له نظر إلى ما وراء هذه الممالك ، فلم يكن له فى عمان تحريك ولا إسكان ، ولا حل ولا عقد طيلة حياته ، حتى قضى الله عليه ، وعمان فى يد أهلها وعباد بن عبد أميرها ، وكانت وفاة معاوية

فى مستهل رجب ، وقيل فى منتصف رجب سنة ستين ، وكان عمره ثمانين سنة ، وقيل خمساً وثمانين سنة ، وقيل خمساً وسبعين سنة ، وقيل ثمان وثمانين سنة وقيل تسعين سنة ، عاش أميراً وخليفة أربعين سنة ، وقد عافى الله منه عثمان وأهلها ، وعافاه منهم ، وكانت له أحـوال ونوايا كبيرة ذكرها العلماء المؤرخون .

وهكذا يحلو الزمان ويمر وما هو إلا ظل زائل والمصير إلى الله الولى الحقيقى .

خلافة عبد الملك بن مروان وعمان

لا يخفى على المطلع أن عمان منذ عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم تصل إليها أيادى الخلفاء الذين جاءوا بعده ، فمضى عثمان وعلى بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وابنه يزيد بن معاوية ، وابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم ، وكان الحكم طريد رسول الله ﷺ ، فهؤلاء الملوك الستة لم يكن لهم بعمان عمل يذكره التاريخ ، وإنما عاشت عمان أيامهم وهى بيد أهلها يديرونها كما تقتضى الشريعة ، ويعملون فيها بواجبات الدين غير متزعزعين عن خطة الحق قيد شعرة ، وكان فى هذه الفترة أميرها عباد بن الجلندى ، حتى اذا بويع لعبد الملك بعد موت أبيه وولى الحجاج بن يوسف الثقفى على العراق فى أيام سليمان وسعيد ابنى عباد بن عبد بن الجلندى ، فحاول الحجاج بن يوسف إلحاق عمان بولاية العراق ، فلم ير أهل عمان طاعة الحجاج الظالم السفاك ، بل لا يرون ولاية عبد الملك فضلا عن الحجاج ، فإن عبد الملك كان رجلا عاقلا فطناً بصيراً بما عليه الناس وما يرغبون فيه ويرغبون عنه .

أما الحجاج فكان طاغية عاتياً سفاكاً للدماء ، لا يبالى بها فى نصرة هواه أو نصرة سلطانه ، ولما لم ير من عمان الخضوع والانقياد جر عليها الجيوش ، وظل يهاجمها مهاجمة عنيفة كاد أن يقضى على الروح العمانية تماماً ، لكن أبى الله إلا أن يعيش الذهب فى النار عيشه فى الثرى ، بل لم تزد حروبه أهل عمان إلا صقلاً وصلابة واتقاد حماس ، فإنهم كلما صارعهم بجيوشه قضوا عليها وأرغموها على الهزيمة ، قال ابن رزيق فى تاريخه : بعد ما وقعت الفتنة وافترقت الأمة ، وصار الملك والسلطان الى معاوية بن أبى سفيان ، ولم يكن لمعاوية فى عمان شىء من الشأن ، حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان ، فاستعمل عبد الملك الحجاج بن يوسف

الثقفى على العراق ، وذلك فى ذلك الزمن على الاتفاق فى عمان من أساطين سلاطينها سليمان وسعيد ابنى عباد بن عبد بن الجلندى ، وهما القيمان فى عمان ، وكان الحجاج يبعث غزواته عليهما وينتخب عليهما أميراً بعد أمير ، يعنى قواد الجيوش ، وهما يفضان جموعه ويبيدان عساكره فى مواطن كثيرة ، وكلما أخرج عليهما جيشاً هزماه واستوليا على سواده ، فأشار إليه بعض خاصته أن يخرج عليهما القاسم بن شعوة المرى فى جمع كبير ، فأخرجه عليهما وخرج بجيش عظيم وخميس جرار على سفن كثيرة ، فلما انتهى القاسم المذكور إلى ساحل عمان ، أرسى سفنه على ساحل حطاط ، وحطاط كان يشمل وادى بوشر تشريقا إلى أعمال قريات ، فسار إليه سليمان بن عباد بن الجلندى بأبطال الأزد ومن معهم من العرب فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكانت الدائرة على أصحاب الحجاج وانهزموا شر هزيمة ، وقتل القائد القاسم بن شعوة ، قتل من قومه خلق كثير ، واستولى سليمان على سوادهم ، وقيل هلكوا كلهم ولم يسلم منهم أحد ، هكذا قال ابن رزيق وكذلك لشكيب أرسلان •

قال ابن رزيق : فلما بلغ ذلك الحجاج هاله الأمر واندهش لهذا الحادث الذى كان يأمل أن يأتيه بعمان يقودها له قود الصاغر ، ثم أستدعى مجاعة أخا القاسم المقتول ، وأمره أن يندب الناس ويستصرخهم وينادى فى قبائل النزار ، بإثارة حفائظهم وإلهاب ضمائرهم ليقضى وطره بهم ، وأن تعم دعوته حتى حلفاءهم كنذير عام لهم وشيعتهم من الأنام ، ويستنصرهم على خراب عمان ، أو قل على الأقل لإخضاع عمان •

قال وأظهر الحجاج حمية وغضباً وأنفة أيضاً ، على أن عمان ترده على عقبه فتكون له فى الأحياء أحدوثة سيئة ، وكتب ذلك إلى عبد الملك ابن مروان ، وماذا يقول عبد الملك وصاحب القضية الحجاج حيث الهزيمة عليه ، وإن كان النصر فلعبد الملك ،ولا يهم الحجاج حيث يجد العرب تضرب العرب فى رضاه ورغبته ، ولو كان يخوض المعركة بنفسه خوض

الأبطال كعلى بن أبى طالب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، لأحجم عن قصده ، ولكنه ليس هناك ، وكان من سياسته أن أقعد وجود الأزد عن الخروج فى هذا الجيش ، وكانت قوة الأمير من الأمة ، وكان بالبصرة من الأزد أبطال يدرون من أين تؤكل الكتف ، وكان عدد الجيش فى هذه المرة الذى أخرجهم الحجاج مع مجاعة بن شعوب لضرب العمانيين . قال ابن رزيق : على الأصح أربعين ألفاً ، فكان الجيش فرقتين : فرقة بحرية ، وفرقة برية ، وكل فرقة عشرون ألفاً وإن جيشا كهذا لعظيم فى نظر الزعماء المعنيين بالحروب .

وقد ذكر هذا الجيش عدة مصادر من أهل الاطلاع ، ذكره شكيب فى تعليقه ، وشاعر دولة مسقط هلال بن بدر بن سيف ، والشيخ الطيوانى كما ذكره أبو إسحاق صاحب مجلة المنهاج ، والزعيم البارونى والإمام السالمى رحمه الله ، وكانت لهذا الجيش شهرة بين زعماء العرب .

قال ابن رزيق : فانتهى القوم السالكون طريق البر ، وهم كما ذكرنا عشرون ألفاً أكثرهم أهل خيل وركاب . قال : فالتقوا هم وسليمان ابن عباد ومن معه من رجال الأزد وغيرهم من أهالى عمان حول الماء الذى دون البلقعة ، ويعرف الآن عند أهل عمان بالبلقعين شرق بلدة فلج الشام من وادى بوشر ، ويحسب الظاهر أن هذا الماء كان مشهوراً هناك يسير عليه الوارد ، ولعلهم يتسابقون عليه هناك ، فإن البلدان التى حوله الآن حدثت قريبا وبالأخص بلدة فلج الشام من عمران هذا القرن خاصة . قال ابن رزيق : التقوا دون ذلك الماء المشار إليه بخمس مراحل ، وقيل بثلاث مراحل ، قال : وهو الماء الذى يقال له اليوم البلقعين ، قلت : لا أدرى من أين كان دخولهم الذى قيس بأربعة أيام أو ثلاثة أيام دون البلقعة ، قال : فاقتتلوا قتالا شديداً : وانهزم أصحاب الحجاج وكر سليمان بن عباد فى طلبهم واستئصال شأفتهم . وهو لا يعلم عن جيش

البحر شيئاً ، وقد انتصر الآن والسيوف بعد لم تنجل دماؤها ، والقلوب لم تهدأ حرارتها ، وإذا بجيش البحر ينزل اليوتانة من جلفار [أى رأس الخيمة الآن] ونقل الأخبار بألسن السفار لا بالبرق والطيار كالآن ، فلقى الجيش هناك رجلا من أهل توام [البريمى الآن] فأخبرهم عن جيشهم البرى وما صار عليه ، وأن سليمان بن عباد فى أثرهم هو وجنوده ، وأن الأقلية الآن معه ، وقد تفرق قومه عنه ظناً منهم أن الحرب قد وضعت أوزارها وانتهى أمرها ، وإلى أن تأتى مرة أخرى تحتاج إلى مـدة ، وأن الرجل الآن يلتقط فل الهزيمة ، وقد سر بالنصر الحاسم الذى ألحق هذا الجيش بجيش القاسم بن شغوة ، وعند ذلك وصل مجاعة بن شعوة بركا ، إذ كان الجيش مر على ســاحل عمان كما يفهم مـن نزوله أولا جلفار ، ثم بركا وهى كانت من بلاد عمان المهمة فى الساحل ، فخرج للقاء هذا الجيش شقيق سليمان وهو سعيد بن عباد بن عبد بن الجلندى ، فأداروا رحى الحرب بينهم طيلة النهار حتى حجزهم الليل ، وهم فى أزمة شديدة ، فكان القتال شديداً ، وبعد ما حجز الليل بينهم تأمل سعيد ابن عباد جيشه فإذا به بالنسبة إلى جيش عدوه كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ، والمعنى رآهم فى غاية من القلة فى العدد والعدة لا سيما أنهم لم يبرحوا من مكان الحرب ، وإذا هم بحرب تزحف عليهم حـول بيوتهم ، ولعل خلف هذا الجيش جيوشا أخرى ، فإلى متى نكون نحن والحال هذا ، واستشعر العجز وفضل الفرار من البلاد ، وليته لم يفعل ، فإن النصر من عند الله وهو الذى نصرهم أولا ، وهم بالنسبة إلى كثرة عدوهم قليلون ، ولو فضل الموت فى الوطن على الحياة من غيره ، لكان أولى ، فإن الموت لا بد منه ، ولكن إذا أراد الله أمراً ظهرت له أسباب من نفسه ، وإذا خارت عزيمة الأمير انهار صرح المأمور وتدهور البناء ، وتزلزل عرشه وسقط والشاهد على هذا كثير :

أقول لها إذا جشأت وجاشت ‏ ‏ ‏ ‏ مكانك تحمدى أو تستريحى

وبالجملة لما رأى سعيد بن عباد تقهقر أمره ، وتحقق العجز عن الدفاع عن الوطن ، إذ رأى كثرة القتلى فى قومه وكثرة الجرحى ، رجع القهقرى مخلفاً وراءه فى ساحة أبطاله ورجاله ، هذا قتيل وذاك جريح لف ذراريه وذرارى أخيه سليمان ، وصعد بهم الجبل الأخضر ويقول ابن رزيق : الجبل الأكبر ، وهو جبل بنى ريام ، ويقال لـه رضوى بضم الراء المهملة ، ولما انكشفت الحال بانهزام سعيد بن عباد وفراره عن رجاله قوى ذلك عدوه ونشط للقتال ، وهون أمر قومه فهانوا فى وجه العدو فأهانهم العدو إذ كر لاحقاً بسعيد وأخيه ، وإذا بهما ارتفعا فى الجبل المنيع ، وإذا بالعرش العمانى لا دافع عنه ، ولا شك أن الأمة تخضع للغالب وتنقاد له راغمة ، ومع ذلك فإن القوم حصروا الأميرين سعيداً وسليمان فى جبلهما ، فكان جيشهما تحت يد الفاتح ، وقد جعلوا كتيبة الحصار فى وادى مستل ، وتوجه باقى الجيش إلى الداخلية فدخل نزوى واحتلها ، وبهلى وأزكى ولم يجد مدافعا ، فكان له الحول والطول ، وبقى الزعيمان يحاولان الهرب من عمان حيث تغلغل الجيش الغازى فيها ، وقد وتر مرات فلا بد أن يتشفى من أهل عمان وهو غالب عليهم ، ووصل إلى مسامع الزعيمين أن مجاعة أرسى سفنه دون مسقط ، ولعل أكثرها فى مسقط إذ هى المرسى الوحيد ، وكان عدد السفن ثلاثمائة سفينة بين صغيرة وكبيرة ، إذ كانت سفن ذلك العهد بخلافها الآن ، فغزاها سليمان بن عباد فى مرساها ، فأضرم فيها النار لكن لم يذكر بأى شىء أضرم النار فيها ، وبأى وسيلة إذ ذاك كان عمله ، إلا أن التاريخ يصرح بأنه احترق منها نيف وخمسون سفينة ، وانهزم باقى السفن هرباً إلى البحر بحيث لا ينالها

الغازى ، ومكث بها أهلها هناك ، وفى هذه الأثناء تصور لمجاعة أنه لا طاقة له على حرب سليمان وهم فى قلب عمان ، وأنه لا بد أن ينقض عليهم انقضاض الصاعقة يوماً ما ، وكذلك تحقيق القضية عند الإمام السالمى ، إلا أن فيه مزيد إيضاح لجيش الأزد الذى صادم به سليمان بن عباد مجاعة فى بركا أنه كان ثلاثة آلاف فارس أهل الخيل ، أن بعضه أهل بجانب ثلاثة آلاف وخمسمائة ، فيكون مجموع جيش الأزد ستة آلاف وخمسمائة ، وقد قاتلوا عشرين ألفا فهزموهم بإذن الله ، ولا ريب فانهم يدافعون عن وطن وذرية وأهل وفيه فواصل مجاعة سير الليل بسير النهار حتى وصل بركا ، وذكر قتال سليمان لهم وقتال سعيد فى بركا ، وبعد انتهاء ذلك اليوم تأمل سعيد جيشه وقد قتل منهم من قتل فرآه ضئيلا جدا ، فكاعت نفسه فاعتزل من ليلته وعمد إلى ذرارى أخيه وذراريه فخرج بهم إلى الجبل الأخضر ، قال : فلحقه القوم فما زالوا محصورين ، وذكر قضية حريق سفن مجاعة مرسى مسقط ، وذكر أنه لما فرغ من حرق سفن مجاعة وهرب الباقى منها ، قال : فخرج مجاعة من الداخلية يريد سفنه بمسقط ، وإذا بسليمان راجعا من مسقط ، فالتقيا بسمائل ، ودارت رحى الحرب بينهما ، وقتل فى هذه الوقعة من الفريقين أعيان الرجال ، فكانت مقتلة رهيبة انهزم فيها مجاعة هرباً إلى سفنه ، فلما وصل مسقط تصور له أن سليمان خلفه ، فكان غاية ما عنده الهرب العاجل قبل حلول الأمر المخوف ، فركب سفنه وجد فى الهرب إلى جلفار .

ولما استقر بها كاتب الحجاج عما صار عليه وما وقع فيه من المآزق فاهتم الحجاج بالأمر غاية الاهتمام ، وانزعج له مندهشا مما تكرر على مسامعه من عمان ، فأخرج له جيشاً آخر على طريق البر بقيادة عبد الرحمن بن سليمان ، أحد أعوانه الأشقياء ، مؤلفاً من خمسة آلاف رجل أهل خيل كلهم من بادية الشام الأجلاف ، الذين لا يعرفون ديناً ولا يراعون إسلاماً ، أحرق الجهل ضمائرهم وتولى عليها الشيطان مسيطراً عليها ،

تقاتل قوماً مسلمين فى أوطانهم على غير جرم ولا سبب ، بل طاعة لأشقى الخلق الحجاج بن يوسف الخبيث •

وكان فى القوم رجل من الأزد ولا يعلمون به ، وكان الأزدى متقد الأنفاس على ما يسمع من الحدة على قومه ، فأكنها فى ضميره ولم يبدها لهم ، حتى إذا رأى الفرصة هرب من الجيش ليلا ولعله لم يفقد ، حتى أتى سليمان وسعيد بعمان ، ولكن لم أجد فى أى موضع وجدها ، ولكنه أدركهما فألقى إليهما مهمته وما علم من الجيش الغازى ، فأثر عليهما وانزعجا لخبره وهالهما الأمر ، ولعله هول عليهما حتى أقلقهما وليته لم يفعل ، وليتهما ثبتا ثبات الأحرار ، إما موت فى كرم ، وإما حياة فى عز ، وإنه لشبيه بقضية الذى أرجف بالمسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه نزل : (اذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم) الآية ، وليتهما زاد إيمانهما وقالا له نرحب بالزائر ، وإن السيوف التى قاتلنا بها لفى أيدينا ، وإن القلوب التى لقينا بها الأولين لفى صدورنا ، وتحمسا على العدو القاصد البيضة ، ولكن بعض الرجال يتحرك فيها الدم البارد فيؤثر على الدم الحار ، ولو قال لهم ما هؤلاء إلا شرذمة قليلة وما هم إلا لقمة آكل ، وترك السيف يقـرى الضيف والموت يعلن الصـوت ، والشجاع يتقلد الروعة على هامته ، حتى يحكم الله بينهم وهو خـير الحاكمين ، لنجح القوم ، ولكن الناس يقيمهم المقيم ويقعـدهم الفرد بلسانه ، كم جرى مثل هذا فى العالم الإنسانى ، وكم حدث التاريخ عن أناس من هذا النوع •

قال الإمام : فاستشعرا العجز فحملا ذراريهما وسوادهما ومـن خرج معهما من قومهما ، ولحقا ببلد من بلدان الزنج أى حيث لا يسمعان بعمان ولا تسمع عمان بهم ، فكان مقرهما فى زنجبار منذ ذلك العهد حتى ماتا هناك ، أى وكونا لهم حكومة أهلية ونشر الإسلام فى تلك النواحى النائية ، حتى أصبحت منتدحاً لأهل عمان ، وأصبح أهل عمان يتحملون

إلى زنجبار زرافات وجماعات فى كل موسم فى ذلك العهد ، لعل الله أراد أن يهدى بهمـا قوماً وينشر بهمـا الدين فى تلك النواحى فتـدخل فى الإسلام .

قال : ودخل مجاعة عمان مع زميله عبد الرحمن ففعلا فيها غـير الجيل ، ونهباها هما وعسكرهما المحتل ، ولا ريب فإن الجهل بلية مـن البلايا وغطرسة الحجاج ما عليها من مزيد ، والدين عندهم اسم بلا مسمى وإلا فأين حقوق الإسلام التى يقتضيها الدين .

أول عامل للحجاج على عمان

لما تمكن مجاعة من عمان ، وكان زميله عبد الرحمن بن سليمان معه يؤيده ويسدده ، وكانت عمان قد قضت على أخيه القاسم مع جيشه الغاشم ، ودقت مجاعة المذكور مع جيشه الأول والثانى ، وانتصر الجيش الثالث وصفا له الجو فى عمان ، وظهرت سيادة الحجاج على عمان بخروج سعيد وسليمان إلى أرض الزنج من أفريقيا ، وداست أقدام الجيش الفاتح لعمان كرامة أهل عمان ، ولى الحجاج على عمان الخيار بن سبرة المجاشعى من أعوانه العتاة ، وبقى المجاشعى المذكور والياً على عمان مدة حياة عبد الملك بن مروان ، حتى مات فى شوال سنة ٨٦ ست وثمانين ، وخلف سبعة عشر ولداً ، وبعد موته تولى الأمر ابنه الوليد ، ثم مات الحجاج واستعمل الوليد على العراق يزيد بن أبى مسلم ، وكانت عمان إذ ذاك من أعمال العراق ، فولى عليها يزيد سيف بن الهانى الهمذانى ، فقام بالأمر فيها حتى مات الوليد فى يوم خامس عشر من جمادى الآخرة ، سنة ٩٦ ست وتسعين ، فكانت خلافته عشر سنين ، وكان ابن الهانى الهمذانى هو والى عمان من قبل أمير العراق يزيد بن أبى مسلم .

ولما تولى الخلافة بعد الوليد أخوه سليمان بن عبد الملك بالوراثة عزل سيف بن الهانى عن عمان ، وولى عليها صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثى ، ومشى فى عمان الوالى الليثى بين الزعازع الطائفة ، فرأى سليمان ابن عبد الملك عزله عنها ، ولعله رآه لا يحسن إدارة شئون البلاد ، ورأى رد الوالى الأول عليها الممارس لها ، ولكل وقت سياسة وكل يصلح لأمر ، ومدارك الرجال مختلفة الأحوال ، وقد جعل سليمان صالح بن عبد الرحمن مشرفاً على الوالى ، ومراقباً حركاته وسكناته ، ومضى لهؤلاء الولاة على عمان عهد من الزمان يتداولونها حتى تولى يزيد ابن المهلب بن أبى صفرة العراق وخراسان ، وكان يزيد بن المهلب بن أبى صفرة من عمان

وله فيها حنين وأنين ، إذ هى وطنه ووطن قومه من الأزد ، ولذلك ولى عليها أخاه زياداً فلم يزل عاملا على عمان محسنا الى أهلها محبوباً لديهم مطاعاً فيهم ، بقى فيها ، إلى أن مـــات سليمان بن عبــد الملك ، وتولى الخلافة العبد الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى اليوم الذى مات فيه سليمان بن عبد الملك بولاية العهد منه ، وعد ذلك مــن حســناته الخالدة ، فكان ذلك فى عاشر صفر سنة ٩٨ ثمان وتسعين ، وقيل سنة ٩٩ تسع وتسعين ، ثم بدأ ضياء العدل هنا يبدو وظلام الجور يخفى ، ومن حسنات الزمان خلافة عمر بن عبد العزيز ، وللخير آثار كما للشر كذلك ، وفى هذه الأثناء قام دور التمذهب الدينى ، وكان الإباضية قــد أخذوا حظهم من الحق ، وقام لهم فى العالم الإسلامى مقامات أشهر من نار على علم قبل أن يعرف لغيرهم شأن مهما كان ، فقد دون الإباضية دواوين الشريعة وبرهنوا على الاعتقاد الصحيح • ونصبوا معالم الحق مباينين لأعمال طغاة بنى أمية ، وواضعين معالم الدين ومؤسسين القواعد للمسلمين ، فى ذلك العهد المظلم بالحجاج وأمثاله من اللجاج الذين ضايقوا المسلمين وضيقوا مسالك الدين ، فكانوا — أى الإباضية — المورد والمصدر للمؤمنين قبل أن يكون فى الإسلام شافعى أو حنبلى أو مالكى أو حنفى ، كما أوضحنا ذلك فى العــرى الوثيقة ، والحمــد لله الــذى بنعمته تتم الصالحات •

مذهب أهــل عمــان

اعلم لما كان تاريخنا هذا خاصا بعمان وحوادثها مع ما تعلق بها من أحوالها ، رأينا أن نذكر مذهب أهل عمان حتى يكون تاريخنا هذا أخذاً من كل شئون عمان .

اعلم أن مذهب أهل عمان هو المذهب الإباضى الذى عرف فى عمان . وحضرموت واليمن قديما ، والعراق ومصر حتى تقلص ، والمغرب عــلى الأكثر حتى شاع فى نفوســة وطرابلس والجزائر وميزاب فى العهــد السالف ، وكان شيوع عقائده بين رجال الحق شاهراً ظاهراً لا ينكره منكر ولا يقدح فيه قادح ، وكان الخوارج من رجال الإباضية الأشداء على أهل الأهواء ، حتى ابتدعوا مقالتهم الشوهاء ، ودخلوا بها على مجالس المسلمين فأنكروها عليهم ورفضوهم بهــا ، فأقصوهم وأبعدوهم عــن مجالسهم ، وتبرءوا من مقالتهم ، وبذلك أطلق عليهم من جاء بعدهم اسم الخوارج ، وبه ألصقوا السوء عليهم لتنفير الأمة عنهم ، ومصداق ما قلناه فى مؤلفاتهم القيمة ، وكتبهم الصحيحة الواضحة . وأقوالهم الشهيرة الراجحة ، فإن الخوارج ضلوا الطريق وسلكوا المضيق ، وابتدعوا بالتأويل تشريك أهل التوحيد :

وأمــة المختــار فــارقتهم وضللتهمـــو وفسقتهـم

فما للإباضية وللخوارج ، فالاباضية مذهبهم فى الصدق والوفــاء مذهب أبى بكر الصديق ، ومذهبهم فى الشدة والهــدى مذهب عمر بــن الخطاب ، وعقيدتهم فى دينهم عقيدة نبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يداهنون فى الدين ، ولا يعادون المسلمين ، ولا يفارقون المؤمنين ، يصفون ربهم بأوصافه الكاملة ، وينعتونه بنعوته الفاضلة ، وينزهونه عن

النقائص كلها ، ويعتمدون على الكتاب والسنة ، اعتمادا لا هوادة فيه ، ويقولون بالاجماع ويعملون بمقتضاه ، ويأخذون بالرأى فى المختلف فيه ، ولا يرضون من أحد ما خالف منهج المسلمين مهما كان ومن كان •

فالمسلمون بايعوا أبا بكر رضى الله عنه حتى قضى نحبه ، ولقى ربه ، ثم اجتمعوا على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ووالوه ووازروه وناصروه ، وكانوا معه لما كان مع الحق حتى انقضت أيامه ، ثم بايعوا عثمان بن عفان بعد الاجتهاد للمسلمين ، والنظر فى أمر الدين ، وواجبات رعاية منهج المؤمنين ، وأخذوا عليه العهود والمواثيق ، وأكدوا القضية بكل تأكيد صحيح ، اجتهاداً لدين الله عز وجل ، وقياماً بحقوق الاسلام ورعاية لمصالح الأمة ، وكان عثمان من أفاضل رجال الاسلام مستور الأحوال الكريمة منشور الفضائل العالية ، محبوبا فى السواد الأعظم ، مقبول الحديث متبعاً فى الأقوال ، لايعدون عليه شيئا ينكرونه فى دينه ، وقد اجتهدوا فى توليته تمام الاجتهاد ، إذ كان المقام مقام اجتهاد ونظر للصالح والأصلح ، فبايعوه بعد ذلك كله ، وما كان لهم علم بالغيب فيما يحدث ، فإن أحسن فذلك ظنهم فيه وأملهم منه ، وإن زاغ عن الحق وراغ عن الطريق فلا إمامة له • وقد ناطحوا كسرى وقيصر وأبانوهما عن عروشهما ، فكيف برجل منهم قوموه لدينهم ، وأمروه عليهم لا يكون عليهم ضربة لازب ، إذا لم يستقم لله ولم يقم بواجبات الأمة ، وتعوج عن الحق ، والحق أحق أن يتبع ، وما بعد الحق إلا الضلال ، فاستقام عثمان ست سنين من صدر خلافته ولم ينقم عليه شيء فكان على منهج صاحبيه ، والمسلمون كلهم تحت رايته ، ورهن إشارته ، حتى غير بعد ذلك وبدل ، فأنكروا عليه تغييره سيرة صاحبيه ، فعاتبوه أولا لعله غافل

فينتبه ، أو جاهل فيعلم ، ومشوا معه حيناً من الدهر ، فما تحققوا رجوعه ولا فهموا منه إلا بقاءه على ما أنكروا عليه ولعل علياً كان حريصاً عليها لما يرى من الأهلية له فيها •

فقام على ابن أبى طالب قيام الأئمة العدول ، وعمل بأوامر القرآن الكريم ، وهابه أهل الباطل من رجال الدنيا والدين ، يتهالكون عليها وقاتل أهل الفتنة القائمين لقتاله المتسترين عند العوام بطلب دم عثمان حتى قتل منهم ألوفا ، وهزم صفوفا برجاله الأبرار ، وأصحابه المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان حتى شوش عليه بعض أهل الأغراض الدنيوية حين رأوه حليف ذى الفقار ، وأليف العدل على كل جبار ، وعند ذلك تآمروا عليه ، إن هذا الرجل لا يرى لنا من الحق شيئا ، ولا ينقاد لرغباتنا فهلم أن ندس له المكائد ، فنسجوا له نسجاً لا ينفلت منه إلا بدماره ، كما شرحنا فى العرى الوثيقة ، وبينا حقيقة على ومرام قومه •

ولقد خدعوه فى قضية التحكيم من نواح عديدة أولا قبولها إذ حملوه عليه ، فقبل راغما ، وبذلك رجعت دولة على بن أبى طالب القهقرى ، وتكسر ذلك العمود الذى احتملت عليه ، وانهار صرحها المحاط بذى الفقار ، فرجعوا يضربون رقاب بعضهم بعضا ، وأوغلوا فى الشقاق ولجوا فى الافتراق ، وبقضية التحكيم وجد الشيطان مدخلا بين المسلمين ، فقام فيها القيل والقال ، وطال بها الخطب وخلقت الدسائس ، وأخرج طلبة الدينار رءوسهم متطاولين على الامام ، منضمين الى أضداده ليبلغ كل واحد منهم غاية مراده ، فكان فريق يرى له التحكيم واسعاً ، وبعضهم يراه واجباً وفريق لا يراه واجبا ولا جائزا ، وانشقت به عصا المسلمين ، وأصل وضعه ليتقوى أضداد الامام ، فخرج عنه أهل طاعته ، وسيوف

دولته ، رهبان الليل أسود النهار ، الذين لم يرضوا الواقع ولم يمرهم الامام المسامع ، ولا رأى لهم ما طلبوا ففروا عنه إلى جانب ، فخافهم الجاهل وهابهم الظالم ، ومال على قتلهم من يخاف سطوتهم ، فحملوا على الامام على قتلهم بمكائد خلقوها ، ودسائس نسجوها ، وقد حكم الله عز وجل فى القضية المشار إليها فى كتابه العزيز ، ولم يجعل حكم أمثالها الى أحد من المسلمين ، فكانت مثار القيل والقال والشقاق والجدال ، فرأى بعضهم أن حكم الله فى القضية واضح وليس للإمام أن يحكم فيه برأيه ، وهى فى الحقيقة من أهم المسائل التى لعبت بها أيدى الهوى ، وشوهت حقيقتها تبريرا للطعن فى المحكمة زوراً وجوراً ، وذلك أن الذين أنكروا التحكيم بقولهم : لا حكم إلا لله ، لا يعنون غير مسألة قتال الفئة الباغية ، لأن الله لم يجعل حكمها لعباده ، بل بينه عز وعلا نفسه ، وقد ثبت أن الذين حملوا السلاح فى وجه إمام المسلمين فئة باغية ، وزال الريب عمن بقى فيه ريب أو تشك بعد قتل عمار بن ياسر رضى الله عنه ، لقوله عليه السلام له : تقتلك الفئة الباغية • ولم يقابل أحد من المسلمين هذا الحديث بالرد أو بالطعن ، • بل أثبتوه وصدقوه ورواه علماء الصحابة ، فزال به الريب بعد قتل عمار عمن كان مرتابا من الضعفاء ، فإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صرح فيه ، بأن قاتل عمار باغ بغير شك ، فتبين بذلك أن المناصبين للامام فى صفين باغون عليه بحكم الكتاب والسنة ، والتحكيم فيما كان كذلك لا يجوز ، فقال المنكرون له لا حكم إلا لله ، أى فيما حكم الله فيه لا يصح أن يحكم فيه بخلاف ذلك الحكم ، وإلا كان رداً لحكمه عز وجل والله يحكم لا معقب لحكمه •

وقد أكدت السنة أيضا لحكم الكتاب ، ولكن المكابرين أبوا إلا أن

يصرفوا الحقيقة عن وجهها ، ويوردوها على غير موردها ، فحملوا هذه الجملة على العموم ، والواقع يناقضه ، وزعموا أيضا أن المحكمة أرادوا إبطال الخلافة بقولهم لا حكم إلا لله ، مع أن الواقع أن المحكمة نصبوا الأئمة فى كل قطر حلوا فيه ، قال العلامة أبو إسحاق الإطفيشى ، وجرى معهم فى إنكار التحكيم الحسن البصرى ومالك بن أنس عالم المدينة ، كما ذكره المبرد فى كامله ، وحكاه فى ضحى الاسلام عنه •

واعلم أن رد الحق ونسفيه من أكبر الكبائر فى الدين ، وقد عاتب بعض المسلمون على بن أبى طالب ، كالأشعث بن قيس ومن معه فتابعهم ، والمحنة تحتار فيها العقلاء ، قال الامام فعاتبوه فلم يعتبهم أى لم يصغ لمعاتبهم ، قال وخاصموه أى ظهر خصامهم عليه ، فكانت لهم الحجة واضحة المحجة ، مما ورد من النصوص قال الامام فهم أن يرجع اليهم ويترك ما صالح عليه البغاة من التحكيم فى حكم الله ، فقامت عليه رؤساء قومه فأطاعهم ، فاعتزله المسلمون بعد أن خلع نفسه من الإمامة ، لأنه فى تلك المدة لم يكن هو إماماً ولا أميراً للمؤمنين ، حيث الامامة فى يد الحكمين ينظران لها الأصلح ، مع أن الواقع لم يكن خصم الامام إماماً حتى ينظر فى أى الإمامين أصلح للمسلمين ، وإذا كان الأمر كذلك فليس المسلمون الذين ينظرون الأصلح للمسلمين أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص ، وهل يلزم المسلمين ما رأياه وحكما به كان صالحا أو غير صالح ؟ وهل رضاهم بحكم الرجلين لازماً بالمسلمين ؟ وهل القضية مالية يهون أمرها على باذلها ؟ وإنما هى الدين الذى كلف الله به الأمة وإذا كان على راضيا بالتحكيم فكيف يقال إنه فى ذلك الحال إمام ؟ فهذا من الأمور المتناقضة ، وإذا كان هو إماماً فكيف يسوغ له انتظار الحكمين وحكمهما ؟

وبالجملة فقد وقع على بن أبى طالب فى خطورة هامة من قبل هـذه القضية ، فنعوذ بالله من الفتن .

قال الامام : ولما حكم على الرجال فى إمامته ، اعتزله المسلمون وهو يظن أن الأمر باق فى يده ، وهيهات فقد أعطى العهود والمواثيق على قبول حكم الرجلين ، فصارت الامامة يلعب بها الحكمان إن قدموه أو عزلوه ، فاعتزله المسلمون عند ذلك ، وقدموا على أنفسهم عبد اللـه ابن وهب الراسبى إماماً لهم ، قال : فسار اليهم على فقاتلهم بالنهروان حتى قتل جماعتهم الذين هنالك ، وهم قدر أربعة آلاف رجل لـم ينج منهم إلا اليسير ، وهم يرون أن الموت هو النجاة عند الله ، وهو الرواح الى الجنة ، فبقى من بقى منهم فى الأمصار والنواحى ، وهم خلق كثير ، فبقوا متمسكين بدينهم ، عاضين على وصية النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى اتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، متمسكين بما وجدوا عليه أسلافهم ، ثابتين على الحق غير متزعزعين عنه كيفما كان الدهر لهم أو عليهم ، فنصبوا على ذلك الأئمة ، وباينوا الغواة من الأمة ، وأذهبوا فى رضى الله الأنفس ، وفارقوا على طاعته نساءهم وأبناءهم ومساكن يرضونها حتى أقاموا شعائر الدين ، وأناروا منار الإسلام ، وأعادوا شريعة الله على مستقرها . حتى ظهر الدين بين الخاص والعام فى أقطار الأرض . فأظهروا للناس معالم الاسلام ، وذكروهم بسيرة النبى عليه الصلاة والسلام .

ومذهب أهل عمان من قضية التحكيم مذهب الإباضيين على العموم ، فالقول فيها واحد ، والولاية والبراءة كذلك ، وما صح فيه احتمال فهو على ما كان عليه ، وقد ذكر بعض العلماء : أن على بن أبى طالب تاب

مما وقع فيه ، كما شهر بكاؤه وندمه على أهل النهروان ، والندم توبة ، ولا يرى بعض أهل المذهب هذا حجة توبة ، لأن توبته لا تحتاج الى شهرة وشيوع ، وقد حكى القطب ابن يوسف رحمه الله توبته فى الهيميان ، إلا أنها لم تثبت صحتها معه ، ويميل على عدمها ولنا فى القضية كـلام حافل فى العرى الوثيقة من أراده فليقصده يجده شافيا إن شاء الله .

وأهل عمان يأخذون عن الصحابة مطلقاً مالم يبن لهم باطل فيما أخذوا ، كما هو مذهب عامة الاباضية ، والقرآن هو إمام المسلمين يقتدون مما جاء فيه ، فحلاله حلال عندهم ، وحرامه حرام أبداً لديهم ، ويؤولون تأويل أصحاب سيد آل عدنان ، إذ هم العرب الصراح ، وبلغتهم نـزل القرآن ، فلا يجهلونه ، والناس تبع لهم فيه لا يرون لأحد مزيد علم على علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خصوصا فيما يتعلق بأحكام الشريعة من عقيدة وغيرها ، مما يتطلبه الظاهر من الأمة ، وإن ادعى قوم أنهم أدركوا ما لم يدركه الصحابة فى القرآن ، فمن الجائز ذلك ، ولكن الصحابة هم ترجمان القرآن ، وهم هداة الأمة ، وهم صروح الشريعة ، واليهم مقاليد أحكام الله العملية الدينية ، وإن أدرك قوم علوم الصنعة ونحوها من القرآن أو السنة ، فلا يعترضون عليهم ، بل يكلون ذلك إليهم .

ومن مذهب الاباضية على العموم عدم الرؤية لما تدل عليه مـن النقص ، والله عز وجل منزه عنه ، وأهل عمان يعتقدون كمال الله من جميع النواهى ولا يرون مذهب معتقدها إلا منهاراً لا ثبات له بحال ، ومن مذهبهم إثبات الحقوق التى جاء بها القرآن كلها ، لا إنكار لشىء منها أبدا ، وهى حق ذى القربى وحق الجار ، حق الصاحب بالجنب ، وحق اليتامى ، وحق المساكين ، وحق أبناء السبيل ، وحق الوالدين ، وحق ما ملكت اليمين أبرارا كانوا أو فجـارا ، وحق الأمانة ، وحق الوفـاء

بالعهد لقومنا ولأهل ذمتنا ، وحق من استجار بنا من قومنا وغيرهم ، وحق الأمن للكاف عن قتالنا المعتزل بنفسه عنا من غير أن نشك فى ضلالة من حاد عن مذهبنا ، وحق الدعاية الى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وحق موالاة المحقين فى الدين أيا كانوا من الناس وفى أى موضع كانوا من أرض الله عز وجل ، وحق مفارقة أهل الباطل ومعاداة أهل الضلال وموالاه المحقين رغم أعداء الدين ، ومن عادى المسلمين أو مالأ على قتالهم أو أعلن عليهم أو دل عليهم أو على عوراتهم أو كاتب أعداءهم مباينة لهم ، أو كاد امام المسلمين أو غشه أو خانه أو خادعه أو خذله عند القدرة على نصرته لكنا فى كل هذه الأحوال لا نحكم فيهم بحكمنا على عبدة الأوثان ، ولا يحكنا على أهل الكتاب ، فلا نقبل منهم جزية ، ولا نعد أموالهم غنيمة ، ولا نعاملهم معاملة المشركين كما يفعل الأزارقة الذين يحكمون على من خالفهم بحكمهم على المشركين ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحكم فيهم بذلك ، ولا حكم فيهم بذلك أئمة المسلمين ، وهم علماء الشريعة وهداة الأمة الى الحق والى طريق مستقيم .

وكفى قدوة لنا على بن أبى طالب فى هذا المقام ، فانه لم يحكم فيهم يوم الجمل بحكم المشركين ولا فى صفين ولا فى النهروان ، بل قال إخواننا بغوا علينا وذلك واضح شهير عند علماء الملة وأئمة الدين .

قال الامام السالمى رحمه الله : ومن أنكر الحق واستحب العمى على الهدى ، وفرق المسلمين وعاندهم فارقناه وقاتلناه حتى يفىء الى أمر الله أو يهلك على ضلالته من غير أن نزلهم منازل عبدة الأوثان ، فلا نستحل سبيهم ولا غنيمة أموالهم ولا قطع الميراث منهم ، خلافا للخوارج الصفرية

والأزارقة والنجدية ، المانعين لموارثة ومناكحة مخالفيهم ، لأنهم مسلمون موحدون ، يقرون بالقرآن ويقرءونه ويصـلون ويصومـون ويزكـون ويحجون ، فهم بذلك مسلمون فى الجملة وإن ضلوا بالتأويل الذى تشبه لهم ، فلا يخرجون بذلك عن حكم المسلمين فى الجملة .

ومن مذهب الاباضية بعمان عدم الرضا بالفتك بمن خالف المذهب ولا قتلهم فى السر ، وإن كانوا ضلالا ، لأن الله لم يأمر به فى كتابه ولم يفعله أحد من المسلمين ممن كان بمكة بأحد من المشركين ، أى أن المشركين فى مكة كانوا اضطهدوا المسلمين ، وفى إمكانهم قتلهم غيله لو أرادوا ، لكنهم لم يفعلوا ذلك فكيف نفعله نحن الآن بأهل قبلتنا . وقد أمر الله عز وجل نبيه أن ينبذ اليهم على سواء ، فقال : (وإما تخافن من قوم خيانه فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) .

ومن مذهب أهل عمان جواز مناكحة قومنـا ، وكذلك موارثتهم ، ويخالفون لمن أجاز الفتك بقومنا واغتيالهم ، ومن أجاز قذفهم بالزنى ، فما داموا يستقبلون قبلتنا فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ، لأنهم مسلمون فى الجملة ، وقد كان المسلمون يناكحون المنافقين ، ويظهر من المنافقين من المعاصى أكثر مما يظهر اليوم من كثير من قومنا ، وكيف يصح أن يقذف أحد بالزنى بما لم يفعل خلافاً للخوارج الذين يستحلون ذلك ، والله يقول الحق ويأمر به ، والقذف بالزنى بغير حق قول بغير علم ، والخـوارج يستحلون ذلك ، وهم مضلون لأنه تقول على عباد الله بما لم يفعلوا .

ويحرم المذهب الإباضى على المسلم مهما كان القول بتحليل الزنى ويبرأ منه ويعاديه ، لأنه مصادم للنص القرآنى ، هذا إذا كان متأولا ، أما إذا كان مصادماً للنص فهو مشرك حلال الدم والمال ، ولا يرى المذهب الإباضى استعراض أحد بالسيف ما دام يستقبل القبلة ويتظاهر بامتثاله لأوامر الدين ، ولو كان على ضدها فى الباطن .

ولا يرضى المذهب العمانى قتل الأطفال مهما كانوا أعنى أطفال الكفار ، لأنهم لا تكليف عليهم ولا توجه اليهم خطاب التكليف ، لا سيما فإن الرسول عليه الصلاة والسلام سأل الله فى اللاهين فأعطاه إياهم خدماً لأهل الجنة ، ذلك لأن الله عدل لا يجوز عليه أن يعاقب من لم يعصه ، والأطفال لم يتبين منهم عصيان ، ولأن الفطرة الدينية شاملة لهم . والمراد باللاهين أطفال المشركين ، وسموا لاهين أى غافلين أى لم يتوجه اليهم خطاب الشارع ، فكيف يعاقبون على غير آثام اقترفوها ، وليس من العدل عقوبة غير المستحق ، والله العادل الحقيقى ، وهذا هو الشائع فى أطفال المشركين ، وجاء فيهم غير ذلك مما أشار اليه قوله عز وجل : (ألحقنا بهم ذرياتهم) ونحوها ، والله أعلم بما كانوا عاملين أن لو عاشوا ، وعلى كل حال لا يصح قتلهم ما داموا أطفالا ما لم يقاتلوا ، ومن قاتل منهم يقتل .

ولا يستحل المذهب الإباضى فرج امرأة رجل تزوجها بكتاب الله وسنة نبيه ، عليه الصلاة والسلام ، حتى يطلقها وتعتد منه عدة الطلاق أو يموت عنها ، فتعتد منه عده الوفاة ، ولا يقول المذهب بالهجرة من دار قومنا لهجرة النبى صلى الله عليه وسلم من دار قومه ، لأنه أمر بذلك ولم نؤمر نحن بذلك ، ومن خرج من دار قومه حاجا أو زائرا أو طالب علم أو مجاهداً فى سبيل الله ، ثم عاد الى دار قومه يبرأ منه إن سبقت له ولاية ، إذ لا يلزم أحداً أن ينتقل من داره التى كان فيها لما كان بها من الشرك ، فكأنه اختارها على دار الاسلام ، ولا يتولى أهل المذهب إلا من علموا منه الوفاء بدين الله ، وأداء الواجب من حق الله عز وجل ، ويبرءون من المصرين على المعاصى من أهل دعوتنا ، لأن المقصود بالذات

الحق وحدة ، حتى إذا تاب العاصى ورجع عن عصيانه ، وأناب الى الله كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم على العموم ، وليس للنفر القليلين المستضعفين أن يبايعوا إماماً إلا على الجهاد لأعداء الله ، وإقامة شعائر الدين والقيام بحقوق الاسلام ، وإلا كانت بيعتم رداً عليهم ، فـإذا بايعوا إمامهم على الطاعة لله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فليس لهم الرجوع عن ذلك أبدا حتى يهلكوا فى سـبيل الله أو يظهروا عـلى عدوهم ، لأن ما عقد على طاعة لا يجوز الرجوع فيه قبلى تحقق العجز ، ومن باع نفسه لله فعليه الوفاء ببيعته لله : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية •

وولاية من علم صلاحه فى الدين واسـتقامته على منهج المسـلمين تجب ولايته أيا كان ولو لم ندركه ، ولو كان من الأمم الأولى لعموم الدليل الوارد فى المقام بنصه العام إذا قامت الحجة بعدالته ، وكذلك من كان من أهل الظلم أيا كانوا ، وفى أى زمان كانوا منا أو غيرنا فى وقتنا أو قبلنـــا •

ومن مذهب أهل عمان البراءة من كـل ظلم ، والوية لكل محق ، ولا يسبون المذاهب الأخرى ، ولا يقولون فيها انها خارجة عن حدود الإيمـان ، ولا ينفرون عمن خالفهم ، ولا يسمعون أهل الأهـواء فى أضدادهم ، ويكلون أمرهم الى خالقهم ، ولا يطيعون الملوك الجورة إلا تقية لهم ، ولا يجبرون أحدا على مذهبهم مهما كانت الغلبة لهم ، ولا يزيدون فى الأمور الشرعية شيئا لم يفعله الرسول عليه الصلاة والسلام ولا الخلفاء الراشدون ، سواء كان فى الأذان أو فى الاقامة ، أو فى سائر الصلاة •

ويرضى المذهب العمانى من المذاهب الأخرى أن يكفوا عن سب أى أحد من الصحابة ، وألا يقدحوا فى مذهب المسلمين ، وألا ينكروا الحق

ولا يعينوا الظالم فى ظلمه ، لا يصرفوا تأويل القرآن الى مقتضى أهويتهم ، ولا مبرر لهم ولا دليل على ذلك لديهم ، كما صرف بعض أهل المذاهب تأويل ثلث القرآن أو قريب منه فى على بن أبى طالب وأولاده بغير دليل ، وألا يقدح الشيعة فى أبى بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين . وألا يقول الخوارج على الله إلا الحق ، ولا يرغبوا عن سبيل المسلمين ، وألا يطعنوا فى أحكامهم ، وأن يحسنوا الظن بالمسلمين ، وألا يعارض المرجئة عقيدة أهل الحق ، ولا يتدخلوا فى الضعفاء فيضلونهم بغير علم ، فإن الدين قول وعمل واعتقاد . ولا يكفى واحد عن الاثنين إذا قامت الحجة على ذلك ، وإلا كانوا أضر على الاسلام من اليهود والنصارى ، وأن يبرأ الناس من دعاة الظلم وأعوانهم ، وعلى الأقل لا يبرءوا ممن تولاه الإباضية ، ولا يتولوا من برءوا منه ، وعلى أقل الأقل إن رأوا ذلك ألا يظهروه للمسلمين ، وإلا يفارقوا أهل الحق مهما كانوا أقوياء أو ضعفاء ، وأن يوقنوا بحكم القرآن ولا يعترضوا على المسلمين فى سبيل دعوتهم الى الله ، وألا يقدحوا فى أئمة المسلمين وعلمائهم ، وألا يسفهوا أحلامهم ، وألا يعينوا بغاة الأمة على المحقين منهم ، فإن إعانة الباغى تفضى الى الكفر ، وألا يؤووا ولا يناصروا أحداً قام المسلمون عليه ، فإن مآواته مناصرة لـــه .

ويكتفى العمانيون من سائر فرق الإسلام ألا يعترضوا عليهم فى أحكامهم ، ولا يكونوا حجر عثرة لهم فى سبيل سيرهم الى الله عز وجل ، ويرضى الإباضية من أهل البدع الضالة أن يستروا بدعتهم ، ولا يظهروها وسعنا بذلك السكوت عنهم وأمرهم إلى الله ، ويرضى الإباضية العمانيون من بقايا النـــاس أن يتقوا الله ربهم ، ولا يجعلوا حكمه عز وجل تبعاً لحكمهم ، بل الله يحكم لا معقب لحكمه ، وألا يتمسكوا بطاعة قوم ضلوا

أم اهتدوا وألا يتابعوا عاصى الله عز وعلا ، وألا يركنوا إلى الظالم ، فإن الله نهى عن الركون إلى الظلمة وألا يعينوا باغياً على محق ، ولا عذر لهم فى الجهل ، بل أقل ما يلزمهم الوقوف عما لا يعلمون ، فإن الله لـم يأذن لأحد أن يعطى عهده من يعصى أمره .

والإباضية العمانيون يدعون أن يطاع الله ولا يعصى فى قليل ولا جليل ، وأن يحلّل حلاله ويحرّم حرامه مهما كان ، وألا يستهان بالحقوق الدينية أو الإنسانية ، وأن يقدم فى الأحكام كتاب الله على غيره ، وأن يعمل بسنة الله وسنة رسوله عليه الصـلاة والسلام وسنة خلفائـه الراشدين ، ليس للإباضية الغلو فى الدين أو الغشم على المسلمين ، ولا التعدى على أهل القبلة فى قتيل ولا نقير ، فأموال البغاة لهم ، ولا تحل غنيمتهم ولا سبى ذراريهم بما عندهم من الاسلام ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ما أباح ذلك منهم ، ولا فعله فيهم ولا خلفاءه الراشدين رحمهم الله ورضى عنهم ، وأن حكم المرتد معنا عن دينه حكم رسول الله فيه لا زيادة ولا نقصان ، إذ لم يسر غنا إلى جوار ربه إلا بعد كمال الدين : (اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) فتم الدين بشهادة القرآن ، وكمل فى أحواله كلها بشهادة سيد المرسلين ، تركتم على المحجة الواضحة ليلها كنهارها ، لا جهل ولا تجاهل ، إنا نحرم حرام الله فى كل أحوالنا إلا ما اضررنا اليه ، ونحلل ما حلل الله لنا فى عسرنا ويسرنا فى بلادنا أو بلاد قومنا ؛ وطعام الذين كفروا حل لنا بنص القرآن ، وطعامنا لهم كذلك أيضا كما جاء فى الكتاب العزيز ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق مهما كان المطاع ، وفى كل زمان ندعو الى الله والى رسوله والى سيرة خلفائه الراشدين ، لا نرى أن نفارق شيئا من ذلك ، لا نتبدل

القوانين بالشريعة ، ولا نود أن يفارقنا قومنا من كانوا ومهما كانوا فى أى بقعة من الأرض ، ولا نقول فى الدين بما لم يأذن به الله ، ولا نعتقد الاستيواء القعود فى حق الله عز وجل ، بل هو الملك والقهر والاستيلاء لا غير ، ولا نقول الشفاعة لأهل الكبائر ، لأن هذا القول يناقض القرآن ، ولا نقول بخروج العصاة من النار كذلك ، فإن هذا فيه النصوص الصريحة ، ولا نقول إن الكفر كله معناه الشرك ، ولا نشرك أهل القبلة بمعاصيهم ، ولا نرضى أن نتعدى ما حد الله لنا من الحدود ، ولا نقصر فى شىء منها ، فإن التقصير فيها من التعدى عليها ، ولا نرضى بالتهاون فيها ، ولا نقول فى صفات الله عز وجل إلا بما يناسب جلاله الأعظم ، ولا نرضى انتقاض أى صفة من صفاته ولا نقيس صفته على صفات مخلوقاته ، ولا نقول بنزوله ولا صعوده ولا حركته ولا سكونه فى أى شىء مما لا يليق بجلاله الأقدس وكماله الأنفس ، وأنه الواحد المالك الخالق القادر الرازق الأول الآخر الحى القيوم ، ولا نقول بالشفاعة لأهل الكبائر من العصاة ، لأنه دعاية باطلة وخدعة شيطانية لا يعول عليها إلا مغتر بالهوى ، وأن للشيطان دسائس وعلينا أن نحذرها فى كل وقت لا نتزعزع عن المنهج الحق لأجل الأهواء الضالة أو الجاهلة أو المخدوعة بالأهواء المضلة ، نعوذ بالله منها .

قال إمامنا السالمى رحمه الله : الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والقرآن إمامنا ، والسنة طريقنا ، وبيت الله الحرام قبلتنا ، والاسلام ديننا ، وهو من الإيمان ، والايمان من الاسلام ، والتقوى من الايمان ، والبر والوفاء من الإيمان ، بعض ذلك من بعض على استكمال الإيمان بما فيه بمعنى ، أن هذه الأشياء متلازمة لا ينفك بعضها من بعض ، ولا يغنى بعضها عن

بعض ، خلافاً للمرجئة ، ومن الإيمان إقامة حدوده والعمل بحقوقه ، ولا يثبت الإيمان بانتقاض فرائض الله ، لأن الإيمان العملى من الايمان الاعتقادى بمثابة الجسد مــن الروح ، أو الروح مــن الجسد ، لا يصح شىء منهــا إلا بكمال باقيها ، ولا إيمان لمن أقــام على محارم الله ، وعروة الإيمان هى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً رسول الله ، وأن ما جاء به حق ، والإيمان بالله وملائكتــه واليوم الآخر وبالكتاب وبالنبيين ، وبالجنــة والنار ، وباتيان الساعة لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، والأمر بالمعــروف والنهى عــن المنكر ، وإتيان الأول والتباعــد من الثانى ، وإقامة الصلاة بمواقيتها ، والحضور لها فى الجماعة ، وإقامتها كما هى لا زيادة فيها ولا نقصان منها ، وكل ذلك إيمان ، فإن خصال الإيمان إيمان ، والإيمان كما قدمنا اعتقادى وقولى وعملى كما هو مبسوط فى المطولات ، وخاصة التوحيد والإيمان كلها تحت قوله عز وجل : (ليس كمثله شىء) الآية فهذه هى المحيطة بكل التوحيد كما كشفنا ذلك فى سلم الاســتقامة ولاميــة التوحيــد ، وقد أغنى ذلك عن إعادته هنا ، وإنما ذكرنا هنا غالباً الإيمان العملى الذى عليه أهل عمان ، وبالأخص للفرق التى تجهل ما عليه أهل عمان فى العقيدة لعدم اطلاع الناس على ما عليه العمانيون ، لأن المشوهين من أعداء الدين قد نفروا الناس عن العمانيين بأنهم خوارج ، ولا يعلم أهل عمان ما يبث وراءهم من الأحاديث السيئة والأحدوثات الفاحشة ، وللحق أعداء وهم أهل الباطل ، وإذا لم يحارب الباطل وتحكم فى أعناقه أسياف الحق ، فسرعان ما ترى الحق يهوى تحت أقدام الباطل ، والله لا يرضى لعباده الكفر ، وإن يشكروا يرضه لهم ، والله يعلم المفسد من المصلح .

ومن مذهب أهل عمان كما قال الامام : وجوب الجماعة فى الصلاة ،

ولا يؤمن لها ولا يقنت فيها ولا يقصر على المسح على الخفين ، قـــال أبو إسحاق : وذلك أن التأمين لم يثبت عند أصحابنا ، والقنوت لـم يصح أو منسوخ ، وكذا المســح على الخفين منسوخ بآية الوضوء ، وأهل عمان يقولون من أصله لم يصح ، قال الامام : والقصر أى للصلاة فى الســفر دون الحضر ، وكــذا الجمعة فى الأمصار الممصرة مطلقاً إذا أقيمت فى وقتها ، وعلى شروطها الثابتة ، وعند أئمة العدل فى الأمصار الغير الممصرة إلى آخر خصال الإيمان أ هـ .

سِلْسِلةُ مَذْهَبِ أهْلِ عمان

اعلم أن مذهب أهل عمان متسلسل من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام بنقلةٍ وأئمةٍ هداةٍ وعلماء أثبات ، شهر مقامهم بين رجالات الإسلام ، وعرف منهاجهم بين قادة الأنام ، وما كان من ابن إباض رحمه الله ورضى عنه وما يتعلق بذلك ، فقد كشفنا ذلك كله كشفاً واضحاً فى كتابنا « أصدق المناهج فى تمييز الإباضية من الخوارج » وذكرنا طبقات العلماء على إجمال الى عصرنا هذا ، ونذكر هنا ما يكون جمالا لتاريخ عمان كما ذكرنا قسماً مهماً منه أيضا فى كتابنا « العرى الوثيقة على كشـف الحقيقة » والحمد لله الذى أعان عليهما .

وهنا نقول إن : مذهب أهل عمان تناقله فطاحل الرجال الذين هم فى الدين أشهر من نار على علم ، وأول ناقل له الهمام مازن بن غضوبة السعدى ، وهو معروف فى التاريخ العمانى ، فهو صحابى عمانى ، ثـم كعب بن برشة الطاحى الصحابى ، ثم صحار بن العباس العبدى العمانى الثالث ، ثم أبو شداد العمانى الصحابى الرابع ، ثم عمرو بن العاص القرشى السهمى الصحابى الخامس .

هؤلاء الأشياخ الأجلاء والهداة الأدلاء ، والزعماء الأولون حملوا إلى عمان الدين الإسلامى ، وعلموا أهل عمان أصوله وفروعه وواجباته ولوازمه ومقتضياته ، وتفقه أهل عمان منهم قبل كل أحد ، وبعد ذلك انتشر الإسلام فى عمان انتشار ضياء الشمس بعد الظلام ، حتى عم عمان أولها وآخرها ، ورسخ برجالها الأبطال وعلمائها الفطاحل كالإمام أبى

الشعثاء ، والإمام الربيع بن حبيب راوى المسند الصحيح ، وضمام بن السائب الندبى العمانى ، وجملة من أهــل العلم العمانيين ، ومنهم سبعون راكباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص إلى المدينة بعد وفــاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيهم عبد بــن الجلندى ســيدهم وزعيمهم •

ومن نقلة العلم مــن أهل عمان إلى عمان وإلى العــراق كثيرون لا يحصون عدداً إلا أن طبقاتهم متفاوتة ، أما عمن نقلوا فقد نقلوا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ونقلوا عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب ، ونقلوا عن عائشة أم المؤمنين السيدة المصونة التى تحوى شطر الدين عن سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، ونقلوا أيضا عن العبادلة الثلاثة ، وهم عبد الله بن العباس حبر الأمة وبحرها الزخار ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير ؛ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ونقلوا أيضا عن أنس بن مالك وأبى هريرة رواية الدين ، وعن أبى سعيد الخدرى ، وعن عبد الرحمن بن عوف أيضا كذلك ، وعن عمار بن ياسر ، وعن عبد الله بن مسعود حضيرة الفقه : وعن أبى ذر ، وأبى عبيدة بن الجراح ، ومعــاذ بن جبل ، وأبى بــن كعب ، وسلمان سيد الفرس ، وصهيب إمام الشورى ، وزيد بن صوحان المقتول شهيداً يوم الجمل ، ونقلوا أيضا عن خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ، وعن محمد وعبد الله ابنى بديل ، وحرقوص بن زهير السعدى أحــد المشهود لهم بالجنة ، وعن زيد حصن الطائى الذى نعته عائشة المقتول فى النهروان •

قال الإمام السالمى رحمه الله : هؤلاء الذين ذكرهم أبــو المؤثر ،

قلت : وهم علماء الصحابة وسادة أمة الإجابة رحمهم الله ورضى عنهم • قال : ولأصحابنا نقل كثير عن غيرهم ، لكن قال أبو المؤثر رحمه الله : إنهم أخذوا أيضا عن كثير من رجال العلم وأعمدة الحق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممن أنكر المنكر على أهله ، وممن شهد يوم الدار ويوم الجمل ويوم صفين ، وممن شهد النهروان مع المسلمين ، وممن لم يشهد هذه المشاهد ممن مات على دينهم ومن مات قبل اختلاف الأمة ، فهم أئمتنا وأولياؤنا رحمهم الله ، لا ينكر فضلهم ولا يجهل شرفهم •

ثم بعد الطبقة الثانية وهم : عبد الله بن وهب الراسبى وأصحابه الذين جاهدوا معه يوم النهروان حتى استشهدوا رحمهم الله على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

ثم أهل الطبقة الثالثة وهم : فروة بن نوفل الأشجعى ، ووداع بن حوثرة الأسدى ومن كان معهما يوم النخيلة رحمهم الله •

ثم أهل الطبقة الرابعة ، وهم : قريسب ، والزحاف وأصحابهما الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ذكرهم الامام أبو إسحاق الحضرمى •

ثم أهل الطبقة الخامسة وهم : المرداس بن حُدَير ، وأخوه عروة ومن معهما وهم الأربعون الذين شاع ذكرهم فى عالم الاسلام بكل فضل فى الدين ، ومن باعوا نفوسهم لله حتى سالت أنفسهم على الحق •

ثم الطبقة السادسة وهم : عبد الله بن إباض ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وصحار بن العباس العبد ، وجعفر بن السماك ، وحتات بن كاتب ، وأبو عبيدة الضرير وهو أبو عبيدة الكبير العالم النحرير ، وأبو نوح صالح بن نوح الدهان •

ثم الطبقة السابعة وهم : عبد الله بن يحيى الكندى المعروف بطالب الحق إمام أهل اليمن ومن معه من الرجال كالمختار بن عوف المعروف بأبى حمزة أحد أبطال العلم ، وأقيال السنان ، وأبو الحر على بن الحصين ، ومن استشهد معهم فى جهاد أهل البغى رحمهم الله .

ثم الطبقة الثامنة وهم : بن حبيب بن عمرو والفراهيدى البصرى ، وضمام بن السائب الندبى ، وأبو منصور الخراسانى ومـن معهم فى أيـامهم .

ثم الطبقة التاسعة وهم : الجلندى بن مسعود الامام ، وأبو الخطاب إمام أهل المغرب ، وعبد الرحمن بن رستم الفارسى ، ومن كان فى طبقتهم وهم أفاضل الأمة فى زمانهم .

ثم الطبقة العاشرة وهم : محبوب بن الرحيل ، وهاشم بن عبد الله الخراسانى ، وموسى بن أبى جابر ، وبشير بن المنذر ، ومنير بن النير الجعلانى ، وهشام بن المهاجر ، وعبد الله بن أبى قيس ، وسعيد بن المبشر ، وعلى بن عزرة ، وهاشم بن غيلان ، وسليمان بن عثمان ، وعبد المقتدر بن الحكم ، ومحمد بن هاشم بن غيلان ، وموسى بن على ، وسعيد بن محرز ، والوضاح ابن عقبـة وأضرابهم ، فهـؤلاء الأئمة الأجـلاء والأسـاطين الفخام هم مقدمة رجال الإباضية الذين هـم معروفون فى السماء ، وإن أنكرهم أهل الأرض يأخذ بعضهم عن بعض من معاصريهم وغيرهم ، ذكرناهم لا على الترتيب الزمنى كما ينبغى ، لأن هذا يحتاج إلى فراغ واسع يأتى على ذكر منازلهم العلميـة ، وطبقاتهم الزمنيـة وأسمائهم القبائلية ، وأعمالهم العلمية ومؤلفاتهم الثمينة التى يحق لها أن تكتب بماء الذهب على وجنات الحور ، فقد قاموا رحمهم الله ورضى

عنهم مقاماً يحق له الإكبار ، وجاهدوا واجتهدوا فى حق دين الله عز وجل ، وأدوا واجبهم حتى انقضت أيامهم ، وجاء من بعدهم من أقاموا منار الدين ، وكشفوا عن منهج سيد المرسلين ، وابتلوا بالأمــة حيناً من الدهر ، والله يجزيهم رضاه ويهديهم إليه سبيلا (والذين جاهدوا فينا لنهديهم سلبنا وإن الله لمع المحسنين) أما ذكر أئمة كل قرن عــلى حدة فهذا شاق إذ ما من قرن إلا ولأهل عمان فيه علماء عديدون ، وفقهاء كثيرون ، وعلماء عمان هم فقهاء الشريعة ، لم يتخصص منهم أحد فى غير الفقه ، وإن نال بعضهم من غير الفقه حظاً فغالباً يكون ذلك كالنادر ، وقد اشتهر بالطب منهم جماعة كمحمد بــن هاشم الطبيب الرســتاقى المشهور ، وهو صاحب لأمية الطب ، وإن كان لبعضهم فى الطب أياد إلا أنها بالمعنى المعروف عند العرب ، ولهم فى الطب النبوى نصيب ، لأنه شرعى فهو فى علوم الشريعة الرعيل الأول ، ومن يعدهم غيرهم من علماء الأمة ، فهم رواة الحديث ولهم فيه السبق على غيرهم فإن الامام الربيع بن حبيب أول من ألف فيه المسند الشهير بالجامع ، إذ جمع فيه أمهات الأحكام من جوامع كلمه عليه الصــلاة والسلام ، وعليــه بنى المسلمون قواعد مذهبهم الصحيح ، ولم يذكره المؤرخون لعدم اطلاعهم عليه ، فإنه لم ينشر وبالأخص لم يطبع ، فانظر ما يقوله العلامة التنوخى فيه ، ولهم فى علوم الأدب المقام الأكبر بالخليل ابن أحمد الفراهيدى ، وابن دريد وأضرابهم ، وفى التاريخ كذلك إلا أن غيرهم فيه لهم أكبر اعتناء وأعظم عمل كابن الأثير وابن خلدون والطبرى وغيرهم .

وإذا أردنا أن نذكر علماء عمان فى كل قرن أعنى مشاهيرهم الأجلاء فالإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد ، والربيع بن حبيب ، وأبو عبيدة ومن

معهم ، فهم علماء القرن الأول للهجرة • ولا يرد علينا أن هؤلاء بصريون بل يقول هم عمانيون بغير شك ، وإن أقاموا بالبصرة فقد صارت البصرة عمانية بكل معنى الكلمة ، إذ كان علماؤها هؤلاء ، وهم عمانيون ، وأميرها المهلب بن أبى صفرة وهو عمانى بغير شك ، فهى عمانية به وبقومه الأزد من أهل عمان •

أما علماء القرن الثانى فهؤلاء وآخرون جاءوا من بعدهم ، فإن الامام الجلندى بن مسعود رحمه الله فى أول القرن الثانى كما سوف تراه فى محله إن شاء الله ، قال الامام رحمه الله وهو يذكر الامام الجلندى قال قال : أبو الحسن البسيانى ، وكان فى أيامه ، أى الامام الجلندى حاجب ، والربيع ابن حبيب بالعراق ، وعبد الله بن القاسم ، وهلال بن عطية الخراسانى وخلف بن زياد البحرانى ، وشبيب بن عطية العمانى ، وموسى بن أبى جابر الأزكانى ،وبشير بن المنذر النزوانى ، ومنير بن النير الجعلانى ، وهو من بنى حضرمى بن ريام قتل رحمه الله فى وقعة دما من الباطنة أيام ابن بور ، قال : وكان هؤلاء بعضهم أكبر من بعض ، واقتدى بعضهم ببعض ، ومنهم الحسن بن عقبة ، والوليد بن خالد ، وموسى بن سعيد ، وجعفر بن بشير ، ومعين بن عمر ، ولوط بن سام ، وحميم بن المغير ، والهمام بن المغلس ، والنير بن عبد الملك ، وعبد الله بن أبى ، وعمام بن همام ، ومحمد بن عبد الله بن سوم ، وعمر بن يحيى ، وحميد ابن عبد الله ، ويحيى بن يزيد ، وعمر بن عبد الله ، ثم وصفهم بأوصاف عظيمة عند المسلمين ستأتى إن شاء الله فى إمامة الإمام الجلندى بن مسعود رحمهم الله ورضى عنهم •

قال : ومنهم أبو صالح الوضاح بن عقبة ، ويحيى بن نجيح ،

وكلهم عيالم فقه وأئمة هدى ، بل كاد أن يكون.أيام الامام الجلندى كل أهل عمان علماء ، أو قل على الأقل أهل ذلك القرن .

ومن علماء القرن الثانى أيضا : شبيب بن عطية العمانى الـذى قام بالأمر احتسابا ، وكان من مشاهير أصحاب الامام الجلندى رحمهم الله ، وعبد الوهاب بن جيفر ، ومحمد بن عبد الله بن حساس ، وأبو جعفر سعيد بن محمد ، وسعيد بن محرز ، ومحمد بن محبوب الرحيلى القرشى ، ومحمد ابن هاشم ، وسبق ذكر أبيه هاشم بن غيلان ، والأشعث بن محمد ، ومحمد بن المعلى الكندى ، ومحمد بن عبد الله زميل الشيخ موسى بن على ، وعبد الله بن محمد بن روح ، ووائل بن أيوب ، والصلت بن خميس المعروف بأبى المؤثر البهلوى وهو خروصى النسب ، وعلى بن عزرة ، وسليمان بن عثمان ، ومسعدة بن تميم اللذان عقدا على الامام غسان بن عبد الله ، لأنه لما مات الامام الوارث رحمه الله قال سليمان بن عثمان : نريد أن نكتب لأهل السر بالحضور ، أى للعقد على الامام الثانى الذى يلى الوارث فقال مسعدة : يريد ابن عثمان أن نؤخر هذا الأمر الى أن يجتمع إلينا الناس ، أو قال غوغاء الناس فيختلفوا علينا ، بل نقطع الأمر قبل الاختلاف ، فإذا جاء الناس وجدوا الأمر مقضيا ، والأمور منتهية ، والأحوال قادرة على قرارها ، ومنهم هارون بن اليمانى الشعبى الشهير فى أيام الإمام بالمهنا .

وأما علماء القرن الثالث فهم : هؤلاء المذكورون ومن التحق بهم ، وهم زيادة بن الوضاح ، ومبارك بن جعفر والحكم بن بشير ، والأزهر بن على ، وعلى بن عزرة ، وجعفر بن زيادة ، وعبد الله بن أبى قيس ، وعبد الله بن نافع ، ورايس بن يزيد ، وأبو مالك بن هزبر ، والأشعث

ابن محمد ، والأزهر بن عبد الملك ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن ، وعمر بن الأخنس الذى صلى بالناس الجمعة .

مرض الامام الملك بن حميد اعتباراً لبقاء الامام ، إذ كانوا مجتمعين ، إذا مات الامام أقاموا عنه آخر مقامه ، فلم ير موسى بن على رحمه الله النقض عليهم ، وكان العلماء يومئذ يعتبرونه الرئيس لهم ، وهو قدوتهم ، ورآه ابن محبوب وهو الرئيس الثانى لأهل العلم ، وكان رأيه فى القضية لأن كل واحد منهما يحمل على وجه من أقوال أهل العلم ، وبسط ذلك فى الفقه ، ومن العلماء يومئذ صقر زائدة ، ومن العلماء العباس ابن زائدة ، وزياد بن مثوبة ، والمنذر بن بشير ، ورباط بن المنذر ، ومحمد ابن أبى حذيفة ، وهاشم بن الجهم ، وعبيد الله بن الحكيم ، وهؤلاء من جملة العاقدين الإمامة للإمام الصلت بن مالك رحمهم الله ، ورئيسهم محمد ابن محبوب ، والشيخ أبو عبد الله بن محمد إبراهيم بن سليمان ، وعمر بن محمد الضبى ، وموسى بن محمد بن على ، وعزان بن الهزير ، وزاهر بن محمد بن سليمان ، وغزان بن تميم ، وشاذان بن الصلت ، ومحمد بن عمر بن الأخنس ، وغدانة بن محمد ، وهؤلاء هم الذين بقوا متمسكين بإقامة الصلت بن مالك رحمه الله .

وبالجملة إذا ذهبنا إلى ذكر علماء عمان فى كل قرن يضيق بنا الوقت ، فهؤلاء العلماء المعدودون ، وأولهم زياد بن الوضاح ، ومبارك بن جعفر ، والحكم بن بشير ، إلى غدانة بن محمد ، هم إلى عهد الامام الصلت بن مالك ، والامام الصلت المذكور كان بويع بالإمامة لستة عشر خلت من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فهو فى صدر القرن الثالث ، وكان العلماء المشاهير الذين لهم فى الأمة الحل والعقد لا يحصون

عدداً ، ثم طال عهد الصلت بن مالك ، إذ عاش فى الامامة إلى عهد سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، فكانت امامته خمساً وثلاثين سنة ، نشط فيها العلم وقوى سوقه ، وطالت أغصانه ، وأثمرت أيام الصلت بن مالك الثمر الحلو فى عمان ، وانتشر العلماء فى عمان ففى كلّ بلد تجد أجلة العلماء ، وغصت العواصم العمانية بهم ، وكان سلطان الإمامة بالغاً حده ، وعمان فى ذرة الشرف وأهلها يتسابقون على العلم ، فحتى حماميرها وحطاطيبها علماء ، إذ توالت أيام الإمام وازدهر عهدها ، وقامت لهم فى أرجاء عمان كبكبة مشرقة ، (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

فلما طال العهد بالأمة ، وكانت من سنة الله تأديب عباده إذا أبطرتهم النعم ، فقاموا على الصلت بن مالك يحاولون خروجه من الأمر بغير قصور ولا تقصير ، والأمور فى أيديهم ، والصلت كواحد منهم غير مختص بشىء دونهم إلا ما كان من خصائص الإمامة ، تجاسروا عليه حتى صارت أيامهم حديث سمر الناس ، وحيرة أهل الفضل ، ولم يزالوا على ذلك حتى تخلى الصلت رحمه الله من الأمر تسكيناً لسورة الثائرين ، وإلقاء للأمر فى نحورهم فعظمت محنتهم ، وجلت رزيتهم ، وأصبحوا فى أزمة ضخمة ، واضطراب فى القصد ، ولم يكن حلهم شافياً ، ولا عقدهم وافياً ، حتى عرفوا بليّة ما وقعوا فيه ، رزية الدين تحيط بهم ، فكان فيهم البصير مغلوباً ، وسنذكر ذلك إن شاء الله فى محله .

ولقد اعتذرنا لك أيها القارىء الكريم بعذرنا عن ذكر عمان فى كل قرن ، وعسى أن يمن الله علينا بالسعة فنذكرهم فى سفر خاص بهم ، تخليداً لتذكارهم ، وإعتباراً بآثارهم ، ودعاية إلى أعمالهم ، والعلماء زينة الدهر ، وجمال الأيام ، ومجد عمان على الأقل ولنا فيهم :

قد زانت الأيام بالعلماوهم   أقمار ظلمتها وشمس نهارها
وهم بهم ينجاب غيم الغنى عن   أفكارنا بالنور من أسرارها

نسأل الله الاقتداء بطريقتهم ، والتوفيق لسلوك سبيلهم ، والله ولى التوفيق والتسديد .

ولا يخفى عليك أنا كنا معنيين هنا بسلسلة مذهب أهل عمان ، وعمن أخذوا بينهم ، وقد ذكرنا ذلك محققاً المصدر الأول ، وهو المصدر الصحيح الذى يرده الكل من رجال الاسلام وبيّنا سبق أهل عمان إلى خصال الخير قبل الغير ، وذكرنا أول ناقل للدين إلى عمان ، وأول معلم لأهل عمان ، حتى مشى أهل عمان على المنهج الصحيح من أول أمرهم ، وقد عملوا بما أوجب الله عليهم من إقامة الحق على سبيل الصدّيق والفاروق ، وما زالوا على ذلك الحال إلا فى أيام الانقلابات التى تنزل عليهم من أمراء الجور وملوك الظلم ، إلا أنهم لا يرضخون لهم رضوخ الجاثم ، أو يسكنون معهم سكون النائم ، وإنما هم على حكم التقية حتى تلوح لهم الفرصة المواتية ، فإذا رأوها هبوا لأخذها وعملوا اللازم فيها ، ولم يضيعوها كما سوف يرى القارىء إن شاء الله لهذا التاريخ ذلك ، ويرى أعمالهم فيه صحيحة المأخذ والحمد لله .

أما من عدا أهل عمان فمنذ تولى الأمر معاوية بن أبى سفيان ، هم عبيد الملوك ، جاروا أم عدلوا ، ومتى يعدلون وهم عبيد الشهوات ، وأسارى الأهواء ، ومماليك الرغبات النفسية ، وبذلك يضمحل الدين ويتمزق شمل الاسلام ، وتنشأ الناشئة لا ترى إلا سلطاناً تقول له لبيك وسعديك والخير كله فى يديك ، نعوذ بالله من ذلك ، ونسأله العون والهداية للطريق المستقيم ، إنه كريم .

هذا هو الفارق بين أهل عمان وغيرهم من أمم الاسلام ، نعم يشارك أهل عمان فى هذا الحال إخوانهم أهل المغرب الذين أقاموا منار الدين بأئمة عدول ، وأبطال فحول ، فى الصدر الأول ، حتى ذهب ذلك منهم ، وكذلك أباضية اليمن وحضرموت ، أخذوا على ذلك الحال عهداً ؛ وبقيت دروسه يتناقلها الخلف عن السلف ، وهكذا ، وإحياء سير الرسول عليه الصلاة والسلام على الأسلوب الصحيح ، وقانونها الرجيح ، أمر مفروض على الأمة عند الاستطاعة ، وتوفر الأسباب ، ومازال أهل عمان فى ذلك على وتيرة الصحابة رضوان الله عليهم :

تعاقبت خلفــاء الله منصبها منذ الجلندى وختم الكل عزان

فأول إمام بعمان هو الجلندى بن مسعود الجلندانى ، وآخرهم عزان بن قيس البوسعيدى ، ثم تلاها فى هذه الآونة التى نحن بها الإمام سالم بن راشد ، ومحمد بــن عبد الله ، ويعرف الأول بالخروصى ، والثــانى بالخليلى ، وكلاهما خروصى •

وسترى أيها القارىء فى عمان قيام علمائها على أئمة الجور من أهل عمان وغيرهم ، وترى الأئمة الأتقياء الأبرار الذين لهم فى عمان الحل والعقد على نهج عمر بن الخطاب وأبى بكر رضى الله عنهم ، حتى تعلم أن الإباضية هم عمدة الدين ، وبهم يعيش ما عاش ، وهم الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة ، لثباتهم على ما كان عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمر الخلفاء الراشدين ، أما من عدا الإباضية وبالأخص منهم الذين لا يجيزون الخروج على أئمة الجور ، الذين يتولون الأمور ويمشون فيها بحسب هواهم ، فليسوا من الدين فى شىء ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الناس على دين ملوكهم ،

وأنت تدرى أن بعض الملوك غالباً على دين نزواتهم فاذاً يكون الناس على دين النزوات نعوز بالله • أما الإباضية فيعتمون طبعـاً ويهتمون شرعا إذا صار الأمر بيد ملوك هذا شأنهم ، أما أولئك فينامون تحت ظل الملوك نوم الوادع المطمئن ولا يبالون ، وأما الإباضية فيتململون مع تململ السليم ، ويتأوهون على ذلك تأوه المصدور حتى يروا استقامة الأمير واطمئنان المأمور ، فانظر الفرق بين الحالين واحكم بالحق ، وربنا المستعان على ما تصفون •

كلمة إجمالية على امراء بنى أمية

لا يخفى المطلع الخبير أن الحجاج بن يوسف ، تولى عمان فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وأن عبد الملك تولى الأمر لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٦٥ للهجرة ، وبقيت عمان تحت أمر الحجاج يديرها عماله وتصرفها أعماله ، وأهل عمان تحت قهره ثم توفى عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ فى شهر شوال ، وقام بالأمر بعده ولده الوليد بن عبد الملك فى هذه الأثناء ، كان ابن الزبير فى مكة بويع له بالخلافة فيها قبل عبد الملك بن مروان بسنتين ، فتكون بيعته سنة ٦٤ فى شهر رجب ، وذلك فى آخر أيام يزيد بن معاوية ، ومضى الوليد فى خلافته إلى سنة ٩٦ فى النصف من شهر جمادى الآخرة ، وأمر عمان فى يد عمال الحجاج الذين يتخالفون عليها ، ثم تولى سليمان بن عبد الملك بعد موت أخيه ومضى الى سنة ٩٨ ، وقيل الى سنة ٩٩ وتولى بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو سيد بنى أمية كلهم رحمه الله ، كان إماماً صادق الامامة ، تقياً رضياً قام على سوآت بنى أمية يمحقها الواحدة بعد الأخرى ، وأعاد السيرة العمرية فى طريقها الصحيح ، ومشى على ذلك الى أن توفى رحمه الله بخمس بقين ، بل لخمس مضين ، وقيل لست مضين من رجب الفرد ، وقيل لعشر يقين منه سنة ١٠١ إحدى ومائة ، وهو فى أول شبابه ابن تسع وثلاثين ، وقيل أربعين سنة ، وهو الذى استعمل على العراق عدى بن أرطاة الفزارى ، واستعمل عدى المذكور على عمان عمالا أساءوا السيرة فى أهلها ، فقام العمانيون وبلغوا الأمر الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأمر بعزلهم واستعمل بدلهم على عمان بن عبد الله الأنصارى ، فأحسن السيرة فى أهل عمان ، قال الامام : فلم يزل

والياً على عمان مكرماً بـين أهلها ، نافذ الأمر فيهم ، وهم سـامعون مطيعون ، ولم لا يكون أهل عمان سامعين مطيعين ، وخليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز ، وهو العبد الصالح من بنى أمية .

وأهل عمان لا زالوا خاضعين لأهل الصلاح منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فعاش فيهم عمرو بن العاص ، ولم ير منهم إلا ما سره وهكذا من بعده إلا أنهم ينفرون من الجورة ولا يرون لهم طاعة تبعاً للقرآن الكريم ، كما جاء فيـه النص فى اجتنـاب الظالمين وأعوانهم ، والتباعد منهم ، قال الامام ، ومازال عمر بـن عبد الله الأنصارى فى عمان يستوفى الصدقات منهم بطيبة أنفسهم حتى مات عمر بن عبد العزيز ، فقال عمر بن عبد الله لزياد بن المهلب : هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها ، وخرج عمر بن عبد الله من عمان غير معزول ولا مرغوب فى خروجه لحسن سيرته ، وقام زياد بـن المهلب فى عمان حتى ظهر أبو العبـاس السفاح ، وصـار ملك بنى أميـة إليه لا يخفى أنه بعد موت عمـر بن عبد العزيز ، تولى الأمر يزيد بن عبد الملك ، وهو الذى أراد أن يسير فى الناس سيرة عمر بن عبد العزيز ، وقد أعلن للأمة بذلك ، فقام له من دمشق أربعون رجلا من أعيانهم ، وقالوا له لا تفعل هكذا وامض عـلى وجهك ، فإن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عقاب فى الآخرة ، حيث هم قائمون بأمر الأمة مجاهدون ومجتهدون ، وحلف له أربعون رجلا على ذلك فخدعوه بذلك لأغراضهم الشخصية ، وهذه أعمال القوم مع ملوكهم ، وتلك أعمال الإباضية مع سلاطينهم ، فانظروا أيها الناس كيف يلعب الشيطان بأهل الأهواء حتى يرمى بهم فى البحر العميق الذى لا يخرجون منه ، فسرعان ما تبدل الحال فى المسلمين بموت عمر بن عبد العزيز ، إلى يزيد المذكور ، ولم يبق الحـال إلا أربعين يومـاً إلى أن رجعت الأمور

القهقرى ، وانهمك فى حبابة وأمثالها ، وغدا مغرماً باللهو واللعب والسفه المفرط ، وهذا هو الذى أشار اليه أبو حمزة المختار بن عوف حين خطب فى الناس خطبته المشهورة ، وصرح بأفعال المشار إليه ولهوه وطربه ، ولعبه بالأمور فتلك أحوال الإباضية عند هؤلاء الملوك الجورة الفسقة : فأين الثريا وأين الثرى ، إنه لبون بعيد وفرق كبير حفظه لنـــا التاريخ لمن يأتى فيعتبر .

ولمــا مات يزيد المذكور وولى بعده هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ مائة وخمس لخمس بقين من شعبان ، ومشى هشام فى المسلمين عــلى نهج من قبله من إخوانه حتى توفى فى شهر ربيع الآخر بالرصافة سنة ١٢٥ خمس وعشرين ومائة ، ثم تولى الأمر بعده الوليد بن يزيد ابن عبد الملك ، وكان معروفاً بالفسق إذ كان فاسقا خليعا بالغاً فى الفسق الغاية القصوى ، إذ كان يجعل للخمر حياضاً وللخلاعة غياضاً ، وللسفه موارد ومصادر وهو الذى قتله أهل دمشق ، إذ كان مستهتراً إلى حد بعيـــد ، وقـــد جمع مع الفسق الزندقة وتظاهر بالكفر الصريح ، وهو الذى لمــا تمكن السكر منه حلف ألا يصلى بالناس إلا امراته ، فأخرجها لابسة ثيابه ، وهى سكرى جنب فصلت بهم ، وكان بنى للخمر بركـــة عظيمة ، ومشى على هـــذا الحال وهو أمير المؤمنين ، فمن ياترى هؤلاء المؤمنين وهذا أميرهم ، فماذا يكون حالهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

كان إذا أجنب هذا الخبيث ينزل إلى بركة الخمر يغتسل من الجنابة ويشرب ويلعب فيهـــا حتى يرى أن جانباً منها نزل ، وحينئذ يخرج من المغتسل ثم أرسل الله عليه ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك المعروف بالناقص ، فأحاط به فى تدمر فكان فيها دماره حتى قبضوا عليه وذبحو

كما يذبح الثور ، واجتزوا رأسه وأتوا به على رمح ، ثم نصبوه فى مدينة دمشق ليراه الناس ، ثم بايعوا يزيد المذكور وهو ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ١٢٦ ست وعشرين ومائة ، وعرف بالناقص لأنه نقص الأعطيات ، وردها على ما كانت عليه أيام هشام ، وقيل لنقصـان فى أصابع رجله ، وكان يتنسك ويميل إلى الدين والأخلاق الصالحة ، ولكنه لم تطل أيامه ، إذ كان الداعى حثيثاً فمات فى ثمانية من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وتولى الأمر بعده إبراهيم بن الوليد أخو يزيد ، وكان الأمر مضطرباً والأمور فى تقهقهر وانحطاط ، وانهيار صروح الإمارة الأموية من كل جانب ، فكان فى جمعـة يسلم عليه بالخلافة ، وفى جمعة بالإمارة ، وفى جمعة لا يسلم عليه بشىء ، وهكذا كانت أموره متناثرة على وشك الاضمحلال ، ولله أمر هو بالغه ، وحـكم هو نافذه .

فكانت خلافته شهرين وعشرة أيام ، ثم قام عليه مروان بن محمد المنبوذ بالحمار ، أى كان يلقب بالحمار ، وهذا آخر خلفاء بنى أمية ، فأقام الله له أبا العباس السفاح عبد الله بن محمد على بن عبـد الله بن العباس الهاشمى ، وظهر أبو مسلم الخراسانى ، وقام الشر العباسى ليأخذ الثأر من العنصر الأموى للذى طالما لعب دوره الخاسر ، ومشى شوطه الفاجر ، ولا شك أن لكل شىء غاية إليها الانتهاء ، فكان انتهاء أمر بنى أمية بهذا ، وكل هذا الحال الذى ذكرناه ، وعمان فى يد أهلها من آل المهلب ، وإدارة شئونها إلى رجال الأزد دون غيرهم ، إذ هم سادتها وبيدهم زمامها ، وقد أشغل الله عنها هؤلاء الأمراء الأمويين ، فلم يكن لهم فيها حل ولا عقد ، بعد عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

قال كمال الدين الدميرى : ظهر أبو مسلم الخراسانى وظهر أبو العباس السفاح بالكوفة ، وبويع له بالخلافة وجهز عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس لقتال مروان بن محمد المذكور المعروف بالجعدى ، والمنبوذ بالحمار ، فالتقى الجمعان بزاب الموصل واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم مروان ، وقتل من عسكره خلق كثير ، وغرق منهم فى البحر كثيرون ، قال : وتبعه عبد الله الى أن وصل الى نهر الأردن ، فلقى جماعة من بنى أمية وكانوا نيفاً وثمانين رجلا ، فقتلهم عن آخرهم ، ثم أمر عبد الله بسحبهم على الأرض فسحبوا وبسط عليهم بساطا ، وجلس هو وأصحابه فوقهم ، ودعا بالطعام فأكلوا وهم يسمعون أنينهم من تحتهم ، فقال عبد الله يوم كيوم الحسين ولا سوى ، ثم جهز عمه صالح بن على طريق السماوة فلحق بأخيه عبد الله ، وقد نزل دمشق ففتحها عنوة وأباحها ثلاثة أيام ، قال ونقض عبد الله سورها حجراً حجراً ، وهرب مروان الى مصر فتبعه صالح ، وإذا بالمنهزم لا يتحدث إلا بالهزيمة والناس تتخاذل عنه وأموره تهوى ، وصروح بنى أمية تنهار وبرك الخمر قد آن جفافها ، وكان هـذا الحال ينتظر من آل على بن أبى طالب وهم الذين وترهم بنو أمية ، فلم يكن ذلك منهم لحكمة بديعة ، بل كان من آل الحبر ، وكان قتل مروان فى أبو صير ، وهى من قرى الصعيد ، قال : وكان قصده الحبشة فبيتوه وعاجلوه ، فقيل لما ضرب قال انقرضت دولتنا ، أى لا تقوم منا قائمة . وكان بطلا شديدا شجاعا مقداما ، وكان قتله سنة ١٣٣ ، وكانت خلافته خمس سنين وشهرين وعشرة أيام ، وبدأت الدولة الجديدة تضع أطنابها وتمد رواقها حتى تأخذ عهدها .

(وتلك الأيام نداولها بين الناس) وفى التاريخ المعتبر للعاقل والله المستعان .

عمان تتحضر لتستقل عن الزعامة العامة

لما رأى العمانيون تدهور صرح الأمويين ، ورأوا أن الله أذن بزوال ملكهم وانحلال سلطانهم الغاشم ، قاموا يديرون الرأى بينهم فى الانفصال عن القوم ، فرأوا أن نطاق الاسلام قد توسع ، وأن رواقه قد أمتد ، وأن سلطانه قد قوى ودخل فى حضيرته ملوك ، واصطلم ممالك واحتوى على أقليم وقهر على أمراء ممالك عديدة ، ورأوا أن سلطان المسلمين العام ظالما وقد نأى عن سائر بلاد الاسلام ، واستقل الأمراء فى إماراتهم كحكام وملوك فى الأقطار النائية ، حيث أصبح الاسلام يشمل أهل المشرق والمغرب ، وتفرقت فيه المذاهب وتعدد إليها الذاهب ، رأى العمانيون ضرورة إقامة إمام لهم ، ونظروا فيمن هو الأصلح لهذا الأمر الجسيم والعبء الثقيل الذى لا يقدر على حمله إلا أفراد ، حتى وقعت خيرتهم على الجلندى بن مسعود ابن جلندى الجلندانى ؛ حيث اجتمعت فيه الخصال المطلوبة إذ كان من بقية ملوك عمان ، وإليهم كتب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى إسلام أهل عمان ، كما عرفت ذلك مما سبق من أخبارهم ، وقد جمع الجلندى شرف العلم والتقوى وخالص الايمان ، وقل أن تجتمع هذه الخصال مع الشجاعة والصلابة فى الدين ، وكان الجلندى بن مسعود من تلامذة أبى عبيدة رضى الله عنه ، وحضر بيعه الامام طالب الحق فى اليمن ، ثم رجع الى عمان فوقعت خيرة المسلمين عليه ، فبايعه أهل عمان بيعة ورضوا به إماماً للكل ، ولم يعترض على البيعة له معترض فيما علمنا ، وأهل عمان كإخوانهم من أهل البلاد الأخرى لا يرضون لدينهم إلا الصالح ، إذ كانوا على منهج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعلى منهج عبد الله بن وهب الراسبى إمام

أهل النهروان ، وأصحابه الميامين الأصفياء المخلصين الذين لا يرون لهم حياة صالحة إلا تحت راية الحق ، والحق أحق أن يتبع ، وما بعد الحق إلا الضلال ، وقد علمت أن الله جعل الحق فى الأمة حجة عليها ، فإن قاموا بواجب الحق نجوا عند الإله الواحد الأحد ، وإلا فقد تمت الحجة عليهم والله لا يضيع الحق بالباطل حاشاه .

تاريخ البيعة للإمام الجلندى بن مسعود رحمه الله

لما تحقق للعمانيين صحة صلاحية الجلندى للإمامة العليا ، اجتمعوا عليه وطالبوه أن يكون إماما قائما بأمورهم الدنيوية والدينية ، وكان أهل المذهب كلهم متحركين لنصب الإمامة ، وقد تحقق قام طالب الحق عبد الله ابن يحيى إماماً لإباضية اليمن ، وفى نفس الوقت بايع إباضية المغرب أبا الخطاب المعافرى كما علمت ، وكانت البيعة للجلندى رحمه الله فى سنة ١٣٢ اثنين وثلاثين ومائة ، وكان السفاح تولى الأمر بعد هذه المدة بسنة واحدة وبعض المؤرخين يرى إمامة الامام الجلندى كذلك وقعت سنة ١٣٣ ثلاث وثلاثين ومائة ، فتكون فى نفس السنة المذكورة ، والشهير هو الأول وهى سنة الامامة ، إذ كانت للإباضية قام ثلاثة أئمة فى ثلاثة أقطار العالم يقومون بأوامر الاسلام ، ويقيمون قواعده ويعملون بما فيه من الأحكام ، ويمشون على ضوئه فى الحلال والحرام ، فكانت لهم رنة فى العالم الاسلامى شرقاً ومغرباً ، واهتز العالم لهم هيبة ، وارتجت لعملهم هذا قلوب أعدائهم ، ونشطت النفوس المحبة لدين الله ، وأكبر الناس عملهم هذا أيما إكبار ، فخافهم الملوك المجاورون وحسدهم الأمم ، فلم تزل تنظر اليهم شزراً وتحاول هدم كيانهم هذا ، وردهم عن التطاول فى العالم ، فتكون لهم سطوة عالية وسمعة دينية ، ويعلو شأنهم بين الأمم ، وكان اجتمع على إمامة الامام الجلندى رحمه الله علماء أجلاء وفطاحل أشداء ، إذ كان أمرهم هـذا فى ابتداء الامامة بعمان ، والأمور غير المألوفة تكون خيرة السامع ودهشة الرائى ، والاقدام عليها كبير لا سيما وأن الافتراق المذهبى قد بلغ شأوه .

قال الامام أبو الحسن البسيانى : وقد أجمعوا على إمامة الامام الجلندى بن مسعود وولايته والمجاهدة معه ، قال : وكان فى أيامه أى من علمـاء المسلمين : حاجب والربيع بن حبيب بالعراق ، أى بالبصرة وعبد الله بن القاسم ، وهلال بـن عطية العمانى ، وخلف بـن زياد البحرانى ، وشبيب بن عطية العمانى ، وموسى بن أبى جابر الازكانى ، وبشير بن المنذر النزوانى ، ومنير بن النير الجعلانى .

قال : وكان لهؤلاء بعضهم أكبر من بعض ، واقتدى بعضهم ببعض ، قال الامام فى تحفة الأعيان : الامام الجلندى بن مسعود بن الجلندى رضى الله عنه ، وهو أحد بنى الجلندى بن المستكبر بن مسعود بن الحران بن عبد عز بن معولة بن شمس ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم ، وغلط من نسبه لغير ذلك ، قلت : لعل بعضا رآه من آل الجلندى بن كركر ، وهذا من بنى سليمة بن مالك على الصحيح ، قال ولقد تقدم أن سبب امامته أن أبا العباس السفاح ولى أخاه أبا جعفر المنصور على العراق ، وولى المنصور على عمان جناح بن عبادة بن قيس الهنائى ، ثم عزله وولى ولده محمد بن جناح ، فلان للمسلمين ووافقهم على ما يحبون حتى صارت ولاية عمان لهم ، فعند ذلك عقدوا الامامة للجلندى بن مسعود ، فكانت سببا لظهور الاسلام وقوة شوكته ، وكان عادلا مرضيا قلت : سيأتى أن أهل عمان ما كانوا يفضلون عليه أحداً من أئمة عمان مع فضلهم الذى اشتهروا به إلا أن يكون سعيد بن عبد الله بن محمد محبـوب ، فبعضهم يفضل الأول وبعضهم الثانى ، وبعضهم ساوى بينهما ، وفضل الامام السالمى الجلندى على الكل ، إذ قال : قلت ولا أعدل بالجلندى اماما بعمان ، فإنه قد جمع الصفات الثلاث : العلم والعدل والشهادة ، مع ما جمع الله له من الصفات التى لا تكاد توجد فى غيره أ هـ .

وهذا الكلام جاء فى امامة سعيد بن عبد الله الرحيلى ، على أثر كلام نقله عن أبى محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر رحمهم الله ، حيث قال : لا نعلم فى أئمة المسلمين كلهم بعمان أفضل من سعيد بن عبد الله ، إلا أن يكون الجلندى بن مسعود ، قال أبو إبراهيم محمد بن سعيد بن أبى بكر ، إن الامام سعيد بن عبد الله أفضل من الامام الجلندى بن مسعود ، قال أبو سعيد : وما أحقه بذلك ، فإنه كان اماما عادلا صحيح الإمامة من أهل الاستقامة عالما فى زمانه ، لعله يفوق فى أهل زمانه أو كثيراً منهم ، ومع ذلك قتل شهيداً رحمه الله وغفر له . أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر : إلا أنه وقف فى تفضيله على الجلندى .

هذه أقوال هؤلاء القادة الأجلاء والسادة الأعزاء وتفضيل الامام . السالمى رحمه الله أوجه ، فإن الجلندى جمع الصفات التى اجتمعت فى الامام سعيد بن عبد الله الرحيلى ، وهى العلم والعدل والشهادة ، وفاق الجلندى رحمه على غيره بالسبق ، وللسابق فضله كما أشار إلى ذلك القرآن ، ولأن الجلندى تسلسل من ملوك أجلاء ولم تأخذ به سورة الملك عن خطة إخوانه ، ولم يعتز بغير الحق ، ولم ير إعطاء الدنية فى دينه مع إمكانه ، إذ خوطب أن يعلن الانقياد لسلطان العراق ولو بلسانه فقط ، فلم ير ذلك ، وضحى بنفسه فى سبيل إرضاء ربه عز وجل ، وإكراماً لدينه ومذهبه لا يرى الخصم منه هوادة فى شىء ما رحمه الله ورضى عنه ، وعن أهل الوفاء لدين الله ، وفيه جاء عند ذكر آل الجلندى :

كالجلندى ومن كمثل الجلندى   فى عمان تجلسه الفضلاء

فتلك السنتان اللتان عاشهما الجلندى كانتا الأساس الذى مشى عليه أهل عمان فى تقرير مصير حياتهم الدينية ، أما الدنيا فشمتها عند أهل عمان الفضل غير كبير ، لأنها الظل الزائل والخيال ، وكل منقض فغير مهم عند أهل الحق إذ خلق الخلق لغيرها ٠

التاريخ يحدث عن الإمام الجلندى وأصحابه رحمهم الله وعن أعمالهم بعمان

قال الشيخ العلامة الجليل أبو الحسن البسيانى : فسار الجلندى بن مسعود رحمه الله فى عمان ، فأظهر الحق وعمل به ، وأخذ الدولة من يد الجبابرة ، وبرىء من الجبابرة وأشياعهم ، ودان بقتال أهل البغى ، ولم يستحل مع ذلك غنيمة ولا سبى ذرية ، ولا استعراضاً بالقتـــل من غير دعوة ، قال : وقد قال الامام منير بن النير الجعلانى : لم يأخذوا أى الإمام وأعوانه الصدقة بغير حقها ، ولم يضعوها فى غير أهلها ، والمعنى كل أعمالهم فى الأخذ والرد على الجهة المشروعة ، قال : ولم يستحلوها أى الصدقة من الناس على غير الوجه المشروع ، وهو الإثخان فى الأرض والحماية والكفاية والمكافحة عن حريم المسلمين ، بل أخذوها بحقها بعد إحكام الأمور التى تعينهم فى دين الله ، وحفظ الرعية ، ثم وضعوها فى مواضعها وقسموها على أهلها بحكم القرآن فريضة مـــن الله ، والله عزيز حكيم .

قال : ثم بلغنا عنهم فيما استقام عليه رأيهم أن يرفضـــوا صدقة البحر إلا ما طابت به أنفس الناس أن يبذلوه لهم ، وذلك لمـــا يتخوفون من الدخل عليهم فى سبيل الله ، إذ لم يحموه أى ولا جباية بغير حماية ، وحماية البحر لم تتس لهم بعد ، قلت : لأن العهد لم يطل بالإمامة ، فلعل هذا الحال فى أول سنة أو فى ثانى سنة ، لأن إمامة الإمام الجلندى لم تستكمل للســـنة الثالثة على الشهير ، وكانوا يأملون حمـــاية المملكة العمانية كما يلزم ، قال : ولا يولون أمرهم ولا يبعثون فى حوائجهم ،

ولا يستعملون على صدقائهم وأهل رعيتهم ، ولا يستقضون على أهــل ولايتهم إلا أهل الثقة وأهل العلم والفهم والورع والتخرج المعروفون بالفضل الموصوفون بالخير من أهل البيوتات من قومهم ، غير سقاط ولا أدعياء ، ولا متهمين ولا مقترفين ، أى لا يفعلون شيئاً مما ذكر إلا بأهل العدل والضبط والنزاهة والورع الذى لا شائية فيه ، والمراد وصفهم بالنعوت الكاملة والأوصاف الفاضلة ، وهم كذلك فوق ما قال ، وكيف لا وهم كرسى الإمامة العمانية التى فى السائلة والمسئولة فى الأمة ، وعلى منهاجها سيكون سير ركب الإمامة رحمهم الله ورضى عنهم .

قال : لا يتعلق بهم التسباب ، ولا يلجأ إليهم العاب ، ولا يلم بهم القبيح ، ولا يتهمون فى دينهم ، مرضيون فى إخوانهم ، متبع رأيهم ، معروف فضلهم ، معروفون به ، قد أحكمت آراؤهم فى قوة الحق ، وإحكام آرائهم فى أمور الدين ليست الدنيا من ذكرهم ، ولا جمع المال من شأنهم ، ولا الشهوات من حاجاتهم ، أى المشتهيات الدنيوية ، قال وكيف لا يكون كذلك من باع نفسه لله ليجود بها على ترك الدنيا ويزهد بما فيها ، وكان المرء منهم يرزق فى الشهر سبعة دراهم ، أى من بيت المال فى غلاء من السعر فيصبر على القوت اليسير رغبة فى الآخرة والثواب من عند الله .

قال وبلغنا أنه ربما بقى مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان فيتطوع بذلك الفضل فيرده فى فىء المسلمين ، رحمهم الله ورضى عنهم وجزاهم خيراً مع ما أظهروا من السنة فى الأمر الخلقى والأخلاقى ، فشمر اللباس ولا حظوة حتى فى النساء ، فأصدروا أوامرهم فيهن بإدناء الجلابيب ، أى لأجل ستر العورات وصيانة الهيئات قال : وأمروهن برفع الخمر فوق الأذقان وستر النواصى وسائر الزينة إلا الوجــه والبنان ، أمــا

ما وراء ذلك فهو حرام على من أبداه من النساء ، أو من نظر إليه من الرجال شهوة ، أى عملا بأوامر القرآن ، فإن الله ذكر النساء وأمر فيهن كما فى الرجال ، ولم يغفلهن • كما لم يغفل أحداً من أهل التكليف ، قال : وجعل النطاق من تحت الدرع إلا فقيرة لا تقدر على درع سابغة ، فلها أن تبرز فوق درعها ، ونهى النساء عن الجلوس فى السكك ، والخروج فى يـوم المطر والريح العاصفة ، وأمر الرجال برفع ذيولهم وقصير أشعارهم ، إذا سبغت إلى العوائق ، قال : وأنكر على أهل القبلة أن يتشبهوا بزى أهل الذمة ، أى للنهى عن ذلك فى السنة ، ومن تشبه بقوم فهو منهم ، كما أنكر على أهل الذمة ان يتشبهوا بزى أهل الإسلام ، ونهى الرجال أن يبدوا ما فوق الركب ، أى لأن ذلك عورة للحديث : عورة المسلم مـع المسلم من سرة لركبة ، أو كما قال عليه الصـلاة والسلام •

قال وكانوا أهل فقه وأهل عـلم وحـلم ، وتؤدة وتراحم وتودد ، ووقار وسكينة ، ولب وعقل وبر ورحمة ، وصـدق ووفاء وتخشع وعبادة ، وورع وتحرج وصلة ونصيحة ظـاهرة مقبولة ، لا يطمعون بمطـامع السوء ، ولا يتعاطون من الناس الحقـوق ولا يدخلون فى خصـومات الناس ، ولا يجتعلون على استخراج الحقوق ، أى لا يأخذون عـلى إخراجها جعلا ، أى أجراً أو نحوه ، ولا يسترشون أى لا يأخذون الرشا على طلب الحوائج التى تعينهم من أمر الناس ، ولا يستفضلون فى الرزق على الشبعة ، أى لا يأخذون فضلا فوق ما يشبعهم ، ولا يغتاب بعضهم بعضاً ليس من شأنهم الغيبة ولا البغى ولا الحسد ولا التقاطع ولا التدابر ولا البغضة ولا شىء من أخلاق أهل الريبة يحرصون عـلى آدابهم فى الدين ، ومع أهل الدين ، ويكرهون العيوب ويهجرون أخلاق أهل الفجور

والمعاصى ، هم أنوار فى الأرض وغرباء فى الناس ، يعرفون بسيماهم أى كأنما عناهم القائل :

سيما التعفف تكسوهم جلال غنى فالقلب شبع والبطن خمصان

قال : وكيف لا يكون كذلك من باع نفسه للـه ينتظر حتفها ليلا ونهاراً وصباحاً ومساء ، ليس لـه فى شىء من الأمور ولا لأحد من الناس ، دنت رحمة أو بعدت أو عظم خطره أو صغر أو ارتفع شأنه أو تواضع إلا فيما وافق الحق مع ما لا يحصى من أخلاقهم الحسنة الجميلة ، التى زينهم الله بها فى الدنيا ، وترك عليهم الثناء الحسن الجميل فيمن خلف بأعقابهم • قال الامام : انتهى كلام منير بن الجلندى وأصحابه ، وحسبك بمن أثنى عليه منير هذا الثناء الحسن الجميل ، وأطبقت الأمة على الثناء عليهم ، وألسنة الأمة أقلام الألوهية ، والناس شهود الله فى أرضه جزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً ، قلت : لقد حفظت أن شراة الجلندى رحمهم الله كانوا يضرب بهم المثـل ، فيقال أزهـد من شراة الجلندى •

واعلم أن تلك الصفات لم تكن حتى للصحابة لولا فضيلة الصحبة ، فإنما هى من معاجز الرجال ، ولا جرم لقد جعلهم الله الأصل الذى عليه من بعدهم من الأمة ، وجعل إمامهم كذلك ، ولا ريب أن طالب الآخرة لا يرى شيئا سواها ، فإنها المقر وهذه التى نحن فيها المر ، ويافوز من جعلها ممراً ولم يجعلها مقراً •

الجلندى ينظم شراته

لا ريب أن الإمام بمنزلة مربى الأمة ، والأمير يضع مسالك الخير للمورية فى جميع أمورهم الدينية والدنيوية ، والقائد يرتب الجند ويدربهم على موارد حياتهم ومصادرها ؛ ولا يكفى جعل الأمة جاثمة على هذه البسيطة ، فإن السلطان معلم الشعب ، ولقد علم الله عز وجل الأمم فى كل وجه من وجوه أمورهم ؛ وعلمت الأنبياء أممها جميع ما يلزم فى هــذه الحياة وكذلك الملوك والأمراء والزعماء من الخلفاء ، لهم تعاليم معروفة وأنظمة مألوفة ، وكذلك كان الإمام الجلندى رحمه الله رتب الشراة مراتب إعدادية ، فجعل الشراة كتائب ، وجعل لهم مراتب ، قال الامام فجعل : على كل مائتين من الشراة الى ثلاثمائة أربعمائة قائد من أهل الفضــل والحجا والبصيرة والثقة ، والعلم والمعرفة ، والفقه والحزم والقوة • قلت : وهذا من نوع نظام عصرهم كما هو عمل ملوك بنى أمية • قال : وعلى كل عشرة من أصحابه مؤدب من أهل الفقه يعلمهم الدين ، ويؤدبهم بالمعروف ، ويسددهم عن الزيغ ، ويقيمهم على الطريقة ، ويهديهم سبيل الرشاد ، قلت : هذا واجب عقلا ونقلا ، وكما قدمنا إنه مؤدب ومرب لأمته وشعبه ، وأمور الدين مقدمة على أمور الدنيا ، ولا ريب فإن الدنيا والدين كلاهما لا بد منه ، وعلى كل حال فإن الاستقامة فى الدنيا طريق الخير إلى الآخرة ، والامام الجلندى رحمه الله إنما تقدم لطلب الآخرة ، ورفض ضدها ، ولما تحركت الطبيعة النفسية فى بعض رجال الامام ، والتفتوا الى الدنيا استنكرهم إخوانهم ، وارتابوا من قبلهم ، وكانوا سبب القيل والقال •

قال الإمام : إن رجالا منهم تاقت أنفسهم إلى النساء ، أى للعامل الطبيعى الذى تتحرك به الشهوات . قــال : فلما ذكروا ذلك استوحش منهم أئمتهم وقادتهم ، أى لأن المشغول بالآخرة دائماً يكون منكسر القلب محترق الأحشاء ، خوفاً ورهباً ، ومن كان كذلك أنى تتسنى له المظاهر الشهوانية ، فإذا تحرك لها فكأنه أعرض عما هو فيه وتشاغل به عما هو بصـدده ، قال فلم يكن من القـوم إذ ذكروا النكاح نظر اليه دون أن يعرضوا أمرهم على أهل الفضل من أهل العراق ، أى لم يكن لهم إقدام عليه ، حتى أبلغوا الأئمة فى هل هذا الحال ينبغى لهم أم لا ؟ قال : فلما وصل ذلك إليهم فزعوا منه أى رأوه تغيراً عما هم عليه من التخلى من أمر الدنيا والإقبال على الآخرة فإن المار لا يليق به فى طريقه إلا أخذ ما يبلغه المحل الذى هو سائر إليه .

قال الامـام : فزعوا منه وساءهم ذكر الشراة الذين باعوا أنفسهم للنساء ، وطلب الشهوات ، ورأوهم قـد زاغوا عن طريقهم الأولى ، وخافوا أن يكون دخل عليهم ما غير نفوسـهم وحركها الى ما يسبب ملاهيها عن الآخرة ، قال : فكتبوا اليهم أى أهـل العراق كتبوا الى قادة الشراة ما نصه : إنكم كتبتم الينا تجبرونا عن الشراة أن أنفسهم تنازعهم الى النساء ، وهـذا أمر عظيم غير أنهم إن لم يقـدروا على الصبر فليعرض الفقير منهم نفسه على النساء المسلمات الصـالحات ، فان قبلته المسلمة على عشرة دراهم ينجزها إياها ولا يبقى لها عليه دين بعد العشرة فليتزوج ، وإن صـبر عن النسـاء فهو خير له ، والمعنى أن هـذا الأمر غير شاغل للبشارى عن شرائه ، وقـد فروا من أن يكون عليهم ديون يمنعهم عن قصدهم ، وفى هـذا كسر لتلك الشهوة المتحركة فيهم ، ولا يمنع الشراة عن قصدهم ولو يرغبوهم فى النساء الجميلات

اللواتى يتكلفون لأجلهن المغارم ، فعشرة دراهم أمرها يسير ، وصاحبها فقير ، وقد دفع بها صاحبها الأمر الخطير ، وكل عسير فى الدين الاسلامى يسير ، والمنة لله الوالى الكبير .

فترى من هذا أن الامام الجلندى جعل الجيش كتائب ورايات ، بعضها مائتا رجل فتكون كتيبة ، وبعضها ثلثمائة ، وبعضها أربعمائة وهكذا ، وجعل على كل كتيبة قائدا كامل الشروط دينا وفقها وأدبا وأمانة الى آخر ما ذكر ، وهذا أمر لا بد منه فى الحياة الاسلامية الصحيحة ، كما أنه جعل لكل عشرة رجال مؤدبا دينيا وأخلاقيا تمشى الشراة على ضوء تعاليمه الصحيحة الصالحة ، فيكون الامام قد أدّى واجبه نحو هؤلاء الشراة ، كما أدى واجبه نحو أمته المسلمة وشعبه المؤمن ، ويكون بذلك عند الله من الرجال الصالحين ، وهكذا كان الامام الجلندى الذى هو أول إمام بعمان ، وأول من أقام صروح الاسلام ، فى هذا الوطن الخالد بملوكه وأئمته وشعوبه الى الآن ، وكان الجلندى الإمام دستوراً للإمامة فى عمان ، وأن أعماله هذه اتبعت من جاء بعده من الأئمة ، فلذلك فلم يفضل العلماء عليه أحداً من الأئمة إلا أن يكون سعيد بن عبد الله ، بقية الأئمة دونها والله يؤتى فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم :

كـذا كان الخليفة من قديم
مثالا للملوك الصالحينا

وأول من اتخذ الشراة الإمام الجلندى رحمه الله ، فكانوا سهاماً على العدو مسمومة ، ورماحاً مهيأة لطعن العدو عندما يتحرك بسوء على المسلمين ، وليت كل الأئمة فعلوا كذلك ، بل أراد الإمام عزان بن قيس

من أئمتنا المتأخرين رحمهم الله أن يفعل ذلك ، وكان رأياً صـائباً ، لكن كان الداعى حثيثاً ، فانه لمـا بويع لم يزل فى حرب حتى قضى الله عليه مستعجلا ، فبعد ما أقام منار الدين فى تلك البرهة العاجلة ، وأراد أن ينظم الشراة بعد انتخابهم ، فاجأته المنية فقتل شهيداً رحمه الله فى مدينة مطروح فى مدة أشبه بمدة الجلندى رحمه الله ورضى عنه ، ولكل عامل نيته والحمد لله ، فكان الإمام مهاباً لو أراد الله بقاءه فى عمان لكان لهـا أعظم شأن بين دول الاسلام ، إذ كان الشراة رجـالا متجردين لله ، يقمعون كل ثورة أو حركة فى الوطن ، وقد اعتدوا لذلك قلباً وقالباً ، وحملوا سيوفهم لنصرة الحق غير مبالين بما يلاقون ٠

الإمام الجلندى يقتل أبناء عمه فى الله

لا يخفى أن أحفاد الملوك والزعماء الذين لم ينزل منهم الإيمان منزلا صالحا يعتقدون الأحقية بالأمور دون غيرهم ، وكل واحد يرى أنه الأقدم به عن سواه ، وهذا بشىء معروف فى طبيعة العرب وغيرهم ، فاذا كان هناك وازع دينى ردهم عن التخبط ، وأرشدهم عن التهور ودلهم على الطريق الواضح طريق الخير والسبيل الصالح ، ومن ذلك النوع الذى أشرنا اليه جعفر بن سعيد الجلندى وابناه النظر وزائدة ومن معهم من جماعتهم ، كاتبوا أعداء الإمام رحمه الله ، ولعلهم يريدون أن يبايعوا غيره ، أى الذى يأملون معه الرغبة والمنزلة ، وأهل الدنيا ضد أهل الآخرة فى كل أمة وكل جيل ، قال الإمام : قال أبو الحوارى : بلغنا أن الجلندى بن مسعود رحمه الله قتل جعفر الجلندانى وابنيه النضر وزائدة على كتاب بيعة كانت منهم على المسلمين ، فلما صح ذلك عند الجلندى رحمه الله أرسل اليهم ، قال : ولم تكن منهم محاربة فيما بلغنا إلا ما ظهر من كتابهم ، فقدمهم الجلندى فضرب رقابهم على ذلك الكتاب فيما بلغنا ، قال : ولما ضرب رقابهم فاضت عيناه بالدموع ، أى لأنهم أقاربه وبنو جلدته ، والمراد أنه رحمه الله استحل قتلهم بنفس تلك البيعة وبنفس الكتاب عملا بما ورد فى آثار المسلمين من أن من كاتب عدو المسلمين فقد صار محاربا لهم ساعيا فى هدم كيانهم بممالأته لعدوهم ، وهو شهير آثار المسلمين ، وعليه أهل الحق ، وقد فعله الأئمة بعد الجلندى وآخرهم هم به الإمام سالم بن سليمان

الخروصي في حميد بن مسلم بن سليمان الندابي صاحب سرور لولا أن أصحابه تداركوا الأمر ، ومن دس على المسلمين أو واطأ عدوهم أو سعى في تفريق كلمتهم أو شاقهم في شيء ولو بلسانه فهو محارب لهم باغ عليهم .

المسلمون يشستدون على الإمام الجلندى

لما قتل الامام الجلندى بن مسعود رحمه الله جعفر بن سعيد الجلندانى وابنيه النضر وزائدة ومن معهم من جماعتهم بسبب المؤامرة التى تآمروا بها ، ورآهم تحمل جنائزهم دمعت عيناه ، ورآه أصحابه على ذلك ، وعيناه تذرفان الدموع ، فاستنكروا ذلك منه وساءت ظنونهم فيه ، وكانوا أشداء على أهل الباطل كما وصف الله عز وجل أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بقوله : (أشداء على الكفار) وقال عز وجل : (وليجدوا فيكم غلظة) أى على الباطل ، أما على الحق فهم رحماء بينهم .

فقال الشراة لإمامهم أعصبية يا جلندى أى تبكى عليهم عصبية لهم ، والحق أوجب قتلهم فقال رحمه الله فى لهف وهدوء : لا لكن الرحمة كما قال الصحابة رضوان الله عليهم لنبيهم : تنهانا عن البكاء وتبكى يا رسول الله ، وذلك لما مات ولده إبراهيم فقال ﷺ : إنها الرحم ، وإنما نهيتكم عن شق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام . فاعتذر الامام الجلندى رحمه الله لهم بذلك ، وقال غيره : كان الجلندى رحمه الله ، قتل جعفر بن سعيد وغيره من بنى الجلندى ، فدمعت عينه جزعاً عليهم ، فوقع فى نفوس المسلمين عليه من ذلك ، فقالوا له اعتزل أمرنا فاعتزل أمرهم وعد الاعتزال راحة له ولم يتبرم ، لأنه ما كان قيامه رغبة فى الإمارة أو حباً لها ، وسلم اليهم السيف والقلنسوة ، اذا كانا شعار الإمام الخاص ، فلبث فيهم يغدو ويروح كواحد منهم ، ثم رجعوا اليه فطلبوا أن يرجع

الى ما كان فيه من أمرهم ، فكره ذلك فلم يزالوا به حتى رجع الى مكانه بعـــد اعتزالة .

قال : وفى مواضع أنه اعتزل فلم يكد يرجع ولم نعلم أنهم بايعوه مرة أخرى بعد اعتزاله . قال الامام : يعنى أنه رجع الى الأمر بالعقد الأول والله أعــلم . ومحل الكلام هل ذلك العقد انحل فيحتاج الى عقد آخر أم هو باق ؟ ولعل نفس القبول منـــه ومنهم كاف لبقاء الإمامة ، لأنه لم يعزل عن حـــدث ولا وجد أنه احتج عليهم عند طلبهم اعتزاله ، هل لهم ذلك أم لا ؟ وهل يصـــح له الاعتزال بنفس الطلب منهم أو منه مثلا ؟ وقيل إنما عزلوه اختياراً هل هو معهم باطناً وظاهراً أم هو فى الباطن على غير ما هو فى الظاهر ؟ فلما رأوه معهم باطنا وظاهرا طلبوا رجوعه للأمر ، لأنه أحق به من غيره ولا جرم له فيه فتلكأ عليهم خوف أن يقع بينهم سوء ظن كالأول .

فلله در هؤلاء الرجال الصالحين الصادقين ، فهؤلاء الرجال وأمثالهم هم الذين أمر الله بالكون معهم ، إذ قال عـــز وجـل : (وكونوا مع الصـــادقين) .

مقتل أبى الدلف شيبان بن عبد العزيز اليشكرى بعمــان

كان أبو الدلف المذكور صفرى المذهب بل كان أحد أئمة الصفرية ، وكان الخوارج بايعوه بعــد قتل الخبيرى ، أقام يقاتل مروان بن محمد الأموى السابق الذكر ، ثم تفرق عنه جنوده وتراخى عنه قومه ، وهرب عنه كثير من أصحاب الطمع ، حتى بقى فى قلة من قومه التى لا تجاوز أربعين ألف رجل ، وماذا عسى أن يبلغوا وهم بالنظر الى عدوهم شىء غير كبير فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا الى الموصل فيجعلوها ظهرهم ، فارتحلوا فتبعهم مروان حتى انتهوا الى الموصــل فعسكروا شرقى دجــلة ، وعقدوا جسورا عليها من عسكرهم الى المدينة ، فكانت سيرتهم ومرافقهم منهــا ، وخندق مروان بإزائهم ، وكان الخوارج قد نزلوا بالكاز ومروان بخصــة ، وكان أهل الموصل يقاتلون مع الخوارج ، فأقام مروان ستة أشهر يقاتلهم ، وقيل تسعة أشــهر ، وأتى مروان بابن أخ لسليمان بن هشام يقال له : أمية بن معاوية بن هشام ، وكان مع عمــه سليمان بن هشام فى عسكر شيبان أسيراً ، فقطع يديه وضرب عنقه وعمه ينظر اليه ، وكتب مروان الى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه الى العراق ، وعلى الكوفة المثنى بن عمران العائذى عائذة قريش ، وهو خليفة للخوارج بالعراق ، فلقى ابن هبيرة بعين النمر فاقتتلوا قتالا شديدا ، وانصرفت الخوارج ثم اجتمعوا بالنخيلة من الكوفة ، فهزمهم ابن هبيرة ثم اجتمعوا بالبصرة ، فأرســل شيبان اليهم عبيدة بن سوار فى خيل عظيمة فالتقوا بالبصرة فانهزمت الخوارج وقتل عبيدة بن سوار ، واستباح ابن هبيرة عسكرهم ، فلم تكن لهم همة بالعراق ، واستولى ابن هبيرة على العراق وكان منصور بن جهور

مع الخوارج ، فانهزم وغلب على الماهين وعلى الجبل أجمع ، وسار ابن هبيرة الى واسط ، فأخذ ابن عمر فحبسه ووجه نباتة بن حنظلة الى سليمان بن حبيب وهو على كور الأهواز ، فسمع سليمان الخبر ، فأرسل الى نباتة داود بن حاتم ، فالتقوا بالمرتان على شاطىء دجيل ، فانهزم الناس وقتل دارد بن حاتم ، وكتب مروان الى ابن هبيرة لما استولى على العراق يأمره بارسال عامر بن ضبارة المرى اليه فسيره فى سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ، فبلغ شيبان خبره ، فارسل الجون بن كلاب الخارجى فى جمع فلقوا عامراً بالسن فهزموه ومن معه ، فدخل السن وتحصن فيه ، وجعل مروان يمده بالجنود على طريق البر حتى ينتهوا الى السن ، فكثر جمع عامر ، وكان منصور بن جهور يمد شيبان من الجبل بالأموال فلما كثر من مع عامر نهض الى الجون والخوارج فقاتلهم فهزمهم ، وقتل الجون وسار ابن ضبارة مصعدا الى الموصل ، فلما انتهى خبر قتل الجون الى شيبان ، ومسير عامر نحوه كره أن يقيم بين العسكرين فارتحل بمن معه من الخوارج ، وقدم عامر على مروان بالموصل فسيره فى جمع كثير فى أثر شيبان ؛ فان أقام أقام ، وإن سار سار ، وألا يبدأه بقتال ، فان قاتله شيبان قاتله ، وإن أمسك أمسك عنه ، وإن ارتحل اتبعه ؛ فكان على ذلك حتى مر على الجبل ، وخرج على بيضاء فارس وبها عبد الله بن معاوية بن حبيب بن جعفر فى جموع كثيرة ، فلم يتهيأ الأمر بينهما فسار حتى نزل جيرفت من كرمان ، وأقبل عامر بن ضبارة حتى نزل بازاء ابن معاوية أياما ، ثم ناهضه وقاتله ، فانهزم ابن معاوية بهراه ، وسار ابن ضبارة بمن معه فلقى شيبان بجيرفت فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت الخوارج ، واستبيح عسكرهم ، ومضى شيبان الى سجستان فهلك بها وذلك فى سنة ١٣٠ ثلاثين ومائة .

قال : وقيل بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل مقدار شهر ثم انهزم شيبان حتى لحق بفارس وعامر بن ضبارة يتبعه وصار شيبان الى جزيرة بركاوان ، ثم خرج منها الى عمان فقتله جلندى بن مسعود ابن جيفر بن جلندى الأزدى سنة أربع وثلاثين ومائة ، هذا كلام ابن الأثير فى قضية شيبان الحرورى .

ويقول الإمام السالمى رحمه الله على أثره : وقد تقدم ذكر سبب ارتحال شيبان من جزيرة بركاوان ، وإن تلك كان سبب حروب خازم بن خزيمة فى أيام السفاح ، فيكون أول أمر شيبان فى أيام مروان ابن محمد ومقتله فى أيام السفاح فى عمان على يد شراة الجلندى إمام المسلمين ، وذكر فى تحفة الأعيان أنه كان قد جاء الى عمان بجيش هارباً من السفاح ، فلما قدم الى عمان ، قلت : لا يعرف مجيئه عمان على أى وجه والظاهر أنه لم يجىء لاجئاً بدليل الحرب التى وقعت بينه والإمام فانهم لابد أن يعرفوا ما عنده فى مجيئه ، فلما رأوه جاء على حرب قابلوه بما يلزم ، قال فأخرج له الإمام رحمه الله هلال بن عطية الخراسانى رحمه الله ، وأكرم بهلال ومعه يحيى بن نجيح ، وكان يحيى مشهوراً فى الناس فضله فى جماعة من المسلمين ، فلما التقوا وصار واصفين أى تواقفوا للقتال ، قام يحيى بن نجيح فدعا بدعوة أنصف فيها الفريقين فقال : اللهم إن كنت تعلم أنا على الدين الذى ترضاه ، والحق الذى تحب أن تؤتى به ، فاجعلنى أول قتيل من أصحابى ، ثم اجعل شيبان أول قتيل من أصحابه ، واجعل الدائرة عليهم . وإن كنت تعلم أن شيبان وأصحابه على الدين الذى ترضاه والحق الذى تحب أن نوتى به ، فاجعل شيبان أول قتيل من أصحابه ، فأمن الفريقان ،

ثم زحف القوم بعضهم الى بعض فكان أول قتيل من المسلمين يحيى بن نجيح ، وأول قتيل من أصحاب شيبان شيبان ، ومكن الله المسلمين منهم ، واستولوا عليهم ، فلم تبق لهم بقية فيما علمنا •

وكان ذكر شيبان هـذا فى التاريخ العمانى لدواع • أولا أنه جاء عمان فقتله العمانيون ، وثانيا أن قتله كان بلاء عظيما على أهل عمان ، إذ جاء خازم بن خزيمة التميمى طالباً لشيبان هـذا ، ولما وجده مقتولا وأراحهم الله منه لم يكتف خازم إلا بخضـوع أهل عمان لسلطان بغداد وهو السفاح ، ولا يبالى الجاهل بما يلاقى وإلا فما جرم أهل عمـان إذ جاءهم باغياً عليهم ، فقاتلوه فقتلوه ، فكان ينبغ من خازم شكرهم وتأييدهم ، وأن يودعهم بسـلام إذ كفوهم إياه ، ولكن لله فى خلقـه إرادات لابد من كونها ، والى هـذه الأحوال يشير شيخنا ابن جميل عفا الله عنه فى سلكه حيث يقول :

وفى عمان أول الأئمـة   هو الجلندى كاشف للغمة
وكان عـدلا ثقـة مرضـيا   براك وفـاً عالمـاً تقيا
وأجمع الكل على إمامته   واتفقوا كذا على ولايته

الى أن قال :

قام الجلندى فى عمـان عادلا   وكان بالحق القـويم عاملا

وعنـه :

واستشهد الجلندى مع أصحابه   على هداه وعلى صوابه

وذاك فى جلفار من عمـــــــان   عليهم سـحائب الرضوان

فى حـديث له طويل أعرضنا عن ذكره كله .

ويقال جملة القتلى عشرة آلاف قتيـل فهلكت تلك الدولة بقتـل الأخيار ، وتملكت يـد الأشرار ابتلاء من الله لعباده ، فرحم الله الإمام الجلندى . وشراته الأشـداء الذين باعـوا نفوسـهم فى طاعـة الله عز وجـل .

منتهى أمر الإمام الجلندى وأصــحابه بعد قتل شــيبان

لم يكن إلا عشية أوضحاها منذ قتل شيبان بن عبد العزيز اليشكرى المعروف بأبى الدلف فى عمــان ، حتى قــدم خازم بن خزيمة التميمى الطالب لقتل شيبان ، فلما وصــل عمان لم يجد من أهل عمان إلا الخير ، وإن كانوا استنكروا مجيئه بجيش يخوض أرض قوم ويشــق بلادهم بغير إذنهم • قال الإمام : وصــل خازم الى عمان ، واتصل بالامــام الجلندى ، وقال : إنا كنا نطلب هؤلاء القوم ، وقــد كفانا الله قتالهم على أيديكم ، ولكنى أريد أن أخرج من عندك الى الخليفة ، وأخبره أنك له سامع مطيع ، فشاور الجلندى المسلمين أى قومه وأهل الرأى عنده فى ذلك الأمر الذى يريده خازم ابن خزيمة ، فلم ير المسلمون له ذلك لأنه خضــوع للجبار الظالم ، واعتراف له بالطاعة ، ولا طاعة لمخلوق فى معصــية الخالق ، مالم تتعين التقية ، ولا تقية هنا ، لكنها المنية ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيا عن بينــة •

قال الإمام : وقيل سأله أن يعطيه سيف شيبان وخاتمه ، أى الطابع الذى يختم به الكتب • قال : فأبى الجلندى رحمه الله من ذلك نظراً الى أنه حق للوارث ، وهــذا زعيم جاهل لا يسلمه اليهم ويبقى الإمــام مسئولا عنه أمام الله عز وعــلا • وقــال أبو محمد : طلب خازم من الجلندى تسليم خاتم شيبان وســيفه ، وأن يخطب لســلطان العراق ويعترف له بالطاعة ، قال : فاستشار الإمام الجلندى العلماء من أهــل الدعوة ومعهم يومئذ هــلال بن عطية الخراسانى ، وشبيب بن عطيــة العمانى ، وخلف بن زياد البحرانى ، فأشار عليه أن يدفع سيف شيبان

وخاتمه وما يرضيه من المـال ، ويضمن لورثة شيبان قيمة السـيف والخاتم يدفع بذلك عن الدولة . قال : فأبى خازم إلا الخطبة والطاعة ، فرأوا أن ذلك لا يجوز فى باب الدين أن يدفع عن الدولة بالدين . وإنما يدفع عنهـا بالرجال والمـال انتهى كلام أبى محمد رحمه الله .

وقال أبو عبد الله محمد بن محبوب رحمهما الله : لا بأس أن يعطوهم السمع والطاعة بألسنتهم اذا خافوهم على الدولة والرعية ، قال : ولا يفعلون ذلك بغير الألسنة شراة كانوا أو غير شراة ، قال وأما المال فلا أ هـ . والمعنى أن المال يكون لهم تقوية ولا يصح أن يقوى الظالم بالمال أو بالرجال ، لأنه يتقوى به على الغير من الناس ، وكان الرأى الأول لو قبله خازم واسعاً لأن التقية بالمـال القليل عن المـال الكثير أجازها العلماء ، ووجهه ارتكاب أخف الضررين والمـال ، وضع لصـيانة الحال وصـيانة الدين أكبر من كل شىء ، ومشهور المذهب جـواز التقية .

قال الإمـال : ثم إن الجلندى أبى من إعطـاء خازم ما سـأل فوقع القتال بين خازم بن خزيمة والجلندى . قلت : أظن أن الإمـام لم يكن مستعداً للقتال ، وإنما لاقى خازم بن خزيمة حين عـلم أن هذا جـاء طالباً لشيبان ، ونحن قـد قتلنا شيبان وقومه ، وتكون لنـا على هـذا القادم يد فى ذلك فيلاقيه الإمـام بحالة سلمية ، وللناس غوائل والجاهل لا يبالى ، فلم يجـد الامام المخرج لتدارك الأمر ، فكان الأمر مستعجلا . والداعى حثيثـاً ، ولابد لمـا أراد الله عز وجـل . قال : فقتل جميع أصـحاب الجلندى ولم يبق إلا وهو وهـلال بن عطيـة ، وكان وزيره الأكبر ، فقـال الجلندى : أحمـل يا هـلال . فقـال

هــلال للإمــام : أنت إمــامى فكــن أمــامى ولك عــلى ألا أبقى بعــدك :

قال الإمام لهلال مــا ترى	قال تقدم وأنا غيمن جرى
تقدم الإمــام حتى قتــلا	وقتل القاضى وراه مقبــلا
كان لهم كأسد فى الصوله	وكعقاب الجو عند الجوله
أبدى ثقافه تحــير الذهنا	مــع بســالة عليهــا يثنى
فاستشهدوا وقد حورت جلفار	مشهدهم جاءت بذا الأخبار

وهذا الذى كان يلاحظه أهل الرأى فى الموافقة لتسلم هم دولتهم وتبقى لهم عزيمتهم وكرامتهم ، ويسلم لهم دينهم ، ولكن لله أمر هــو بالغه ، وحكم هو نافذه . وقضاؤه وقدره لابد من كونهما ، وقد علم أن الإمام التقى خازماً فى جلفار التى تقع مكانها الآن رأس الخيمة ، مما يدل أن الامام التقاهم التقاء صديق لصديق ، ولمــا وقعوا فى الأمر لم يروا إلا إعلان الوفاء لله كما شرطوه على أنفسهم ، فوفوا به وعلى الله توكلوا وإليه توجهوا رحمهم الله ورضى عنهم .

قال فى معالم الجزيرة : بعد ذكر الامام الجلندى فأرسل السفاح جيشاً لقتالهم ، أى الامام وأصحابه ، قال فانهزم العمانيون وهلك إمامهم ولكن لم تكن عساكر الخليفة تصل إلى أوطانها حتى صارت أمور عمان فوضى ، واضطر الأهالى إلى عقد اجتماع وانتخاب إمام على حسب أصول المذهب ، فوقع الاختيار على رجل يقال له محمد بن عفان إلخ ولمــا برز هلال بن عطية ، وهو يرى أنه الموت ، ويرى إخوانه وإمامه صرعى ، ولم يكن واهى العزيمة ولا خائر الأعصاب ، ولا خافق القلب

فتقدم البطل الكرار الذى يحق له أن يلحق بجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وعليه لأمة حربه ، فكان أصحاب خازم يتعجبون من ثقافته ولم يعرفوه حتى عرّفتهم به شجاعته وبسالته . وقالوا : هلال بن عطية ، وتنادوا باسمه ، وهكذا شأن الهلال ، فجال معهم وجالوا معه حتى قضوا عليه ، فقتل رحمه الله ، وكيف لا وقد عرفوه قبل أن يكون أباضياً رحمه الله ورضى عنه ، إذ كان من صناديد خراسان وأبطالها المشهورين ، وكان نير البصيرة صادق السريرة شجاعاً مقداماً ، وقيل إن الذى تولى قتل الجلندى الامام رحمه الله هو خازم بن خزيمة إذ رأى الجيش قد نفى وبقى الرجلان الامام والقاضى ، فقام خازم لقتال الامام ، فكأن هو قاتله بالنفس فلم يزل بعد قتله مذعوراً خائفاً لا يهدأ الليل ولا ينام ، ولا يزال له همهمة الذعر حتى إذا أدركته الوفاة قيل له أبشر ، فقد فتح الله على يديك فقال غررتمونا فى الحياة وتغرونا فى الممات هيهات هيهات ، فكيف لى بقتل الشيخ العمانى يعنى الامام الجلندى . والمعنى أن قتل الشيخ العمانى بغير حق نقمة ساحقة غررتمونا بها ، وتغرونا حتى فى مثل هذا الحال ، فما الذى ينجينا من قتل الشيخ المذكور .

ولا شك أن المرء يعلم من نفسه عقوبة جرائمه التى يقترفها بغير حق ، لكنه فى حال غطرسته لا يلتفت على شىء ولا يبالى بما يأتى وما يذر ، حتى إذ ضاق الخناق ولم ير له مناصباً قام بعض أصابع الندم ، وخرج رجل من أهل عمان للحج فاصطحبه رجل من أهل البصرة لا يهدأ الليل ولا ينام فسأله العمانى عن ذلك وهو لا يعلم أن صاحبه عمانى ، فقال : خرجت مع خازم بن خزيمة الى عمان فقاتلنا فيها قوماً لم أر مثلهم ، فأنا منذ ذلك الحال لا أنام ، فكتم العمانى حاله عنده وبقى متعجباً من الرجل

وما ابتلى به ، فقال فى نفسه أنت حقيق بذلك ولا يخفى أن قتل مؤمن واحد بغير حق لا تعادله الدنيا بأسرها .

ولما قتلوهم ووثبوا على معسكرهم لم يجدوا فيه إلا أثواباً خلقة ، ووجدوا حمائل سيوفهم من ليف ، فانظر فى الأحوال نظر اعتبار تجد الإباضية وأئمتهم قطعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أخفاها الدهر ليوم ما ، وليكونوا حجة صادقة فى الدين ، ولما قضى عليهم خازم بن خزيمة فى تلك المعارك التى أدارها عليهم بغير حق ، وعلى غير استعداد ، بل هذه عندى أشبه بقضية النهروان ، إذ كان القوم ينتظرون الإمام للتفاهم بينهم ، وزوال الوحشة الجاثمة اذا هم والسيوف تعمل فيهم حتى قتلوا عن آخرهم ، وهؤلاء كذلك وإلى الله المصير .

ولما انتهى أمر الامام الجلندى وأصحابه ، نشط التكالب على أهل عمان وارتاع العمانيون من الواقع ، وشاعت الإشاعة عن أمر سهول أثر على الأمة وألبسها الدهش ، وحل على السواد الأعظم الخوف ، وترادفت الظنون ، وبذلك لم يتحرك من العمانيين متحرك ، فانسحب خازم بن خزيمة بجيشه الضخم المنتصر ، ودوخ عمان قاهراً عليها .

وفى ابن الأثير فى حوادث سنة أربع وثلاثين ومائة ، قال : كان قتل الجلندى فى هذه السنة وهو الصحيح عند الامام السالمى ، وكذلك نقول فإن الجلندى بويع فى سنة ١٣٢ ، وعاش سنتين كاملتين وشهراً وقيل أشهراً . قال الامام : وفى كامل الأثير أيضا أن خازم بن خزيمة كان

من السفاح ، وكان أخوال السفاح من بنى عبد المدان ، وهم خمسة وثلاثون رجلا ، ومن غيرهم ثمانية عشر رجلا ، ومن مواليهم سبعة عشر رجلا ، قصدوا السفاح فلقيهم جازم بن خزيمة بذات المطامير ، وكان قد وجد عليهم فلم يسلم عليهم ، فلما جازهم شتموه ، ثم رجع إليهم وعاتبهم على أمر كان قد وجد به عليهم ، فأغلظوا له فى الجواب ، فأمر لهم فضربت أعناقهم جميعاً ، وهدمت دورهم ونهبت أموالهم ، ثم انصرف عنهم قال : فبلغ ذلك اليمانية ، فاجتمعوا ودخل زياد بن عبد الله الحارثى معهم على السفاح ، فقالوا له : إن خازماً اجترأ عليك واستخف بحقك وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد وأتوك معتزين بك طالبين معروفك ، حتى إذا صاروا فى جوارك قتلهم خازم وهدم دورهم ونهب أموالهم بلا حدث أحدثوه ، فهم بقتل خازم فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية ، فدخلا على السفاح وقالا يا أمير المؤمنين بلغنا ما كان من لهؤلاء ، وأنك هممت بقتل خازم ، إنا نستعيذك بالله من ذلك ، فإن له طاعة وسابقة ، وهو يحتمل له ما صنع ، فإن شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب والأولاد ، وقتلوا من خالفكم وأنت أحق من يغمد إساءة مسيئهم فإن كنت لابد فاعلا ومجمعاً على قتله فلا تتولى ذلك بنفسك وابعثه لأمر إن قتل فيه كنت قد بلغت الذى تريد ، وإن ظفر كان ظفره لك ، قال : وأشاروا إليه بتوجيهه الى من بعمان من الخوارج يعنى المسلمين ، والى الخوارج الذين بجزيرة بركاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكرى ، قال : وأمر السفاح بتوجيهه مع سبعمائة رجل ، وكتب الى سليمان بن على يحملهم الى جزيرة بركاوان وعمان ١ هـ .

وكان شيبان يقود جيشا يبلغ أربعين ألف رجل ، فليس يكون

مناله هيناً ، فساقته الأقدار الى عمان ، فكان عليه من أهل عمان ما كان وإذا بخازم يلتحق بعمان طالبا للمذكور ولقتال أهل عمان ، إذ كـان مندوباً لقتال الكل ، وكان أهل عمان قتلوا شيبان ولم تغسل سيوفهم من الدماء بعد حتى جاء خـازم مختدعا لأهل عمان ، بأنه جـاء لقتال شيبان وقد كفيتمونا إياه ، فسر ذلك أهل عمان ، وما كانوا يظنون أنهم مقصودون أيضا بالذات كقصدهم لشيبان ، فخـرج الامام الجلنـدى لملاقاتهم فى شرذمة من أصحابه ليتفاهم مع القوم ، فأظهر لهم خازم تلك التعللات المرموز اليها بالخاتم والسيف ، حتى إذا رأى انقيادهم رمز لهم بالخطبة بالطاعة لسلطان العراق ، وهو السفاح ، وما كانوا مستعدين لحرب حتى إذا وقعوا فيها أحاطت بهم الجنود من كل جهة ووضعت السيوف على رقابهم والقوم غافلون ، وأعـداؤهم غادرون ، وللنـاس طوايا تظهر عند إمكان الفرص ، ولهم غوائل ضد كل غافل وفى الغيب عجـــائب .

وكان قتل الامام الجلندى سنة ١٣٤ ، ومكث خازم بعمان أشهراً وكان خازم أرسل برؤوس أعيان القتلى الى بغداد متبجحاً بهم ومفتخرا بقتلهم ، وعلى أثر ذلك سلط الله على السفاح الجدرى وهو بالأنبار ، وتوفى منه فى سنة ١٣٦ ست وثلاثين ومائة فى ١٣ من ذى الحجة ، ودفن فى قصره بالأنبار ، ولم يمكث بعد قتل الجلندى إلا أقل من الســنتين والله أعلم .

فرحم الله الجلندى وأصحابه ورضى عنهم ، قال صاحب معـالم الجزيرة : فانتخبوا محمد بن عفان فباشر الامامة سنتين ، فلم يحسن

العمل فخلعوه ، وأقاموا مكانه الوارث بن كعب ، قلت : هو محمد بن أبى عفان ، وما كان فى الحقيقة إماماً ، وإنما كان رجلا تظن فيه البطولة التامة ، ولعله يكون كفؤاً لحمل أعباء الأمر ، وإذا به بخلاف ذلك ويقى كضابط للجيش الى أن يرى المسلمون رأيهم ، ولما ظهر لهم عدم كفاءته للأمر أخرجوه منه كما سوف ترى ذلك إن شاء الله .

آل الجلندى يعلنون الطاعة لخازم

لمـــا قتل الامام الجلندى بن مسعود وأصحابه ، زحف خازم على عمان فاتحاً ؛ كان آل الجلندى الذين اضطغنوا الامام فى قتل جعفر بن سعيد وابنيه ومن معهم من آل الجلندى ،الذين كاتبوا بالبيعة على الامام ، وأقصى الامام بقية آل الجلندى الذين يميلون ميلهم ومـــن يظن فيهم السوء ، وأدنى منه أهل التقوى ورجال العدل وأبطال الحق ، ساءهم ذلك ، ولعلهم كما يقول القائل :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرىء نصيب ولا حظ تمنى زوالهـــــا
وماذاك من بغض لها غـــير انـــه يرخى سواها فهو يهوى انتقالها

ولا شك أن الغالب يكون مرهوب الجانب ، ولهذا تقدم آل الجلندى إلى خازم بن خزيمة سامعين له مطيعين ، لا سيما بعد تلك الحرب الطاحنة التى أفنت أبطالا ، وما كان أهل عمان ليسلموا بلدهم الى الغازى لقمة سائغة ، بل اشتد الأمر بين خازم بن خزيمة والجلندى ، واسمع ما يقول ابن الأثير المؤرخ الشهير ، قال : سار خازم الى البصرة فى الجند الذين معه ، وكان قد انتخب من أهله وعشيرته ومواليه ، ومن أهل مرو الروذ من يثق به ، فلما وصل البصرة حملهم سليمان فى السفن وانضم اليه بالبصرة أيضا عدة من بنى تميم ، فساروا فى البحر حتى أرسوا بجزيرة بركاوان ، فوجه خازم فضلة بن نعيم النهشلى فى خمسمائة الى شيبان ، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديداً ، فركب شيبان وأصحابه السفن ، فساروا إلى عمان وهم صفرية ، فلما وصلوا الى عمان قاتلهم الجلندى وأصحابه ، قال : وهم إباضية ، واشتد القتال بينهم وقتل شيبان وأصحابه ، قال :

ثم سار خازم فى البحر بمن معه حتى أرسوا إلى سواحل عمان ، فخرجوا إلى الصحراء فلقيهم الجلندى وأصحابه ، واقتتلوا قتالا شديداً ، وكثر القتل يومئذ فى أصحاب خازم ، وقتل منهم أخ له من أمه فى تسعين رجلا ، ثم اقتتلوا من الغد قتالا شديداً ، فقتل يومئذ من الخوارج ، يعنى المسلمين ، تسعمائة ، وأحرق منهم نحواً من تسعين رجلا ، ولم يفر أحد من الفريقين عن صاحبه ، أى فقد ثبت الامام ومن معه على قلتهم •

ثم دارت رحى الحرب بينهم فى اليوم الثالث والرابع الى السابع ، فلم تزل المعارك دائرة بين الامام وعدوه الغازى حتى أشار على خازم بعض أهل مشورته أن يهجم على بيوت أصحاب الإمام ، وكانت بيوتاً مبنية من خشب وذلك أن يجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة ويوروها بالنفط ويشعلوا فيها النيران ، ثم يمشوا بها فيضرموا بها فى بيوت أصحاب الجلندى ، وكانت من خشب ، قلت : لعلها من سعف النخل ، وهو الواضح وضعوها لتقيهم الشمس والبرد فقط •

قال فلما فعل ذلك وضرمت بيوتهم بالنيران اشتغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم ، فحمل عليهم خازم وأصحابه فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم ، وقتلوا الجلندى فيمن قتل ، قال : وبلغ عدد القتلى عشرة آلاف قتيل أ هـ •

ولعل الأكثرية من الغزاة وهو الظاهر لأن الجلندى لم يكن مستعداً لحرب خازم ، وإنما فاجأه خازم على أثر مقتل شيبان ، أو لعلهم بقية الجيش المقاتل لشيبان ، فقبل رجوعهم الى أوطانهم فاجأهم جيش خازم ، فكانت إحدى الحسنين لهم ، وقد خرجوا لذلك رحمهم الله ورضى عنهم •

باعوا بباقية الرضـــوان فانيهم   كان لذة هــذا العيش شعبــان

وإن مقتلة تنكشف عن عشرة آلاف قتيل لعظيمة فى المسلمين ، وهنا برز الباقون من آل الجلندى ، لملاقاة خازم بن خزيمة لينالوا معه رغبتهم المرجوة بموت الامام الذى لم يروا معه مصالحهم • قال الامام رحمه الله فى أمر عمان بعد الجلندى كلاماً واسعاً بعضه نقل عن ابن الأثير ، وبعضه عن التاريخ العمانى خلاصته :

أن محمد بن زائدة وراشد بن النضر ، وهما أبناء من قتلهما الامام كما سبق الحديث عنهم ، وعدوها ضغينة على الامام ، وأن خازماً بقى فى عمان أشهراً يرتب أمر عمان ومعه آل الجلندى المذكورون ، وقد أرسل برءوس القتلى إلى السفاح فى بغداد ، فقط قلد خازم أمر عمان محمد بن زائدة وراشد بن النضر ، ومعهم الأشعث بـن حكيم ، وكان هــؤلاء الجلندانيون جبابرة ظلمة ، تسيطروا على الناس بسيطرة خازم ، إذ هم له أعوان ، فكانوا عماله على قومهم ، وكان هو سيدهم والجامع بين الطرفين الظلم والعسف والجبروت ، وهــذه هى الخصال الماحقــة ، والأعمال الساحقة ، ولكن أهل الظلم لا يبالون ، بل كانوا يقتلون النبيين فكيف بغيرهم ، وقد اشتهر آل الجلندى بالجبروت فى هذه الآونة •

قال الامام رحمه الله : ذكرت السير أى سير أهل عمان ، أن الجبابرة استولت على عمان بعد الجلندى ، فأفسدوا فيها وكانوا أهل ظلم وجور ، قال فمن هؤلاء الجبابرة محمد بن زائدة وراشد بن النضر الجلندانيان : قلت : قد سبق أن خازم بن خزيمة لما احتل عمان وقتل الامام الجلندى وأصحابه ، وانكسرت عصا المسلمين ، ودخل خازم عمان متغلباً عليها ،

وكان جباراً ظالماً كما وصفه ابن الأثير ، إذ مر على بنى عبد المدان فقتلهم ، فهنا لباه بنو الجلندى ومهدوا له طريقاً يبساً لا يخاف فيها دركا ولا يخشى ، وكانوا أعوانه وهم أعيان أهل عمان إذ ذاك ، إذ هم ذرارى أولئك الملوك المتقدمين ، وأبناء عم إمام المسلمين ، فتقلدوا الأمر فى عمان بخازم بن خزيمة ، وشايعهم أهل الأهواء من أهل عمان ، وأهل الباطل أكثر من الحق فى كل أمة ، وبقوا على فسادهم ، وخازم بن خزيمة ترف أعلامه على عمان ، وبقى فى عمان مدة حتى استقدمه السفاح إليه ، فلباه وعمان طوع يده ، ورهن إشارته ، يخطب فيها للسفاح على منابرها ، وكان الامام قتل أقاربه المذكورين على كتاب البيعة الذى وجده عليهم ؛ وكان الكل إقطاعياً كما يقول العصريون ، وعاثوا فى عمان ، وسرى الضعف فى المسلمين سريان النار فى الهشيم ، لأن صوت العدل خافت ، وصوت الباطل مرفوع ، ومن ذلك ما كان من الأحداث طيلة تلك المدة .

ومنها قتل عبد العزيز الجلندانى ، وعلى ما يظهر أن قتله كان لكونه من أتباع الحق ، قال الامام : وذلك فى حال ضعف المسلمين ، قال : عن الوضاح بن عقبة عن مسبح بن عبد الله أن عبد الرحمن بن المغيرة أخبرهم ، وقد كان الأشعث بن حكيم والجلندانيون على حال من الخروج ، والمعنى متظاهرون بالخروج على الدولة ، وذلك فى حال ضعف المسلمين فى أيام خازم بن خزيمة ، وأن جعفر بن بشير كان هو وآخر غيره بالعراق مع أبى عبيدة وحاجب رضى الله عنهما ، حتى قدم الجلندانيون إلى العراق ، أى كانوا يراجعون سلطان العراق ، وهو السفاح المقدم الذكر ، فأخبر القادمون الامام أبا عبيدة وحاجباً أن الجلندانيين نزلوا على عبد العزيز الجلندانى فقراهم ثم قتلوه ، فقال لهم موسى وحاجب : لا تقبل مقالتكم على المسلمين ، فلم يقبلا قولهم ،

قالوا : فإنا نذهب إلى السلطان • قال : اذهبوا ، وكانوا أرادوا بذلك الشكاية الى الامام أبى عبيدة ليدخلوا السيبل من طريقة • قال : فلما حضر خروج جعفر وصاحبه إلى عمان ، قالوا لأبى عبيدة • ما نقـــول لأهل عمان منكما فى القوم ، وقد كان أهل عمان افترقوا فى قتلة عبد العزيز فمنهم من برىء منهم أى من القاتلين ، ومنهم من تولاهم أى القاتلين ، لـــا كان من أقوال تنبنى عليها الأحوال ، قال : ومنهم من وقف عنهم للإشكال الذى عرض لهم ، هل كان عبد العزيز من البغاء أم من الثقات ؟ فقالا ، أى أبو عبيدة وزميله حاجب : قولا لأهل عمان إن كل لـــه ولاية يتولاه المسلمون ، وكل من كان على أمر من أمرهم أولى بما ضيع ، حتى يطلب الأمر إليه الذى ضيعه ، فيكون فيه عليه الحق أى يمتنع عن إعطائه ومن امتنع عن إعطاء الحق فهنالك تترك ولايته ، أى أن سبقت له ولاية فبامتناعه عن إعطاء الحق تسقط ولايته • قال : فهذا حديث عبد الرحمن بن المغيرة عن المسبح بن عبد الله •

قال الامام : وحاصله أن الطائفة الخارجة نزلوا على عبد العزيز فأضافهم فقتلوه ، فلم يستحسن المسلمون ذلك منهم ، فلهذا اختلفوا فى ولايتهم ، حتى قال أبو عبيدة ، قال هو وحاجب فى فضل القضية ، قال : وكان المسلمون يرجعون الى قولهما ، أن بنى الجلندى قد طلبوا الى أبى عبيدة وحاجب ما طلبوا من قتلة عبـــد العزيز ،فلما يسمعا ، فلذا قـــال الجلندانيون : نذهب إلى السلطان يعنون عامل بنى العباس • فقال : اذهبوا على طريق التهديد ، ولم يبلغنا أنهم ذهبوا إلى السلطان والله أعلم بما كان •

شبيب بن عطية العُمانى المحتسب

من حوادث أيام بنى الجلندى ، ظهور شبيب بن عطية العمانى ، ولا يشتبه عليك بشبيب الخارجى إمام الصفرية ، فإن بعض الناس التبس عليهم شبيب العمانى بشبيب الخارجى ، وكان شبيب هذا من أصحاب الامام الجلندى ، ذكر ذلك الشيخان : أبو محمد وأبو الحسن ، ولم ينسباه ولم أعرف نسبه حتى أحرره ، وهذا من قصور أهل العلم .

قال الامام ، فى تحفة الأعيان ، بعد أن ذكره عن أبى محمد وأبى الحسن قال : وذكر غيرهما أنه كان يحيى القرى ، ولم يكن إماماً منصوباً ، وإنما كان محتسباً . قال : والظاهر أن أمره هذا كان بعد الجلندى ، وكان رجلا صلباً فى دينه شديداً على الجبابرة ، داعياً إلى مخالفتهم ، قال وله سيرة تنبىء عن تصلبه فى دينه وشدته على البغاة ، يعنى مقالة حررها ونشرها إلى الناس ليعلموا الأحوال فى مهاج الأعمال ، وهذا معنى السيرة عند أهل عمان ، إذا قالوا فى سيرة فلان ، ولفلان سيرة إلى بنى فلان ، وهكذا وكانت سيرة شبيب معربة عن قصده ، مبرهنة عن صدده ، وفى الأثر لأهل العلم كلام على شبيب المذكور وأعماله ، وفى ولايته والبراءة منه ، وذلك لتصلبه ، فمن رأى من شبيب التصلب فى أعماله قال : ليس له هذا إذ هو ليس إماماً حتى يفعل هـذه الأشياء ، والذى يهمه أمـر المسلمين ويود إرغام المفسدين يقول : ما فعله شبيب حق وصواب ، وإذا بالناس فريقان أو ثلاثة ، وهكذا العلماء حين يريد الله خذلانهم بعد مـا قال لهم : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) .

قال الإمام : صار يجبى القرى احتساباً ، فمنهم من لم ير له ذلك ،

لأنه ليس بإمام منصوب ، ومنهم من عذره ورآه محتسباً ، وللإمام حقوق يراها أيضا بعضهم للمحتسب • قال المعتمر بن عمارة بن سالم بن ذكوان الهلالى : إن البراءة منه وحد السيف معاً ، أو قال سواء إنى لا أبرأ منه حتى يحل دمه ، قال هاشم بن غيلان ، عن موسى بـن أبى جابر قال : قلت للربيع ما تقول فى أهل عمان ؟ فإنهم اختلفوا وافترقوا فى أمر شبيب قال : قال الربيع من تولاه فتولوه ، ومن برىء منه فابرءوا منه • قال فقلت : ما القول فى الكف فإنى أرجو أن يكون فيه ألفة وصلاح ؟ قال : فما يقول بشير ؟ قال قلت : صاحبى ولا يخالف على ، فقال أنتم أعلم بأهل بلادكم ، وأما أنا فليس ذلك رأيى • قال فلما قدم موسى أشهر ذلك ولقى هادية فتابعه •

قال عبد الوهاب بن جيفر : من تولاه برئنا منه ، قال هاشم : وكره بشير الكف ، وقال معقل : يتولاه بشير وأهـل الحق ، قال : وسـئل الفضل بن الحوارى عن الذى اختلفوا فيه من أمر شبيب ، قال : كان مجاباً ، وكان يجبى القرى ، فإذا قدم السلطان تركها واعتزل • قلت : ولم يذكروا من هذا السلطان الذى إذا قدم ترك شبيب الجباية من أجله وهذه الأيام هى أيام السفاح فى بغداد ، ولم يقل التاريخ إن السفاح جاء عمان ، ولعله عامل السلطان أو رسول برسله سلطان العراق لأخذ الجباية من عمان ، فإن جاء ترك شبيب الجباية خوفاً ، فاذا ذهب الى العراق برز شبيب وأعلن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ودعا الى الجباية ، والظاهر أن الذى يبرز لشبيب الأمير الذى ولاه خازم وأقره سلطان العراق من آل الجلندى •

قال الإمام السالمى : قلت ولعل اعتزاله كان فى عام لا يجبى فيه ،

أى إنما يترك الجباية فى عام لا حماية له على البلاد ، ويفهم من ذلك أن السلطان المشار إليه يأتى فى بعض السنوات فاذا جاء تخاذل عن شبيب أعوانه خوفا من السلطان . قال الإمام : إنما جبايته كانت وقت حمايته فمتى حصلت له الحماية جبى ما قدر عليه ، ومتى زالت عنه بالعجز عنها رفع يده . قال : وهذا هو الظن بشبيب إن صح ما قاله فيه الفضل بن الحوارى . قال : والظاهر منه التصلب فى الأمور ، فتخلية البلاد للحائر منا فيه للظاهر من حاله والله أعلم بما كان هنالك .

قال أبو الحوارى : من برىء من شبيب برئنا منه ، ومن برىء ممن تولاه برئنا منه ، ومن تولى مـن تولاه فهو على ولايته إن كانت لـه ولاية أ هـ .

هذا ما ذكروه من أمر شبيب هذا ، ولقد قام شبيب عـلى الأقل آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر على قدر استطاعته ، فاعلا للخير عاملا لله بما استطاع كيف يبرأ منه ، وما بال هؤلاء الذين يقولون بالبراءة لا يغفلون شيئاً يحسن السكوت عليه ، أو ما بالهم لا يشدون عضده ولما لـم يفعلوا شيئا من ذلك ، ما بالهم ينتقدون شبيباً ويعلنون البراءة منه أيحسن الإنسان المسلم ويجازى على إحسانه بالتأنيب ورفضه من ولايته ، إن هذا لا يليق فى الدين ، ولا يحسن بالمسلمين ، ولا هوادة فى الدين ، فان الحق مطلوب من أى الناس الذين يستطيعون إقامة حق فى لأمة ، وإن قيل : إن شبيباً لم تقع له بيعة من المسلمين . فالجواب : كذلك بيعة أبى بكـر رحمه الله ، وإنما بايعه بعضهم فقط ، ورضى الباقون فثبت إمامته ، ولا يشترط بيعه عموم المسلمين . واليكم سيرة شبيب التى ذكرها الامام السالمى رحمه الله ، وهى تدل على أن شبيباً كان أميراً صالحاً مطاعاً فى

الأمة ، ماضياً فيها على الحق والحق يجب قبوله ممن جاء به وممن قام به فى الأمة ، ولو كان عبداً حبشياً مجدعاً .

قال شبيب : أما بعد فانه قد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : يد المسلمين واحدة على من سواهم ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، وقد أمسيتم وأمسينا إخواناً على الحال التى قد ترون . اختلفت فى إعلاق الأمة وتشتت أمرها ، ووثب بعضهم على بعض كالسباع ينهش بعضهم بعضا بالظلم والعدوان . والغشم وانتهاك المحارم ، ولا يعرفون حق الله ولا حرمة الاسلام ، ولا يحتجرون به وأمسينا بحمد الله ونعم الله علينا وعليكم سابغة ، وفضله علينا وعليكم عظيم ، يؤمن بعضنا بعضا ، ويعرف بعضنا لبعض حرمة الاسلام ، وحق أهله ، وكتاب الله أمامنا وأمامكم ، إن كنا وكنتم صادقين . يا أيها الناس : اعلموا من أمرنا أن نقاتل ونقتل من عصى الله حتى يفيئوا إلى أمر الله ، أو تفنى أرواحنا إن شاء الله ، ليرد منار الاسلام الى معالمها الأولى التى كانت على عهد نبى الله ، والذين من بعده أبى بكر وعمر حلال الله حلال إلى يوم القيامة ، ورضاء الله رضا الى يوم القيامة ، وسخط الله سخط الى يوم القيامة ، لا تنتقض الطاعة بالمعصية ، ولا تثبت الطاعة بالمعصية بل بالطاعة ، ولكن حتى يستكمل الناس جميعا الطاعة بحدودها وأعلامها ومنارها ، وأحكامها وأنسابها الرضا بها ، ومن كره هذا فالطريق له مخلى يذهب حيث يشاء من البر والبحر ، وليكن امرؤ على حذر أن يتتبع عورات المسلمين ويكاتب عدوهم ، ويشغب عليهم بسعيه بين المسلمين بطانة .

إلى آخر ما جاء فيها من بيان الحق الواضح ، والتحريض على القيام

بالأمر ، والرد على المخالفين فى شكهم وحيرتهم أ هـ ما أورده الامـــام السالمى من كلام الأمير شبيب بـــن عطية رحمه الله ، وهذه الكلمـــات الجوهرية من هذا البطل المسلم التى تعرب عن نزاهة نفسه وحسن سيرته ووثوقه بربه ، وغيرته على الأوامر الدينية ، وتصــلبه فى إثبات الحق وقيامه بأوامر الله عز وجل ، لها قيمتها عند أهل العدل الذين ينزلون الرجال منازلهم ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو قام رجال الدين كشبيب هذا كل من جانبه لما راجت أسواق الباطل ، ولا تجرأ على أهل الحق جاهل ، وبماذا تعرف الرجال إلا بالأفعال ، فلقد أحسن شبيب رحمه الله وشكر الله له عمله إن شاء الله .

ومن الأحداث التى وقعت فى أيام آل الجلندى بعد إمامهم المرضى الجلندى ابن مسعود خروج غسان بن سعيد المحاربى الهنائى فى سنة ١٤٥ فى عهد المنصور العباسى فى بغداد ، خرج على المسلمين بعمان غسان بن سعيد المحاربى الهنائى على نزوى ونهبها ، وعاب فيها بمالا يرضاه الله ولا رسوله ، وقاتله بنو نافع وبنو هميم فى نزوى ، فغلب عليهم وقتل منهم خلق كثير ، وكان بنو نافع من أشراف أهل العقر ، إذ هم رهط الشيخ أبى المنذر بشير بن المنذر ، وكان بنو هميم بطناً من بنى معن بن مالك بن فهم ، وكان آل الحارث إبراء أنصـــاراً لهم ، وبين الفئتين روابط صداقة فتآمروا على قتل غسان ، واجتمع رأيهم أن يمضوا الى العتيك ، واتفق الرأى العام بينهم على ذلك ، وخرجوا وكمنوا لغسان بين داره ودار جناح فى صحار بموضع يقال له الخور ، وقد رجع غسان عائداً رجلا مريضاً من بنى ربخة ابن هناة بن مالك ، فمر بهم وهو لا يشعر بمكانهم ، ولا شك أن الطالب غالب فلما مر عليهم تمكنوا منه فقتلوه ، فغضب لذلك منازل بن خنبش ، وكان منزله فى نبا بموضع يقال له العقير ،

وكان منازل المذكور عاملا هناك لمحمد بـن زائدة بن جعفر بن سـعيد الجلنداني ، وراشد بن النضر ، فثار هؤلاء غازين أهل إبراء من شرقية عمان ، حتى أتوا على حين غفلة من أهلها ، فلما علم أهل إبراء بهـذا الغزو ، برزوا وأداروا رحى الحرب بين الفريقين ، فكانت الدائرة على أهل إبراء ، وانكشفت الوقعة عن أربعين قتيلا من أهل إبراء خاصة ، لأن الغزاة كانوا كامنين لهم على مرصد يمكنهم من قتل القوم ، وفى هذا التاريخ كان للعهد فى بغداد للمنصور العباسى ، وهـو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على ، وفى الأندلس عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وفى هذه الأثناء بدأ دور بنى الجلندى للانحلال ليحل محلهم من يصلح أمر الأمة بعد الضلال ، وينير الطريق للمسلمين لإنقاذهم من ورطة الوبال ، ولكل شىء غاية ينتهى إليها فقد أراد الله زوال الأمر لبغيهم بعد عدلهم ٠

قال الإمام : فى الأثر والمراد به دواوين الفقه التى دونها العلماء فوضعوا فيها حقائق تاريخية تتعلق بالأحكام الشرعية ، وكذلك قولهم قال المسلمون فتراهم يطلقون ذلك ويريدون به أهل الوفاء بدين الله منهم لا مطلق من ينتحل مذهب الإباضية من السواد الساذج ، ويطلقون ذلك أيضا ويريدون به الكل ويريدون به أحيانا أهل الولاية خاصة ، ولكل مقام مقال ٠ قال أبو إسحاق : اعلم أن أصـحابنا رحمهم الله يذكرون لفظ المسلمين ويريدون به أهل الوفاء بالدين - أى أهل الاسلام الكامل ، فيدلك على هذا أنهم يذكرون لفظ المسلمين مقابل الجبابرة ، وكلاهما يصدق على أهل المذهب ، كما يذكرون المسلمين مقابل المخالفين ، ويذكرونه ويراد به أهل الولاية ، ويراد بقسميه أهل البراءة ، وكل ذلك يستدل عليه بمعونة

القرائن ، وليس المراد أن قسيم المسلمين المشركون كما هو اصطلاح الخوارج والوهابيين أ ﻫ تعليقاً على الطبعة الثانية لتحفة الأعيان •

ولا يخفى أن راشد بن النضر ، ومحمد بن زائدة الجلندانيان ومن معهما من أهل عمان ، لا زالوا يرتادون المساعدة والمعونة على أهل عمان لتعزيز رئاستهما ، والتغلب على الأمة بالقهر ، كما كان آباؤهما ، وقد قضى الامام عليهم كما تقدم ، وبقى هؤلاء يتعززون بالغزاة لعمان ، ويرومون السيطرة على الأمة بدعوى أنهم أحفاد الملوك ، وأولياء الأمور دون غيرهم ، وكانت شوكة المسلمين أعنى أهل الحق قد ضعفت بتلاشى الأمور ، قال الامام : وهم يومئذ أهل ضعف . أى فى ذلك الحال ، وكان راشد ابن النضر قد نزل بالمهرة يطلب منهم النجدة على أهل عمان ، لأن المهرة أقرب الى عمان من غيرهم ، وكان سلطان بغداد إذ ذاك مشغولا بشئونه فى بلاده ، وإذا جاء عمان وانتصر على أهلها ربما اجتاح الغث والسمين ، وأما المهرة فليس لهم ذلك ، وإنما هم أجلاف تقضى بهم لأغراض ويكثر بهم السواد ، ثم أقبل راشد بن النضر بجيشه يشق عمان من طريقها الغربى حتى بلغ أهل عمان أنه نزل المجازة من الظاهرة ، كما أشار الى ذلك ابن رزيق وأخذه عنه الامام السالمى رحمه الله ، ولعل أكثر أهل أهل السير من أهل عمـان يذكرون ذلك ، وكانت من الظاهرة وهنـا تحرك العمانيون لمقاومة هذا الباغى ، فتكاتبوا من جميع النواحى وتعاهدوا على حرب هذا البغى الذى أقبل به راشد بن النضر ليقضى به غرضه فى قومه أهل عمان ، وكان عبد الملك بن حميد يومئذ شاباً أى جديد عهد وكان يدعو المسلمين على المبايعة على راشد به النضر ، ومعه محمد بن المعلى والأخنس الفشحى من كندة ، وخرجوا فى طلب راشد المذكور متجردين لحربيه خائفين من فساده فى عمان ، فالتقوا فى المجازة من أرض الظاهرة

شرقى وادى المجازة ، فدارت رحى الحرب بين الفريقين فانتصر المسلمون على راشد وهزمه الله ، وقتل من قومه كثيرون ، وأكثر القتل وقع فى بنى ناحية إذ هم الأكثر وهم شرارة الجيش ، فقتل منهم خلق كثـير يحصون وإذ ذاك هرب راشد بن النضر ، واستولى المسلمون على داره فنسفوها لئلا تكون له قوة يأوى إليها ويتحصن فيها هو أحزابه ، وبسبب نفسها وقع بين أهل العلم القيل والقال فى نسفها ، فقد جاء فى الأثر أن المشايخ من أهل سلوت ومن معهم غضبوا لنسفها ، فقيل من حديث الفضل بن الحوارى عن أبى جعفر سعيد بن محمد ، وعن سعيد بن محرز ومحمد بن محبوب ، وعن محمد بن هاشم عن هاشم بن غيلان أن المسلمين لما نسفوا دار راشد قدم عليهم الأشعث بن محمد وهم مع بشير فى بهلى ، فتكلم فى ذلك الأشعث بن محمد ، وقال : ليست هذه الحال من سير المسلمين ، والمعنى أن هذا لم يكن من عمل المسلمين فى حروبهم ، فقلت له قد نسف المسلمون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حصن بنى النضير فرد على ذلك أى الأشعث ، قالوا بيان ذلك فى كتاب الله عز وجل ، قال الله عز وعـلا : (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيـدى المؤمنين) ، وذلك أن المؤمنين كانوا ينسفون من قبلهم ، وكانت اليهود تنسف من قبلها ، ذلك لأن المسلمين كانوا يتوقعون الهزيمة ، وأرادوا أن يفوتوا اليهود ما استطاعوا تفويته واليهود يرون أن المسلمين منصورون عليهم ، ولهذا قاموا ينسفون ما استطاعوا أن ينسفوه حتى لا يستغنمه المسلمون ، فنزلت الآية فى ذلك بعينه ، وقيل إن اليهود يسدون بمـا ينسفون الخلل الذى ينسفه المسلمون ، والمعنى واحد . وقال غيرنا : إن المسلمين أيضا قام بعضهم ينسف وبعضهم يعارض كما صرح بذلك أهل التفسير ، فرد الأشعث على ذلك معارضاً له ، فقال بشير بل هكذا

كان كما يقول المسلمون ، قلت : أى قال الشيخ المعارض للاشعث : وبلغنا أن أهل دار رموا المسلمين بسهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسفها فنسفت ، فقال الأشعث لعلهم نسفوا شرفاتها ، فقال الشيخ بشير : بل نسفوها من أصلها ، قال الامام ، وكان ابن راشد فى نزوى ، ولعله راشد بن النضر ، وهو الواضح قال أبو جعفر : خرج المسلمون بعمان ، فلم يأخذوا الزكاة حتى كانت وقعة المجازة فى شهر رمضان ، أى الوقعة التى كانت بينهم وراشد بن النضر التى انهزم فيها راشد بن النضر وأعوانه من آل الجلندى ، ورأووا بذلك استحلال الجباية ، إذ لا جباية إلا بحماية ، ورأوا أن حمايتهم الآن اتضحت على عمان ، أما قبل ذلك فلا ، لأن راشد بن النضر ومحمد بن زائدة ومن معهما يسيطرون علـى عمان ، وبانكاسارهم فى وقعة المجازة رأوا أنهم لا يرجعون الى ظهر ، ولا يؤيدهم أحد لا سيما أن المسلمين كلهم مجتمعون ، وقد هرب راشد بن النضر شاردا من عمان ، وإن أهل عمان قد نسفوا دار راشد ، وبعجره قد زالت قوته وانكسرت شوكته ، وخرج من عمان خائفا يترقب ، ورجع المسلمون إلى منح ، وخرج منهم من خرج الى موسى بن أبى جابر فى أزكى ، وكان مرجع المسلمين ، وكان به علة فحملوه إلى معسكرهم بمنح . فلما وصلوا بموسى وكان معه زميله الشيخ الكبير بشير بن المنذر رحمهما الله وجماعة من أخيار المسلمين وأعيانهم فى العلم والدين ، واجتمعوا للمشورة فيمن هو الذى يليق تقديمه فى المسلمين ، وتطمئن به النفوس ، ويكون كفؤاً للامر الذى هم بصدده ، وكيف يأتون هذا الأمر ، وكانت الآراء تتضارب فى الموضوع ، والخلاف والشقاق مرهوب الجانب والدخول فى الأمر الجلل يحتاج الى نظر طويل ، والقاء الآراء على بساط المجتمع أمر يفكك الحزمة التى عليها أولئك المجتمعون ، ولكن من أنضجته التجارب ودارت عليه الأيام دورات متعددة يفهم من أين تؤكل الكتف .

هنا قال الشيخ موسى بن أبى جابر رحمه الله لمحمد بن المعلى الكندى : قد وليناك صحار وما يليها ، فاكفنا أمرها وولينا فلاناً كذا ، وولينا محمد بن عبد الله بن أبى عفان اليحمدى وادى القريات وبقية الجوف ، فرضى كل موضعه ، ويسر كل واحد بولايته المشار اليها ، وبذلك فرق الشيخ موسى بن أبى جابر لهؤلاء المتطاولين للأمر ، المادين له أعناقهم • وقال موسى لمحمد بن عبد الله : اقطع للناس الشرى ، وكان بشير بن المنذر معهم وهو ساكت ، وقد سمع ما قال موسى وما فعل فقال عند ذلك كنا رجوناك يا أبا على أن تسير بهذه الدولة ، فرددتها الى هؤلاء الذين يخافون على الدولة ، والمعنى سلطهم على الأمر وهم غير مخفى جانبهم • فقال الشيخ المجرب موسى بن أبى جابر : إنما كان نظرى يا أبا الحكم للدولة ، أى ناظر فى صلاحها لا فى غيره ، لأنهم قد اجتمعوا وكل يطلب هذا الأمر لنفسه ، والأمر بعده ضعيف ففرقناهم عن وجوهنا حتى يقوى الأمر ويشتد ساعده ، ونتمكن من نفوذ ما نريد أن ننفذه • قال : فأمر محمد بن عبد الله بن أبى عفان أن يقطع للناس الشرى كقطع ، والمعنى أقام الجند الذى يعتمد عليه للقائم بالأمر ، وكان ذلك هو مـا يجرى فى عرفهم مقاطعة العسكر على أجرة معلومة يقبلها الجندى ويلتزم بها المسئول على حسب الاتفاق ، ألا تسمعه يقول : فقطعه حتى قوى أمره ، فلما قوى الأمر أمر موسى بن أبى جابر محمد عبد الله بن أبى عفان ، فأرسل الى القرى الولاة وعزل كل من كان ولاه ، وقامت دولتهم وانه لنظر سديد ورأى رشيد ، بلغ به موسى بن أبى جابر رحمه الله الفضل وظهر به على الذروة ، وتمكن من ترتيب ما أراد والحمد للـه الذى يهدى من شاء للحق بإذنه •

ولولا ذلك الذى صنعه موسى لمـا تم لهم أمر ولا قامت لهم قناة ،

فإنهم على ظهر شقاق وكل يحاول أن يكون هو وموسى كان يفهم مقاصد القوم ويعلم ما انطووا عليه ، ولما تفرقوا وجمع هو الجيش الذى يعزز الحركة ، ويقيم الأود ، ويرفع العلم رد عـلى الولاة وأخرجهم مـن ولاياتهم ، وانه يعلم أنهم ليس لهم أن يخـالفوا ، ولعلهم يعتقدون إن عزلوا من هنا يولون من هناك ، فتسكن نفوسهم الى ذلك ، وقد بلـغ ما أراد واستقر الأمر واجتمع المسلمون بعد فرقتهم ، وتشتت شملهم وكان السلطان العام إذ ذاك فى بغداد الخامس من بنى العباس ، وهـو الرشيد فانه تولى الأمر بعد وفاة أخيه الهادى ، وذلك فى سنة ١٧٠ سبعين ومائة فى ١٤ ربيع الأول من السنة المذكورة ، وكانت تلك الأحوال المارة كلها فى أيام أبيه المهدى ، وأخيه الهادى ، وعاش الرشيد الى سنة ١٩٣ ثلاث وتسعين ومائة ، وكان الرشيد وأيامه زهرة الدولة العباسية بكل معنى الكلمة ، ولكل شىء غاية ينتهى اليها ، والدنيا لا تستقر على حال ، (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وفى ذلك من الحكمة الإلهية مالا يبلغه عقل عاقل مهما بلغ من سعة التفكير وحسن الدراية والله ولى الكل •

محتويات الكتــاب

الموضـــــوع	الصفحة

ص.ب : ٦٦٨ ـ الرمز البريدي : ١١٣ مسقط
سـلطنة عُمـان

رقم الإيداع : ١٦٠ / ٩٢

طبع بالمطبعة الشرقية ومكتبتها سلطنة عمان ـ ت : ٧٧١٦٩٥٢